

كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب . تليفون . ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط
KITAB AL-HILAL العدد ٤٦٣ ذو الحجة ١٤٠٩ - يوليو ١٩٨٩

أسعار البيع للعدد الممتاز فئة ٢٥٠ قرشا للقارىء فى مصر :-

سوريا ٩٠ ليرة ، البحرين ١٢٠٠ فلس ، لبنان ١٠٠٠ ليرة ، دبى ١٠ دراهم ، الاردن ١٥٠٠ فلس ، ابو ظبى ١٠ دراهم ، الكويت ٧٠٠ فلس ، مسقط ١ ريال ، العراق ٢٥٠٠ فلس ، غزة والضفة ١٫٥٠ دولار ، السعودية ٨ ريالات ، لندن ١٧٥ بنسا ، الدوحة ١٠ ريالات .

الغـــــلاف بريشـــــة
الفنان : محمد أبو طالب

من وحي المجتمع المصري المعاصر

بقلم
د. سيد عويس

دار الهلال

« الإهـــداء »

إلى الذين يجعلون من تجارب الحياة نبراسا لهم ..

فيرون الغث فى طريقهم فيدوسونه بأقدامهم ، ويتمسكون بكل ماهو ثمين فى حياتهم ، « المحبة والأخوة والوفاء » .

دكتور : سيد عويس

« المقدمة »

الكتاب الحالى يتضمن بحوثا ودراسات علمية تعكس الكثير من سمات المجتمع المصرى المعاصر ، هى أى هذه السمات عبارة عن تجارب حية خاضها أعضاء هذا المجتمع ويخوضونها فى حياتهم اليومية ، وذلك بقصد فهم أساليب السلوك فى محيطهم ومحاولة تفسير هذه الأساليب .

وإننى أرجو من القارىء الكريم لموضوعات هذا الكتاب أن يقرأها ككل دينامى ، وأن يتأكد أننى لم أجرؤ على تسجيل كل سمات المجتمع المصرى المعاصر ، لأن هذا التسجيل يقتضى مجلدات ومجلدات ، إن غاية ما صبوت إليه أن أعرض بعض النواحى فحسب ولم يكن فى وسعى أن أعرض كل النواحى .

ولعل قارىء كتبى المنشورة وغيرها من الدراسات والمقالات أن يعلم علم اليقين اننى منذ أن بدأت التحدث عن المجتمع المصرى لم أتمكن من التحدث عن كل نواحيه ، فهذا المجتمع فى ضوء واقعه عميق عمق المحيطات ، وفى ضوء تاريخه نجده حافلا بكل أنواع الحوادث والحادثات ، وفى ضوء علاقاته مع الدول الشقيقة من المحيط إلى الخليج وعلاقاته مع الدول النامية والمتقدمة نلاحظ التشابه كما نلاحظ التفاوت بينه وبينها ، إن هذا المجتمع ، كما ذكرت فى ما نشرت من قبل ، مجتمع متميز وفريد فى سماته وملامحه ، فهو أصل حضارة الإنسان منذ أن وجد الإنسان ، ونلاحظ أن القيم الاجتماعية التى صدّرها إلى العالم قد نبتت فى تربته الثقافية الاجتماعية ، وحتى المؤسسات التى لايقوم بغيرها

حكم أو حكومة استوردتها الدول الأخرى ، وجامعاته : « طيبة ومنف وأون » كانت قبلة الفلاسفة والحكماء والعلماء جميعا ، سواء أكان هؤلاء من الأجانب أم من أهالى البلاد .

وأرجو أن يلاحظ القارىء الكريم أننى لا أغازل أو أتودد إلى المجتمع الذى ربانى وعلمنى متفاخرا أو متعاليا ، ولكن حقائق مراحل التاريخ التى مر بها هذا المجتمع فى خلال حقبه وحتى الآن تثبت ما أذكره ، ويكفينى أن أوضح مثلا أذكره كثيرا فى محاضراتى ألا وهو أنه على الرغم من ألوان القهر والمعاناة والحكام الأجانب العبيد (المماليك مثلا) وغير العبيد ، وعلى الرغم من الحروب التى خاضها أبناؤه منذ « الملك أحمس » وحتى يومنا هذا ، وعلى الرغم من الخيانات التى حاكها الموتورون ضد مصر « هيردوت + لين + دليسبس + لورنس + بادو + كليلاند وغيرهم وغيرهم) ـ فإن مصر لم تتأثر وبقيت خريطتها على الكرة الأرضية شامخة لا تزال .

إننى لا أغازل أو أتودد إلى المجتمع المصرى ولكنى رضخت لما أوحاه إلى من موضوعات تيسر لى أن أسطرها فى ثنايا الكتاب الحالى ، ولعلى بذلك أن أوفى بعهدى لهذا المجتمع فأكون وفيا له ما حييت مثل ما كنت فى الماضى ومثل ما سأكون فى المستقبل القريب أو البعيد .

وأرجو أن يلاحظ القارىء الكريم أيضا أن الموضوعات التى يضمها الكتاب الحالى هى بحوث ودراسات علمية قمت باجرائها أو الاشراف على اجرائها ، وقد اخترت موضوعات هذه البحوث والدراسات فى ضوء خبراتى المنتظمة ، واعتبر نفسى مسئولا عن المنهج الذى اتبعته فى كل منها ، وتفسير نتائجها التى دونتها بين دفتى الكتاب هى من بنات أفكارى ، وقد أكون قد وفقت وقد لا أكون ، ومهما يكن من الأمر فإن الحكم فى ذلك لقارىء الكتاب .

إننى أقدم هذه الموضوعات التى هى نتاج بحوث ودراسات علمية ، راجيا أن تكون عاملا فى إزاحة الغموض الذى يكتنف أو قد يكتنف تفكير بنات وأبناء « مصر » الوطن المفدىء ولعلى بذلك أكون قد أديت واجبى كواحد من المفكرين المصريين الذى هو فى الواقع « ياء » هؤلاء المفكرين .

والموضوعات التى بين دفتى هذا الكتاب هى :

١ - دراسة علمية عن نظرية المصالح : وجهة نظر سوسيولوجية .

٢ - المفاهيم العامة لموضوع المجتمع المصرى بين النمو الطبيعى والتنمية المخططة .

٣ - البيئة المصرية من منظور القيم الانسانية .

٤ - الأساطير والخرافات فى تراثنا والعلم المصرى والتكنولوجيا الحديثة .

٥ - نظرة الدين للتفكير الخرافى .

٦ - مفهوم التربية الخلقية من المنظور الاسلامى العربى .

٧ - ظاهرة الأمية وكيف نكافحها .

٨ - طه حسين والثورة العقلية .

٩ - بحث علمى اجتماعى لبندر اسوان .

١٠ - بحث علمى اجتماعى سياسى عن الروح المعنوية لأعضاء القوات المسلحة .

١١ - الغيرة المهنية .

١٢ - الهيئات العلمية ودورها فى إعداد المواطن الصالح .

وأرجو وألح فى الرجاء من قارىء هذا الكتاب أن لا يمل اذا وجد تكرارا فى متن الكتاب ، وذلك لأن هذا التكرار لا يمكن أن لا يكون فى موضعه بل اضطررت اليه فى الكثير من الأحيان لان سياق الحديث كان يقتضيه .

وانتهز الفرصة وأتقدم بالشكر الجزيل لكل من حفزنى وشجعنى

لاكتب هذا الكتاب وأخص بالذكر زوجتى وابنتى آمال وتيسير وابنائى أحمد وسمير ومسعد .

ولن أنسى ما حييت فضل السيدة إلزا ثابت التى غرست فى نفسى الثقة فيما أفعل راجيا لسيادتها الشفاء العاجل إن شاء الله تعالى .

وللعزيز الأخ الحاج محمد شوقى والسيدة حرمه أهدى امتنانى وشكرى الخالص على ما قدماه لى من خدمات وبخاصة نسخ موضوعات الكتاب الحالى .

والرجاء التوفيق

القاهرة ، العجوزة : شهر يناير عام ١٩٨٩

د . سيد عويس

١ ـ دراسة علمية عن نظرية المصالح : وجهة نظر سوسيولوجية

يولد الأطفال فى مجتمعات ، ومن النادر أن لا يولدوا فى أسر ، ومن الأقدر أن **يولدوا فى غابات** ، وقد نجد الطفل المولود فى حضن أمه الحنون ، وقد نجده فى الشارع أو فى الحارة أو فى الزقاق أو بجوار مسجد أو بجوار كنيسة أو بجوار ملجأ .

والأغلبية الساحقة من الأطفال يعيشون فى أسر ويعيشون فى كنفها وتحت رعايتها وبخاصة إذا كانوا مرغوبين فيهم من الآباء ومن الأمهات ، ومع ذلك نجد بعض الأطفال يباعون ، ونجد أن بعض الأطفال يتزوجون ، ونجد بعض الأطفال يقتلون وهم فى المهد ، ونجد بعض الأطفال يولدون وهم يعانون من عيوب خلقية .

والأطفال وهم أجنة يعيشون فى بطون أمهاتهم ، فى رحم أمهاتهم ، يتنفسون فى **ماء الرحم** كالأسماك ، وقد تجرى التجارب فيتنفسون فى الماء القراح وفى الهواء دون أن يحدث لهم **اختناق** .

وأطفال **الأنابيب** فى عصرنا الراهن قد كثروا عددا بعد نجاح التجارب تلو التجارب ومن هؤلاء ما يعيشون فى رحم الأمهات **أو فى رحم غير الأمهات** ، ويولدون أصحاء .

وفى ضوء التجارب التى أجراها علم **الهندسة الوراثية** ، تمكن علماء هذا العلم من النجاح فى النبات وفى الحيوان ، ونجحوا فى أن يكثروا من ثمار النبات المتماثلة أعدادا مذهلة ، وفعلوا نفس الشىء فى الحيوانات المتنوعة ، وهم يعملون جهدهم فى القيام باجراء التجارب

على الانسان لكى يحصلوا على نفس النتائج التى حصلوا عليها فى النبات والحيوانات .

ونجح العلماء فعلا فى اختيار نوع الجنين قبل أن يتم نموه وهو فى رحم أمه ، ويولد ذكرا أو يولد أنثى حسب **اختيار** الأباء والأمهات الذين يرغبون فى الانجاب .

ولا ندرى ما الذى سيحدث عن مستقبل اجراء التجارب فى ضوء نتائج علم الهندسة الوراثية على الانسان ، فاذا تمكن علماء هذا العلم ووفقوا ، فانه يبدو أنهم سوف يستطيعون تحقيق آثارا مذهلة ، منها أن يجعلوا من بنى البشر توائم متماثلة ، أى يجعلوهم أغبياء أو أذكياء أو عباقرة ، وسوف تقف الانسانية أمام هذه النتائج متسائلة من الذى سيحكم الشعوب والأمم ؟ **رجال السياسة أو علماء البيولوجيا** ، وسوف تقف الانسانية أيضا لتتساءل عن الأسرة هل ستوجد **كما هى** أو سوف تتغير ، فنحن من الآن نواجه لاتعدد الزوجات فحسب ولكن نواجه أيضا **تعدد الأزواج** ، بل نواجه كذلك الزواج **الجماعى** حيث يعيش عدد معين من الذكور وعدد مماثل من الاناث معيشة الأزواج والزوجات ، وهذا نوع من الاباحية بدأ ينتشر فى العالم ، ولعل مرض « **الايدز** » الذى يؤثر على مناعة جسم الانسان أن يحد من هذه الاباحية المنتشرة بين الاناث والذكور وبين الاناث والاناث وبين الذكور والذكور ، ولعل نجاح القضاء على عوامل هذا المرض وأسبابه أن يزيد الاباحية فى العالم وبخاصة فى العالم الغربى (العالم المتقدم) والعالم النامى (غير المتقدم) أو الذى (فى سبيله الى التقدم) .

والمقصود **بالتقدم هنا** ، التقدم العلمى وتطبيقات العلم العصرى ، التى يسميها البعض « **التكنولوجيا** » ويسميها البعض الآخر « التقنية » .

ومهما يكن من الأمر فنحن نلاحظ أن الأغلبية الساحقة من الأطفال يولدون فى أسر ، قد تكون أسرا ممتدة أو أسرا مركبة أو أسرا نووية ،

والزوج بولادة الطفل يخلع عليه المجتمع **مكانة اجتماعية** هى « مكانة الأب » كما يخلع على الزوجة التى ولدته مكانة اجتماعية أخرى هى « مكانة الأم » ، ومنذ لحظة ولادة الطفل نراه إذا كان طفلا شرعيا يعيش فى أسرة هى الوحدة الأساسية للمجتمع الذى يعيش فى ظل مناخه الثقافى الاجتماعى أبوه وأمه وأخوته وأخواته ، وقد يكون طفلا غير شرعى أى لم يولد من زوج وزوجة **لا يعترف** المجتمع الذى يعيشان فيه بشرعية زواجهما ، وتتدخل الدولة لحماية هؤلاء الأطفال غير الشرعيين عن طريق **الحاضنات الغريبات** أو عن طريق المؤسسات التربوية حتى يشبوا ، وقد يكون من حظهم أن يكونوا مواطنين **أسوياء** أو يكون من حظهم أن **ينحرفوا** ويصبحوا مواطنين غير صالحين غير أسوياء .

والملاحظ أن الأسرة ، بأنواعها ، وبخاصة التى تنجب أطفالا ، هى فى الواقع جماعة أساسية فى المجتمع التى توجد فيه ، ويعنى المجتمع معانى عديدة ، ومع ذلك فهو يعنى فى **الدراسة الحالية** أناس : رجال ونساء وشباب وأطفال ، يعيشون حياة الاستقرار النسبى على اختلاف كمهم وكيفهم وملامحهم ومهنهم وانتماءاتهم فى بيئة جغرافية معينة **بمعناها الشامل** من منظور القيم الانسانية ، أى البيئة الطبيعية أو المادية أو البيئة الثقافية الاجتماعية أو غير المادية ، ومن الملاحظ أن هاتين البيئتين يعيش فيهما الانسان منذ ولادته **وهما يصنعانه** ، **والانسان منذ ولادته يصنعهما** ، ولا غرو فالطفل اذا كانت الأسرة تصنعه فهو أيضا يصنعها ، منذ لحظة ولادته اذا كان ذكرا أو اذا ولد بنتا ، أو إذا أتأمت الحامل ، وولدت أكثر من واحد فى بطن واحد ، وقد يكون التوأم متماثلين أو متشابهين أو ذكرين أو ذكر وأنثى أو أكثر من ذلك فى الأحايين النادرة .

ولا يمكن أن يكون المجتمع **مجرد** بيئة شاملة ويعيش فيه أناس بفئاتهم العمرية ، وإلا **كان سجنا** ولا يكون مجتمعا ، فالسجن لأنه ليس مجتمعا يعتبر تجمعا ، قد ينفصل الذكور فيه عن الاناث ، ويبقى

الأطفال حتى سن معينة مع أمهاتهم فى هذا التجمع أقصد السجن ، والذكور فى السجون (التجمعات) هم الكبار وقد يسجن من هم فى سن الشباب (من سن ١٨ فما فوق) معهم فى مكان خاص بهم ، وقد يسجن هؤلاء الشباب فى سجون خاصة وتكون الاناث المسجونات ، بالضرورة ، فى سجن منفصل عن سجن الذكور .

ونلاحظ أن أعضاء المجتمع الرجال والنساء والشباب والأطفال إذ يعيشون فى البيئة الشاملة التى ذكرتها نجدهم يعيشون وهم يتعاونون أحيانا أو يتصارعون أحيانا أخرى من أجل حفظ الحياة وحفظ النوع والحياة فى مستوى معاشى معين قد يكون مستوى الرفاهية أو مستوى العوز أو مستوى ما بين الرفاهية والعوز ، ونراهم إذ يحاولون تحقيق ذلك يستخدمون مستوى تكنولوجى ييسر لهم ألوانا من النشاطات الانتاجية كالرعى والزراعة والصناعة والتجارة مثلا .

وهؤلاء الناس نجدهم يعيشون فى جماعات أو فئات أو منظمات ، والمنظمات أنواع شتى منها المنظمات الدينية والمنظمات السياسية والمنظمات العسكرية والمنظمات الأسرية والمنظمات الصناعية والمنظمات التعليمية والمنظمات الترفيهية مثلا ، وقد يعيشون فى طبقات أو يحاولون أن لا يعيشوا فى طبقات ، وهم إذ يفعلون كل ذلك نجدهم يتظللون بظل مناخ ثقافى إجتماعى معين .

والملاحظ أن المناخ الثقافى الاجتماعى هو مجرد جزء من البيئة الشاملة التى يعيش فيها الانسان ، وهذا الجزء كما سبق أن أوضحت ، هو البيئة الثقافية الاجتماعية (غير المادية) ويتضمن هذا الجزء العقائد ، والمذاهب ، والقيم الاجتماعية ، والمثل العليا ، والعادات ، والأعراف ، والتقاليد مثلا ، وإذ أذكر الانسان هنا فانني أعنى أطفال المجتمع وصبيانه وصباياه وشبابه ورجاله ونساءه ، كل حسب الفئة العمرية التى يحددها المجتمع .. أى مجتمع ..

والانسان فى المجتمع الانسانى فى ضوء مراحله يمتص احساساته الكامنة من حوله ، فعندما يولد « سليما » فهو يولد بجهاز

عصبى « سليم » أيضا ، ويحس الطفل المولود بكل ما حوله ومن حوله ولكنه لا يعرف لما يحسه تفسيرا ، فهو يسمع الأصوات العديدة بوق السيارات أو رنين التليفون أو أصوات الذين يعيشون من حوله ولا يعرف تفسير ما يسمع ، وهو يرى الأشياء كالألوان التى من حوله أو الأضواء التى تشع من داخل المنزل او من خارجه ولا يستطيع أن يفسر هذه الألوان أو هذه الأضواء أو أن يفرق بينها ، ولكن الطفل يستطيع أن يعرف أمه إذا شم مايفرز جسدها من عرق أو بالأحرى تفرزان ثدياها من عرق ، فتراه عند الرضاع إذ تبتسم أمه يرد عليها بابتسامة تملأ وجهه ، أن أول وجه إنسان يركن إليه الطفل ويعيش معه وبه هو وجه الأم التى يتعرف عليها من رائحة عرقها ، أقصد من رائحة عرق ثدييها ، ولعل ذلك يكون متوقعا فالأم هى مصدر غذائه ، وهى التى تنظفه إذا ما اتسخ أو تغير ملابسه إذا اقتضى الأمر ذلك ، ومن ثم فإن من مصلحته أن يسلك هذا السلوك الانسانى ، وهو سلوك انسانى لأنه يصدر عن طفل إنسان مولود من انسان ، وهو مولود من انسان (أمه) التى عاشت معه منذ لحظة تلقيح بويضتها من إنسان آخر ، هى أمرأة أنثى والملقح يكون بالضرورة رجلا ذكرا ، لقد صنعته الأم طفلا من دمها وأعصابها وعانت فى سبيل ذلك ما عانت وما سوف تعانى فى المستقبل القريب أو فى المستقبل البعيد . إن الأم فى كل هذه الأحوال مجرد واحدة من بنات البشر ، ولكنها تميزت على الرجل بأنها انتجت بشرا ، فالرجل قد يستطيع أن يكون أما إذ يرعى طفله ويهتم به ولكنه لا يستطيع أن يلد أبنا .

وفى مصر ، أصل حضارة العالم ، منذ الماضى السحيق كان بقاء الرجل أعزب نادرا جدا ، والملاحظ أن المقابر المصرية القديمة التى لاترد فيها المرأة « الزوجة أم الأم » مذكورة أو مصورة تعد على الأصابع ، وكان الحكيم المصرى القديم كما ذكر « أدولف أرمان وهرمان رانكة » فى كتابهما (مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة) « ترجمة عبدالمنعم أبوبكر ومحرم كمال » صفحات ١٦٤ ـ

١٦٦ كان **يحذر** من المرأة الأجنبية (أى التى لا عائل يشملها بالحمايه أو التى تركها زوجها أو ترملت) ، كان يحذر الرجال والشبان غير المتزوجين منها إذ يقول :

لاتوجه اليها لحاظك .. ولا تتعرف إليها ، انها لجة شاسعة عميقة لا يعرف تيارها ! ان المرأة البعيدة عن زوجها تقول لك كل يوم : انى جميلة ، عندما لا يكون لديها شهود ، وهى تقف وتلقى الشباك ! ما أشدها خطيئة تستحق الموت اذا استمع الانسان اليها ، ولذلك فمن كان حكيما يتجنبها **ويتخذ له فى شبابه زوجة** ، فان أحسن شىء فى الوجود هو بيت الانسان الخاص » .

وكان **الحض** على اتخاذ المرء زوجة له وهو فى عنفوان شبابه فى ذلك الزمان القديم من أجل ان « تلد له ابنا » ، إذ كان يعد انجاب الأطفال فى ذلك الحين ، وحتى وقتنا الراهن ، **من أعلى درجات السعادة** ، ولم تكن هناك ناحية من نواحى الحياة العائلية المصرية تعطى صورة أجمل ولا أروع من العلاقة بين الآباء وأبنائهم .

كانت العلاقة بين الابن وأمه تدل دلالة قاطعة على تقدير الابن للأم ، وقد بلغت هذه العلاقة من عظم الشأن بحيث نجد كثيرا فى مقابر الدولة القديمة أم المتوفى فى العادة ممثلة الى جانب زوجته ، وكان على الابن واجبه المقدس وهو أن يجعل اسم أبيه « حيا يعيش » ، ونحن نعلم ، القارىء وأنا ان اسطورة أوزوريس وايزيس وحورس الذى ولد من أبيه المتوفى والذى انتقم لوالده « أوزوريس » وبرأ أسمه ضد اتهامات عمه « ست » ، ثم اتخذ لنفسه « عرش والده » ووضع تاج والده على مفرقيه ، والملاحظ أن هذه الأسطورة قد عاشت **فى وجدان** المصريين أى فى احساساتهم من الداخل ، وقد انتقلت فى فترات التحول فى تاريخنا المصرى القديم قدم الدهر والمستمر استمرار الحياة ، **بعملية توفيقية** الى الأنبياء والقديسين ثم الأولياء ، والملاحظ أيضا أن **مفهوم الولى** يعنى فى هذه الدراسة على وجه

العموم الشخص المتوفى الذى يعتقد فى أنه يتمتع بالبركة التى تمكنه من اتيان المعجزات أو « الكرامات » ومن ثم يكون له نفوذ وتأثير فى مصائر الأحياء ! .

والأمثلة الشعبية المصرية تهتم اهتماما بالغا بـ « **الانجاب** » ، فقد يقول البعض :

- من خلف ما مات .
- الولاد زكرة .
- الولاد قناديل البيت .

والمثل الأول يتفق مع إحساس الانسان المصرى (الشعبى) بالزمن ـ فالزمن عنده ديمومة مستمرة ، فكما أن النضرة تتبع الجفاف ، والنهار يتبع الليل والقمر يضمحل ثم يعود إلى الاشراق ، كذلك تستمر الحياة بسبب وجود الأبناء ، ومعنى ذلك أن عدم وجود الأبناء ، الأمر الذى يأباه الانسان المصرى ويتمنى عدم حدوثه ، يتسبب فى **انقطاع الحياة ووقوفها** عند حد معين .

والمثل الثانى يتفق مع رغبة الانسان المصرى فى أن **تبقى ذكراه فى الحياة** ، ويظهر أن وجود الأبناء هو الذى يحقق له هذه الرغبة ، إذ أنهم يحملون اسمه من بعده فهم ذكراه الباقية .

أما المثل الثالث فيكشف عن **عمق** البهجة والسعادة اللتين يضفيهما وجود الأبناء على الحياة العائلية ، ويتفق هذا المعنى مع قول الله سبحانه وتعالى :

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا » .

(سورة الكهف : آية ٤٦)

ويهتم الانسان المصرى (الشعبى) بالانجاب وصولا الى تحقيق العصبية ، فنجده يقول وأعضاء الشعب يقولون معه :

- كلمة ولد تهز البلد .

- ياريت الولد ورجليه جريد والله الولد عند العدا بيكيد .
- الولد فرحة ولو كان طرحة (بنت) .
- أم الغلام تستاهل الاكرام .
- أم القعود فى البيت بتعود .
- حطت عجلها ومدت رجلها .
- ربنا يبعت للعويلة ولد تقعد جنبه وتتسند .
- يام الولد حطى الولد فى الجيب الواد ذخيرة للعجز والشيب .
- اللى مالوش ولد عديم الضهر والسند .
- الولد ضهر أبوه .
- الولد دراع أبوه .
- الولد رد لأخواته .
- الولد بيحوش الورسة (الورثة) .
- الصبى يمنع العدو (أى الأقرباء غير المقربين من الميراث) .

ويبدو مما سبق أن المولود الذكر محبب لدى الأم والأب وحتى إخواته الاناث .

والملاحظ أن المصريين المعاصرين (الشعبيين بخاصة) سواء أكانوا يسكنون فى الريف أم فى الحضر المتريف أم غير المتريفين ، أى الذين يتمثلون العناصر الثقافية الريفية التى تتصل بموضوع النظرة نحو الطفل المصرى والاهتمام به وان كانوا يعيشون فى الحضر - يرون :

- أن يكون الاشباع الجنسى بطريقة يقرها المجتمع ويرضاها أى بطريقة مشروعة . وأن الزواج المبكر أمر محبب ومطلوب .
- واذا كان انجاب الأطفال فى العصر المصرى القديم يعد من أعلى درجات السعادة ، فانه يعتبر كذلك **حتى وقتنا الراهن** .
- وإذا كانت فى الماضى السحيق ، علاقة الأب بابنه علاقة موطدة ، فهو أى الابن امتداد لأبيه لأن الأبن يجعل اسم أبيه حيا يعيش بعد وفاته .

- والاهتمام بالطفل منذ اللحظة الأولى منذ ولادته بل منذ التأكد من الحمل لا يزال اهتماما يتضمن الحماية والوقاية للطفل .

- واذا كان الأطفال الذكور يفضلون على الأناث فى الوقت الراهن ، فان ذلك لا يعنى ، كما سبق أن أوضحت ، عدم اهتمام المصريين القدامى بالاناث ، فقد كانت العلاقة بين الابن وأمه دلالة قاطعة على تقدير الابن للأم ، وقد بلغت هذه العلاقة من عظم الشأن بحيث نجد كثيراً من مقابر الدولة القديمة أم المتوفى فى العادة ممثلة إلى جانب زوجته .

- وتفضيل الذكر على الأنثى ، كما يبدو لى ، قد يرجع إلى **النكسة** التى أصابت مكانة الانثى الاجتماعية فى مصر منذ عصر « الحريم » .

- واخفاء اسم الطفل فى ظل اسم آخر ، هو فى حقيقة الأمر كناية ، أمر معروف فى محيط العديد من أطفال المجتمع المصرى المعاصر ، ويرى الأب أو الأم أن إطلاق هذه الكناية على الابن والأبنة يعتبر أسلوبا من أساليب الحماية والحرص على حياة كل منهما ، وقد يكون الاسم المختار غير لائق ومن ذلك نلاحظ وجود أسماء : خيشة وشمردل وشحات ... الخ .

- وتفضيل الذكر على الانثى ليس أمرا مطلقا فقد تكون الانثى **هى الأنفع والأصلح** وتكون حبيبة أمها كما تكون فى الوقت نفسه حبيبة أبيها وأخوتها .

والملاحظ أن الأطفال يكبرون سنا وتكبر فى نفس الوقت أجسامهم ، فنراهم صبيانا أو صبايا ثم نراهم شبابا ثم رجالا ونساء كبارا سواء أكانوا فى سن الكهولة أم من الشيوخ أم أكبر من ذلك سنا .

وفى كل مرحلة من هذه المراحل نراهم يتغيرون حسب ما تصنعه البيئة الشاملة التى يعيشون فيها فيهم وما يصنعونه فيها ، نرى الذكور فى ضوء الواقع الحى يتغيرون ، فقد يصبح الذكور أزواجا وآباء ويمتهنون مهنة معينة تتفق مع مستوى تعليمهم ومستوى قدراتهم ونجد البنات كذلك يتغيرن ، فالبنات كما يقول المثل الشعبى المصرى

« بسبع وجوه » وهن فى ضوء مثل شعبى آخر ذوات « مربط خالى » ، أى لا بد لهن من أن يتركهن أسرهن الى بيت الزوجية ، فإذا ما تزوجت البنت الشابة لا تعيش عادة فى بيت الأحباب أى الوالدين والأخوة والأخوات ، كما يقول المثل الشعبى المصرى .

« قعدتى بين أعتابى ولا قعدتى بين أحبابى » .

وكأن لسان حالها يصرخ قائلا :

« يحرم على بيت الأهلية أحسن يقولوا العاوزة جية » .

وفى المراحل المشار إليها لا يتغير الانسان فى ضوء ما ذكرناه ، بل نجد أن مصالحه أيضا تتغير ، كل الناس ، والأطفال منهم ، لهم مصالح يحاولون تحقيقها ، وقد يحققونها بطريق مشروع أو غير مشروع حسب عقائد وقيم ومبادىء ومثل البيئة الشاملة التى يعيشون فيها سواء كانوا فى أسرة أو يرتعون فى الجيرة أو يذهبون إلى المدارس أو يصلون فى دور العبادة أو يصبحون أعضاء فى إحدى مؤسسات شغل أوقات الفراغ أو يتعرضون لأجهزة الاذاعة المسموعة أو وهم يشاهدون ما تبثه الشاشة الصغيرة أو ما تبثه الشاشة الكبيرة .

والملاحظ أنه اذا كانت هذه الأجهزة تؤثر فى نفوس بنى البشر على مختلف مراحل أعمارهم ، فإن هؤلاء يؤثرون فيها أيضا ، والتجربة تؤكد ذلك ، فكل فعل له رد فعل .

والمصالح التى تتحقق لأفراد المجتمع متباينة ، ومن ثم فهى تتصارع أحيانا ، أو تتعاون إذا كانت الأهداف تحتم هذا التعاون ، ولينظر المشاهد منا إلى « لعبة كرة القدم مثلا » ، فاللاعبون لمصلحتهم يتعاونون وتقتضى ظروف اللعبة أن يصارعوا لاعبين آخرين أو بالأحرى ينافسون لاعبين آخرين ، كل ذلك حسب النيات التى تملأ صدور اللاعبين التى هى نتيجة المصالح التى يرنون إلى تحقيقها ، والمصالح هنا قد تكون الفوز بشرف أو الهزيمة بشرف أوالعكس ، كل فريق حسب ما يتمثله من عقائد وقيم ومبادىء ومثل البيئة الشاملة التى يظللهم مناخها الثقافى الاجتماعى .

والحياة ان هى الا مسرح يحرص اللاعبون عليه أن يؤدوا أدوارهم لكى **يحققوا مصالحهم** وقد تكون هذه المصالح مادية وقد تكون أيضا مصالح معنوية ، كل شىء فى هذه الحياة التى نعيشها له الجانب المادى وله **أيضا** الجانب المعنوى .

فاللهاث وراء كسب المال المشروع أو غير المشروع مصلحة مادية ، **اما اللهاث** وراء كسب المعرفة والعلم الرفيع الذى ييسر للانسان حياته ، فهو بالضرورة مصلحة معنوية ، ومع ذلك فنلاحظ أن كسب المال غير المشروع قد ينفق لمصلحة معوزين أو يتامى ، ونلاحظ أيضا أن كسب المعرفة والعلم الرفيع قد **يسبب اخطارا تضر بالانسان** ، أى أنه ليس فى دنيا البشر شىء مطلق ، كل شىء فى هذه الدنيا ذو دلالة تنفع أحيانا وتضر أحيانا أخرى ، فالسكين الحاد يقتل وهو أيضا يعيش الانسان على تقطيع الخبز الذى يأكله لأنه فى حاجة إليه ، أى يعينه **على أداء مصلحة** تفيده ولا تضر بالآخرين .

وإذا كان الانسان العادى فى حاجة إلى شخص آخر وذلك لكى **يلبى دعوة مصلحة له** ، فإنه ينوى أن يذهب إلى هذا الشخص الآخر ، وأقول الانسان العادى أى الذى ليس به لوثة عقلية أو نفسية أو عيوب خلقية ، وأقول ينوى أن يفعل ذلك فى ضوء **إلحاح** مصلحته ، أى أن هذه المصلحة تصنع نيته .

ونلاحظ كل منا إننا إذا كنا فى حاجة الى قضاء مصلحة مادية كانت أو معنوية نجد أن هذه المصلحة أو تلك تصنع نياتنا ، والمصالح المادية فى الحياة عديدة جدا ، والنيات التى تصنعها هذه المصالح **عديدة جدا كذلك** ، قد تكون المصلحة المادية لاتعدو طلب قرضا أو قد تكون طلب خطبة بقصد الزواج ، أو قد تكون طلب شفاء من مرض ، أو قد تكون شراء أو بيعا أو شراء وبيعا .. الخ ، إن أنواع المصالح **تتفاوت** بحسب سن المرء العادى منا ومستوى تعليمه ومستواه الاقتصادى وبحسب العرض والطلب ، أى عرض ما يطلبه فى ضوء امكاناته وامكانات المجتمع .

ومع ذلك فإننا نلاحظ أن الانسان العادى منا يتغاضى عن أذى غيره إذا كان ذلك فى مصلحته ، ويؤكد ذلك ما تترجمه أحاسيسنا فنغض الطرف عن عيوب غيرنا ، لأن عين الرضا عن كل عيب كليلة على عكس عين السخط التى تبدى المساوىء ، والقول أن حبيبك يبلع لك « الظلط » وعدوك يتمنى لك الغلط قول سليم فهو يتفق مع ما ندعو إليه .

ومن أسلحة بعض أعضاء الشعب المصرى عندما تسلط عليهم ألوان القهر وبخاصة إذا كانوا من المستضعفين لا يجدون وجاء يحميهم إلا أن ينافقوا ، فالنفاق هنا فى مصلحتهم ، ومن ثم فانهم يتخذونه سلاحا يدافعون به عن هذه المصلحة .

ويجب أن نؤكد هنا ان الانسان العادى ليس ملاكا ، فالكمال لا يوجد فى دنيانا ، ولكن ما يستطيع القيام به أن يحمى مصالحه بأسلوب أو بآخر ، وذلك لأن هذه المصالح فى ضوء الواقع الحى هى التى تيسر له الحياة التى يعيشها أو يضطر إلى أن يعيشها .

فإذا قلت أن مصالح الأشخاص أية مصالح أو أى نوع من أنواعها ـ تصنع النيات فإننى لا أعدو الحقيقة ، وذلك لأن النيات التى نتبناها والتى هى فى الأصل صيغة المصالح التى نحاول أن نحققها ، تحدد المواقف الاجتماعية التى تندفع إليها فى سبيل ذلك . فأنا إذ أكتب ما أكتب الآن أحقق مصلحة أو مصالح لنفسى ما فى ذلك من شك ، وهذه المصلحة أو المصالح بدورها تصنع النيات التى تبنيتها فعلا ، فقد نويت أن أصيغ « نظرية المصالح من وجهة النظر السسيولوجية » التى تخصصت فيها ، وفعلت ذلك لأنه مصلحتى أن أفعل ذلك ، وهأنذا خضت « المعركة » مصالحى صنعت نياتى ، ونياتى بدورها صنعت موقفى أو مواقفى التى أحاول جاهدا ومجهدا أن أنقلها على القرطاس ، إذن المصالح التى أرنو إليها جعلتنى أنوى أن أكتب نظرية المصالح ، ولكى أفعل ذلك فإننى واجهت موقفى الذى يراه القارىء الكريم من تحقيق هذه النية ، أى أن موقفى هذا قد حدد نمط السلوك الذى أفعله ألا وهو كتابة ما كتبت لكى يقرأه القارىء الكريم

من أجل أن يوافق عليه أو ينفر منه أو يرفضه رفضا باتا ! .

أن ما سطرته من قبل كان هدفا أو أهدافا أحقق مصلحة أو مصالح ذكرتها ، وهذه المصلحة أو المصالح هى التى صنعت نياتى وهذه النيات صنعت بدورها موقفى أو مواقفى من تحقيق المصلحة أو المصالح التى أرغب فى أن أحققها وأن موقفى أو مواقفى بدورها قد حددت نمط أو أنماط سلوكى ، تماما كما يفعل الشخص العادى فهو يرغب فى تحقيق أمرا ما ، فاذا بالنية تتبلور فى عقله ، انه يرغب فى شراء بضاعة ما أو مقابلة شخص معين ، انه نوى على ذلك فى سبيل مصلحته التى صنعت هذه النية ، فيجرى مسرعا إلى المكان الذى يشترى منه البضاعة أو الذى يقابل فيه الشخص المعين ، ونيته هذه تحدد له الوسيلة التى تحقق الذهاب إلى المكان المطلوب ، فقد يسير على الأقدام وقد يركب سيارة أو قد يستخدم وسيلة أخرى للانتقال ، ويذهب إلى المكان المعهود ، فهو إذن أصبح يواجه موقفا أو مواقف ، وفى ضوء ذلك يسلك سلوكا معينا أما أن يرضى أو لا يرضى فى شراء البضاعة ، أو إذا كان الشخص الذى يزمع مقابلة رئيس كبير فإن مواقفه تحاول أن تتكيف مع هذا الشخص الكبير ، وإذا كان شخصا عاديا ، صديقا مثلا ، فإن المواقف تتباين ومن ثم فإن أنماط سلوكه تتغير لتتفق مع تحقيق مصلحته أو مصالحه التى يرغب فى تحقيقها مهما كان الشخص الذى من مصلحته كان قد نوى أن يقابله ، وفى المقابلة تتكيف مواقفه لكى يحقق مصلحته حسب مكانة الشخص الاجتماعية .

والخلاصة أو خلاصة الخلاصة يمكن أن نصيغ نظرية المصالح فيما يلى :

« إن مصالح البشر تصنع نياتهم وهذه بدورها تصنع مواقفهم التى تحدد أنماط سلوكهم البشرى » .

ولعل القارىء الكريم يصل إلى هذه النتيجة فى ضوء ما سطرته من قبل ، وكل الذى سطرته قضايا إنسانية برزت فى ضوء نتائج بحوث

ودراسة علمية قمت باجرائها أو أشرفت على إجرائها أو استعرتها من علماء آخرين ، إنها أى هذه القضايا نتاج خبراتى المنتظمة التى يجدها القارىء فى البحوث والدراسات العلمية المنشورة ، والتى يمكن الاطلاع عليها فى ثنايا الكتب أو المجلات العلمية التى نشرت فيها .

ولعل القارىء الكريم قد لاحظ عدم خوضى فى التعميمات التى لا تستند إلى حقائق أو وقائع تم الوصول إليها عن طريق تطبيق المنهج العلمى ، وذلك لأن ما يجده قارىء الدراسة الراهنة يستند إلى جزئيات أو حالات خاصة استطعت عن طريقها أن أصل لا إلى تعميمات ذات المستوى المنخفض (أى تنسب مثلا إلى عدد محدود من الحالات أو إلى بيئة محددة) ولا إلى تعميمات ذات المستوى العالى (أى يمكن تطبيقها على جميع الأشخاص المتشابهة) ولكن إلى تعميمات ذات المستوى الأعلى (وهى التى تتضمن علاقة سببية) .

ويلاحظ القارىء أن التعميمات الأخيرة ليست تعميمات احصائية ، وإذا كانت أعترف بأن الاحصاء أداة لازمة فى البحوث العلمية ولكنى أرى أن هذا النوع من التعميمات محدود عند البحث فى الظواهر الاجتماعية ، فالحالة السلبية (negative case) تنطبق عليه عادة ، ونلاحظ ذلك إذا قلنا مثلا أن من ٦٠٪ - ٨٠٪ من مدمنى مادة « الأفيون » نجدهم سريعى الاستهواء ، واذا استعملنا التعميمات الاحصائية فى مجال البحث فى ذكاء الناس نجد أن الحالة السلبية يبدو انطباقها واضحا .

وقد يعترض بعض القراء على أن هذه النظرية من وجهة النظر السسيولوجية ، وذلك لأنها تهتم بسلوك الانسان ، وهذا السلوك هو موضوع اهتمامات علوم أخرى كعلوم النفس والتربية والاجرام وغيرها ، وانه قد عفى الزمان على معالجة كل من هذه العلوم على حدة فعلم الاجتماع لا يوجد الآن ولكن يوجد علم الاجتماع النفسى وعلم الاجتماع التربوى وعلم الاجتماع الدينى وعلم الاجتماع السياسى وغيرها .

والقارىء المدقق يجد فى ثنايا الدراسة الحالية كل هذه الفروع من المعرفة ، ويجد أيضا أن العلوم الانسانية تتكامل مع العلوم الطبيعية ، وذلك لأننى أرى ، بكل تواضع ، فى ضوء خبرتى ، حتى وقتنا الراهن ، أن العلوم الانسانية (غير المادية) لا تنفصل عن العلوم الطبيعية (المادية) ، وأراها أنها تكمل بعضها البعض وتتكامل معها ، فالأفكار منبثقة من البيئة الطبيعية ، والبيئة الطبيعية تؤثر على الأفكار وتتأثر بها ، وقد سبق لى فى الصفحات السابقة أن ذكرت البيئة الشاملة التى ليست فقط تشمل العلوم الانسانية والعلوم الطبيعية بل تتفاعل هذه العلوم بشطريها بعضها مع البعض ديناميا .

والملاحظ أن تاريخ العلم يؤكد هذا الشمول كما يؤكد هذا التفاعل الدينامى ، وربما نظرة واحدة للظاهرة الفلكية تؤكد هذا القول ، وفى القديم نذكر كوبرنيكس وجاليليو ونيوتن وحتى داروين كانت لهم ولغيرهم من علماء الطبيعة الآثار التقدمية فى فكر الانسان على وجه المعمورة ، ولعل مجرد استعمال (راديو ترانستر) بيد طفل أو يافع أو شاب أو شابة أو كهل أو شيخ يعد برهانا ساطعا على ما أقول ، إن هذا الجهاز يؤثر فى الشخص أو الفرد الذى لم تتكون شخصيته بعد ، أقصد هذا الجهاز الذى هو من تطبيقات المنهج العلمى يؤثر فى جميع هؤلاء كما أن جميع هؤلاء يؤثرون فيه ، والأمثلة على تكافل العلوم كلها سواء كانت انسانية (غير مادية) أو طبيعية (مادية) عديدة ولا يتسع المقام للتحدث عنها كلها فى هذه الدراسة .

إن هذه الدراسة مجالها « دراسة علمية عن نظرية المصالح : وجهة نظر سسيولوجية » ، وأرجو أن أكون قد وفقت فى عرضها فى وضوح دون أن يكون ما كتبته فيه لبس أو كلام مبهم .

٢ - المفاهيم العامة لموضوع المجتمع المصرى بين النمو الطبيعى والتنمية المخططة

يلاحظ أن مفاهيم هذا الموضوع تتضمن ما يلى :

١ - مفهوم المجتمع .
٢ - مفهوم المجتمع المصرى .
٣ - مفهوم النمو الطبيعى .
٤ - مفهوم النمو العشوائى .
٥ - مفهوم التنمية المخططة .

١ - مفهوم المجتمع

يعنى هذا المفهوم فى رأيى ، أنه أناس (رجال + نساء + أطفال) يعيشون حياة الاستقرار النسبى على اختلاف كمهم وكيفهم وملامحهم ومهنهم وانتماءاتهم .. فى بيئة جغرافية معينة (صحراء + مناطق زراعية + مدن + موانىء + نهر + قنوات رى + قنوات ملاحية + تعدين .. الخ) ، وهم إذ يعيشون فى هذه البيئة نجدهم يتعاونون أحيانا أو يتصارعون أحيانا أخرى من أجل حفظ الحياة وحفظ النوع والحياة فى مستوى معاشى معين قد يكون مستوى الرفاهية أو مستوى العوز ، ونراهم إذ يحاولون تحقيق ذلك يستعملون مستوى تكنولوجى ييسر لهم (الرعى + الزراعة + الصناعة + التجارة ... مثلا) .

وهؤلاء الناس نجدهم يعيشون فى جماعات وفئات أو منظمات

(المنظمات الدينية + المنظمات السياسية + المنظمات العسكرية + المنظمات الأسرية + المنظمات الصناعية + المنظمات التعليمية + المنظمات الترفيهية مثلا) ، وقد يعيشون فى طبقات أو يحاولون **أن لا يعيشوا فى طبقات** ، وهم إذ يفعلون كل ذلك نجدهم يتظللون بظل **مناخ ثقافى اجتماعى معين** (عقائد + مذاهب + قيم اجتماعية + مثل عليا + عادات + تقاليد + أعراف مثلا) .

والملاحظ أننا قد نجد فى المجتمع « الانسانى » بعض **الجماعات الاثنية** أى الجماعات التى تجمعها بعض العناصر الثقافية الموحدة (جماعات الزنوج فى مجتمع الولايات المتحدة الامريكية وفى مجتمع جنوب أفريقيا + جماعات النوبيين فى المجتمع المصرى المعاصر مثلا) .

وإننى أرى أنه إذا كانت أجدى هيئات البحوث العلمية الاجتماعية ، تتبنى معنى مفهوم المجتمع السابق ، فانه يتيسر لها **أن تضع يدها** على بعض الموضوعات الهامة اقترح منها ما يلى :

أ ـ الدراسات الايكولوجية .
ب ـ الدراسات الديموجرافية .
ج ـ الدراسات التكنولوجية .
د ـ الجماعات التى يضمها المجتمع عادة بأنواعها والفئات والطبقات إن وجدت .
هـ ـ المنظمات التى يضمها المجتمع عادة (سياسية كانت أو اجتماعية أو عسكرية أو اقتصادية أو ثقافية مثلا) .
و ـ العناصر الثقافية السائدة فى كل قطاع سواء أكان حضريا أم ريفيا أم حضريا ريفيا أم بدويا ، مع الاهتمام بالأجهزة والقنوات الثقافية التى يناط بها ترويج هذه العناصر سواء أكانت طرقا صوفية أم أجهزة إعلام أم أجهزة ثقافية أم مساجد أم كنائس .. الخ .

٢ ـ مفهوم المجتمع المصرى

يعنى هذا المفهوم ، فى رأيى ، انه مجتمع انسانى **ككل** المجتمعات الانسانية ، ولكننا نراه يتميز عن غيره من المجتمعات بما يلى :

أ - انه مجتمع قديم قدم الدهر ومستمر استمرار الحياة ، واننا نجد أنه فى خلال الفترة من عام ٥٢٥ ق . م إلى عام ١٩٥٣ كان يحكمه **حكام اجانب** ، وإننا نجد أيضا أن المصريين المعاصرين يعيشون فى مناخ ثقافى اجتماعى فيه الكثير من العادات والتقاليد **الغثة** حتى وقتنا الراهن من الماضى السحيق أهمها تحكم الموتى فى الأحياء + ما يتعلق بطقوس الولادة قبل أن تحمل الزوجة وفى أثناء حملها وعند وضعها وبعد الوضع .. الخ ...

وانني أعتقد أنه اذا وعى المسئولين عن الثقافة المصرية المعاصرة ومنهم القادة الثقافيون الرسميون **وغير الرسميين** تأثير هذه العادات والتقاليد الغثة لعملوا جاهدين من أجل أن يستبدل بها غيرها وذلك عن طريق سيادة المنهج العلمى وتطبيقاته وبخاصة فى محيط الأطفال والشباب من سن ١٥ فأقل (أى نحو ٤١٪ من سكان البلاد) .

ب - لا جدال فى أن « الدين » له موقعه فى البناء الاجتماعى فى المجتمع المصرى ، وذلك منذ الماضى السحيق وحتى وقتنا الراهن ، كان الكهنة (أقصد رجال الدين) منذ زمن بعيد جدا هم الحكام الحقيقيون فى المجتمع المصرى حتى جاءت « العلمانية » عند إنشاء الجامعة المصرية (الأهلية) فى عام ١٩٠٨ ، ثم عندما أصبحت تحت اشراف الدولة فى العشرينيات ، ومن ثم نجد أن الظروف قد أصبحت مواتية للصراع بين بعض رجال الدين وبعض العلماء العلمانيين ، (حاول رفاعة الطهطاوى أن يوفق بين الدين والدنيا بعد بعثة ١٨٢٩ التى سافر فيها إلى فرنسا ، كما حاول محمد عبده قبل وفاته فى عام ١٩٠٥ فى مجالات الأزهر الشريف وعندما كان يرأس دار الافتاء) .

ونجد أن رجال الدين قد يتغلبون أحيانا وقد تكون الغلبة للعلماء العلمانيين أحيانا أخرى .

ويجب أن يلاحظ أن وجود الدين لا يعنى **وجود التدين** .

جـ - يلاحظ أنه فى ضوء مراحل التاريخ وحقائقه أن أعضاء

المجتمع المصرى فى **ظل القهر** قد مارسوا (ويمارسون حتى الآن) **انماطا معينة من السلوك** ، ومن هذه الأنماط نجد أنهم يؤدون دور **المتفرجين** أحيانا أو **ينافقون** أحيانا أخرى ، أو نجد أنهم يهاجرون **إلى الله جل وعلا أو إلى القديسين والأولياء** ، أو نجدهم يهاجرون **الهجرة الجسدية** ، أو نجد انهم يصبرون مع ملاحظة أن الصبر **كقيمة** قد يعنى « حبس النفس عن الجزع » وهذا صبر **ذو هدف حميد** أو يكون معناه الصبر على المذلة والخنوع ، وفى هذه الحالة يكون صبرا سلبيا أى أن هدفه غير حميد ، والملاحظ أن مفهوم الصبر قد ورد ، لفظه ومشتقاته فى الكتاب المقدس ، فى أسفاره واصحاحاته ، ٥٢ مرة ، كما ورد هذا المفهوم ، لفظه ومشتقاته فى القرآن الكريم ، فى سوره وأياته ، ١٠٣ مرات .

وقد يمارس المصريون أحيانا **الشكوى** من القهر والقاهرين لمن حولهم من البشر وربما للأموات العاديين أو للأموات القديسين والأولياء ، وقد يقفون موقف **الحزانى البكين** ، فمن طريق الحزن والبكاء تفرغ شحنات الدوافع العدوانية وليدة قهر القاهرين واستبداد المستبدين ، وتبدو المشاعر الحزينة عند أعضاء الشعب المصرى عميقة عمق ما تعكسه **عيون** الأمهات والزوجات وحتى الشابات ، أن ما تعكسه هذه العيون فى معظم الأحيان ، مهما انفرجت الشفاة ، يدمى القلوب ، وبخاصة قلوب الأطفال وبعض الرجال ! ! .

وقد يمارس المصريون **الدعاء** فالمصرى عندما يقهر يدعو لنفسه أو يدعو لغيره من الأحباء ومن فى حكمهم ، وقد يمارس الداعى الدعاء على **الأعداء** القاهرين من الظالمين ومن فى حكمهم ، والتراث الثقافى المصرى مملوء بالدعوات ضد الأعداء ، وذلك بطلب الانتقام منهم عن طريق إصابتهم بإصابات جسيمة أو بالموت أو بالهلاك أو بالانتقام من أولادهم أو بتشتيتهم أو بتخريب ديارهم ، وهم أيضا يطلبون الدعاء ضد الأعداء من الأقوياء أو أصحاب السلطة والسلطان **من الله** جل وعلا ومن القديسين ومن الأولياء .

ونجد المصريين يمارسون « السخرية » (لغة الدعابات

والتنكيت) ، والملاحظ أن الدعابات (النكت) أنواع من النكت **الاجتماعية** ومنها النكت **السياسية** ومنها النكت **الفنية أو الشكلية** ، والنكت **الأخيرة** هى التى تعتمد أساسا على الاستعمالات المجازية ، دون المضمون ، وذلك بهدف الاضحاك لذاته ، والنكت الاجتماعية والسياسية **تكون** فى ضوء بعض الظروف **نكتا علنية** ، وقد تكون فى ضوء **بعض** الظروف الأخرى **نكتا سرية** ، ومن ثم يمكن اعتبارها من **قبيل « اللغة السرية »** .

وقد **يمارس** المصريون فى ظل القهر الفرار بالهجرة إلى **فيافى** الصحراء أسوة بما فعله الأجداد فى عهد « **الاضطهاد الأعظم** » (**ذروة الاضطهاد** الوثنى) على عهد الامبراطور « دقلديانوس » (٢٨٤ م ـ ٣٠٥ م) وقيصره « جاليروس » ثم هذا الأخير منفردا (٣٠٥ م ـ ٣١١ م) و« ماكسيمين دازا » (+ ٣١٣ م) ـ الذين فروا بعقيدتهم ، (ربما تكون جماعة التكفير والهجرة من وجهة نظر أمرائهم مثالا على ذلك) .

وقد **يقف** المصريون عندما يحسون بالقهر وصلف القهار موقف **المتمردين أو الثائرين** والملاحظ أن تمرد أعضاء الشعب المصرى أو ثورته **لا** يكونان بقصد الهجوم ظلما على حقوق الغير بل يكونان **بقصد الدفاع** عن حقوقهم وحريتهم وكرامتهم .

ـ وانني أرجو أن يلاحظ القارىء الكريم أن **ترتيب** المواقف كما سجلتها فى بند رقم هـ **لايعنى** أن أعضاء الشعب المصرى **يقفون هذه المواقف بالضرورة بنفس الترتيب** . أو أننى أرى أن أعضاء هذا الشعب الكريم « كله » **يقفون هذه المواقف ويمارسون هذه الأنماط السلوكية** ، أو يفعلون ذلك **فى كل الأوقات** بل ان كل ما قصدته أن أوضح أهم **المنافذ الاجتماعية** أو الأساليب التى يواجه أعضاء الشعب المصرى ، أو بعض فئاته ، بها صنوف ألوان القهر **فى ضوء** بعض البحوث والدراسات العلمية التى قمت باجرائها . وأن أؤكد **أنها فى الغالب** منافذ وأساليب **غير عنيفة** .

٣ - مفهوم النمو الطبيعى

يلاحظ أن مفهوم « النمو الطبيعى » للمجتمع يعنى العملية أو العمليات **التى تؤدى** إلى التنمية ومفهوم النمو الطبيعى **أنواع منها** « النمو المكيف » ويعنى التطور أو التنمية التى تعمل على تكيف الكائن الحى إزاء الطبيعة أو البيئة الاجتماعية ، ومنها « النمو الاجتماعى » ويعنى تنمية سمات الفرد لتطابق **النماذج** الاجتماعية الراسخة فى المجتمع الذى يعيش فيه ، ومنها « النمو الحضرى » ويعنى **الكثافة السكانية** فى البيئة الجغرافية التى تعتبر من البيئات الحضرية .

وفى ضوء ما سبق نلاحظ أن مفهوم النمو الطبيعى **احدى العمليات الاجتماعية** وهو فى ذاته ليس تنمية اجتماعية ولكنه فى ضوء التعاريف التى ذكرتها يؤدى إلى التنمية الانسانية فى البيئة التى يعيش فيها الانسان ، ويولد الطفل فيها ويجدها فيضطر إلى التكيف إزاءها فى ضوء **قدراته** ومساعدة أجهزة التنشئة الاجتماعية فى المجتمع الذى يعيش فيه فى خلال **المراحل العمرية** التى يمر بها عندما يكون صبيا أو صبية أو شابا أو شابة أو رجلا أو أمرأة .. الخ .

٤ - مفهوم النمو العشوائى

هذا المفهوم هو عكس مفهوم « النمو الطبيعى » ، ويبدو هذا النمو واضحا فى الشق الطبيعى (Physical) من البيئة التى يعيش فيها أعضاء المجتمع .. أى مجتمع . والملاحظ أن هذا الشق له **تأثيره** على الشق الثقافى الاجتماعى .. والأمثلة على هذا النمو نجدها واضحة وجلية فى أطراف مدينة كمدينة القاهرة ، حيث توجد « العشش » و« الأكواخ » ، **وحيث تستباح** القيم الاجتماعية ذات الأهداف غير الحميدة ، وحيث نجد حياة الأفراد الذين يسكنونها يحيون حياة لا أدمية ، وفضلا عن ذلك حيث نجد الانحرافات بأنواعها والجرائم المنظورة وغير المنظورة يزخر بها المناخ الثقافى الاجتماعى الذى يظللها .

٥ - مفهوم التنمية المخططة

يلاحظ أن « مفهوم التنمية » له **أنماط متعددة** كما أن له **معانى متعددة أيضا** ، فقد يدل هذا المفهوم على التنمية الشاملة أى التنمية الاجتماعية والتنمية الاقتصادية معا . وقد يدل هذا المفهوم على التنمية الشاملة للمجتمع **ككل** أو على مجرد **التنمية المحلية** حضرية كانت أو ريفية .

ومهما يكن من الأمر فمن المعلوم أن مفهوم التنمية أو تنمية المجتمع قد استخدم على المدى الواسع دوليا فى عام ١٩٤٨ ليعنى : « العمليات التى عن طريقها **تتوحد جهود المواطنين مع جهود السلطات الحكومية** لتحسين أحوال المجتمعات المحلية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، ولادماج هذه المجتمعات فى حياة الأمة ، ولتيسير اسهامها فى التقدم القومى بأقصى قدر مستطاع » .

والملاحظ أن هذه العمليات تتضمن عنصرين هامين :

١ - أن يشترك أعضاء المجتمع **انفسهم** (ذكورا أكانوا أو اناثا) فى الجهود التى تبذل لتحسين مستوى المعيشة فى محيطهم على أن تكون **المبادأة** نحو تحقيق هذا الهدف منهم بقدر الامكان .

٢ - أن يزود هؤلاء الأعضاء بالخدمات الفنية وغيرها بحيث تشجع المبادأة عندهم وتيسر مساعدتهم لكى يساعدوا **انفسهم** فضلا عن التعاون بينهم ، لتكون هذه الخدمات أكثر فعالية .

والملاحظ أن « مفهوم التنمية » بالمعنى السابق يعنى أن التنمية قد توجد فى المجتمعات المتخلفة أو ما يطلق عليها أحيانا « المجتمعات النامية » أو « مجتمعات العالم الثالث » ، وهى أى التنمية قد توجد **أيضا** فى مجتمعات « بلاد الوفرة » التى سبقت فى طريق المدنية أو فى طريق التصنيع أو ما يقال عنها « الدول المتقدمة » والتباين فى هذه المجتمعات فى ضوء التنمية التى تحاول أن تحقق اهدافها يكون فى الدرجة أحيانا وفى النوع أحيانا أخرى .

ونجد فى مجتمعنا المصرى المعاصر فى ضوء **مراحل تاريخه الحديث** انه قبل أن يطرق السمع « **مفهوم التنمية بمعناه الشامل** » ، كانت هناك مفاهيم أخرى تتضمن بعض معانى هذا المفهوم ، منها على سبيل المثال مفاهيم « الاصلاح الاجتماعى » و« مكافحة الفقر والجهل والمرض » ، و« الرفاهية الاجتماعية » و« الخدمة الاجتماعية » و« الرعاية الاجتماعية » و« تنظيم المجتمع » ، وقد استخدم مفهوم « التنمية فى المجتمع المصرى » رسميا فى عام ١٩٦٤ بموجب القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤ أى أن هذا المفهوم قد استخدم فى مجتمعنا بعد ستة عشر عاما من استخدامه على المدى الواسع دوليا فى عام ١٩٤٨ .

وإذ أتحدث عن « التنمية المخططة » فإننى أقصد بهذا المفهوم فى الواقع التحدث عن **المستقبل** ، أى مستقبل « التنمية الشاملة » فى بلادنا ، أى مستقبل اشتغال المجتمع باستثمار مصادر الثروة والقوة التى يملكها لاشباع حاجاته **المتطورة** المسايرة للعلاقات الاجتماعية المتكيفة مع الأوضاع الاقتصادية المتجددة ، أى أن « التنمية المخططة » فى ضوء ظروف المجتمع المصرى المعاصر ، وفى ضوء الكثير من عناصره الثقافية ، تقتضى **التزام الموقف العلمى فى التفكير** ، وذلك لأننى أرى أن التخطيط **يستلزم** أن يكون مؤسسا على نتائج بحوث ميدانية واقعية يجريها المتخصصون فى البيئة الشاملة لهذا المجتمع ، حتى يتيسر للمسئولين بالاشتراك مع غيرهم من المثقفين ورجال وسيدات الصفوة فى مجتمعنا أن يضعوا « استراتيجية » محددة المعالم والأهداف المستقبلية ، إن مصر فى مسيس الحاجة إلى هذه « الاستراتيجية » وقد يرى البعض أن هذه الاستراتيجية موجودة ولكن الواقع يقرر أنها غير مستقرة .

وإذ أوجز الكلام فإننى أقول أن « التنمية المخططة » التى تهدف إلى وضع استراتيجة للعمل الجاد فى ضوئها ، هى فى حقيقة الأمر بالضرورة ، للانسان المصرى وبالانسان المصرى ، ومن **اجل خلق الامكانات لتحقيق انسانية الانسان المصرى** .

٢ - البيئة المصرية من منظور القيم الانسانية

أولا : المقدمة :

يلاحظ أن مفهوم البيئة بمعناه الشامل مفهوم فضفاض له أشكال متعددة وله أيضا معان متعددة ، منها البيئة الطبيعية أو المادية والبيئة غير المادية أو البيئة الثقافية الاجتماعية ، ويلاحظ ، أيضا ، أن هاتين البيئتين يعيش فيهما الانسان وهما يصنعانه وهو يصنعهما .

ويقصد بالبيئة الطبيعية أو المادية كل الموارد التى أتاحها الله وسخرها للانسان لكى يحصل على مقومات حياته واستمراره ، وهى موارد تتسم بالدقة والتعدد ، فهى الهواء والماء والتربة والمعادن ومصادر الطاقة والمناخ وما تنبته الأرض للانسان الذى يعمل من أجل ذلك ، ويضاف الى كل ذلك الحيوان الذى يروضه الانسان ليفيد منه بعد أن يسخره .

أما البيئة غير المادية أو الثقافية الاجتماعية فتتمثل فى أنواع المعرفة التى تكون مصادرها فى الغالب العقيدة والفن والعلم العصرى وتطبيقاته (أى التكنولوجيا الحديثة) أما العلم غير العصرى وتطبيقاته الذى تجده عادة فى بلاد العالم الثالث ، أقصد التراث الثقافى الاجتماعى الذى يكون فى هذه البلاد ما هو غث ويستحق بل يجب أن يذهب مع الريح ، وما هو ثمين ويستحق بل يجب أن يبقى .

وفى ضوء مراحل التاريخ المصرى القديم ، فى الماضى السحيق ، نلاحظ كما ذكره « هيرودوت » أن مفهوم النظافة كان سائدا وبخاصة فى

محيط الكهان « الذين كانوا لا يرسلون شعورهم » حيث كانت العقيدة تقتضى ذلك ، وحيث كانت الشعائر الدينية تستلزمها ، كانت النظافة أهم ما يشترط أن يتوافر فى الكاهن ، وليس أدل على ذلك من أن أول مراتب الكهانة تشير إلى تلك الحقيقة ، فالكاهن كان يسمى « الطاهر » أو « المطهر » والأصل فى ذلك من فعل « طهر » ، وفى الآداب الدينية نجد أن الحديث بارز عن وجوب تطهير الكاهن الجديد عند تنصيبه فى « بحيرة الكرنك المقدسة » ، كل ذلك على عكس الكهان من قوم « هيرودوت » الذين كانوا ، كما كان الأحبار اليهود ، يرسلون شعورهم .

والتاريخ يذكر لنا أن المصريين الرجال العاديين يطلقون شعر الرأس واللحية عند الموت حزنا ، وكانت لديهم حتى يومئذ محلوقة ، وهذا التقليد ما زال مستمرا حتى الآن وبخاصة فى محيط الذين يسكنون الريف المصرى .

ويلاحظ أن الكهان المصريين ، فى الماضى السحيق ، وخصوصا فى أيام الدولة الحديثة إذا كانوا لا يرسلون شعورهم ، فان كل شعب له عاداته وتقاليده الخاصة ، فنجد من الشعوب من يرى أن استكمال الزينة يكون فى تطويل شعر الرأس وتصفيفه ، وارسال شعر اللحية وتمشيطه ، اما كهان آل فرعون فقد كانت زينتهم ، كما مر بنا ، فى نظافة الرأس من الشعر ، أى ان الحلاقة لديهم كانت من مكملات الزينة .

وكانوا أقصد المصريين القدامى يتغوطون فى بيوتهم معتقدين ان الضرورات القبيحة يجب أن تؤتى فى الخفاء ، وكانوا يمارسون ختان الذكور حرصا على النظافة والطهارة ورعاية لصحة البدن (انظر كتاب محمد صقر خفاجة : « هيرودوت يتحدث ، القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٦ ، صفحات ١١٨ و١٢٠ و١٢١) .

وفى ضوء تعاليم الديانة المسيحية نجد أن الطهارة قد تكون طهارة السجية والحياة ، وتشع هذه التعاليم بمفهوم « التطهير » ، ونلاحظ أن الطهارة والتطهير يتضمنان عناصر البيئة الطبيعية أو المادية ،

وعناصر البيئة غير المادية أو الثقافية الاجتماعية .

« وإنما أقول اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد » .

(رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية : إصحاح : ٥ : آية ١٦)

« وطهروا نفوسكم فى طاعة الحق بالروح وللمحبة الأخوية العديمة الرياء ، فأحبوا بعضكم بعضا من قلب طاهر بشدة » .

(رسالة بطرس الرسول الأولى : إصحاح ١ : آية ٢٢)

« وأيها الأحباء أطلب اليكم كغرباء ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس » .

(رسالة بطرس الرسول الأولى : إصحاح ٢ : آية ١١)

« وكما ان قدرته الألهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذى دعانا بالمحبة والفضيلة للذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكى ليصيروا بها شركاء الطبيعة الالهية هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة ، ولهذا عينه وانتم باذلون كل اجتهاد قدموا فى ايمانكم فضيلة وفى الفضيلة معرفة وفى المعرفة تعففا وفى التعفف صبرا وفى الصبر تقوى وفى التقوى مودة أخوية وفى المودة الأخوية محبة ، لأن هذه إذا كانت فيكم وكثرت تصيركم لا متكاسلين ولا غير مثمرين لمعرفة ربنا يسوع المسيح ، لأن الذى ليس عنده هذه هو أعمى قصير البصر قد نسى تطهير خطاياه السالفة » .

(رسالة بطرس الرسول الثانية : إصحاح ١ : آيات ٣ ـ ٩)

والمعلوم أن علاقة الانسان ببيئته قديمة قدم وجوده ، وهى مختلفة من حيث سطحيتها وعمقها باختلاف قدراته وحاجاته ، فمن علاقة بسيطة تهدف إلى اشباع حاجات أولية بقدرات أولية يدوية تتسم فيها العلاقة من جانب الانسان بالدفاع عن حياته الى علاقة توجهها تحديات تتمثل فى عدد متزايد من بنى البشر وتراث فكرى وحضارى مسلح بإحدث وسائل الابداع العلمى وتطبيقاته أى ما يسمى بالتكنولوجيا ، ومطالب الانسان تتزايد وتتغير من مجرد الاشباع الأولى الى طموحات ترفيهية مما أعطى هذه العلاقة شكل الغلبة والسيطرة للانسان أو ضد انسان (الضوضاء والسفن المحملة بالشحنات والنفايات الكيمياوية

السامة مثلا) ، وقد أظهرت نتائج بحث « جامعة أسيوط » ، ان كل مواطن يخسر ٥٥ جنيها سنويا نتيجة التلوث وان مصر كلها تخسر سنويا ٦٠ مليونا لتلوث نهر النيل فضلا عن الخسائر المتعلقة بالنواحى الجمالية (انظر : جريدة الأهرام فى يوم ١١/٩/١٩٨٨) .

ولا يختلف اثنان عن القول المأثور « النظافة من الايمان » فنجد أن تعاليم الدين الاسلامى تذكره ، وكذلك نجد أن العقل الرشيد لا ينفيه ، وأقصد بالعقل الرشيد هنا العقل النظيف من أهداف التلوث الثقافى الذى نلاحظه فى العديد من قنوات الاتصال وبخاصة التى توجد فى الصحافة اليومية وبعض المجلات الأسبوعية فضلا عما تبثه أحيانا الاذاعة المسموعة أو نشاهده ونسمعه على الشاشة الكبيرة وعلى الشاشة الصغيرة .

وفى ضوء آيات القرآن الكريم نجد الحض على النظافة :

« إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » (سورة البقرة : آية ٢٢٢)

و« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » (سورة التوبة : آية ١٠٣)

و« وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به » (سورة الأنفال : آية ١١)

أما أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم فنجد :

« تخللوا فانه نظافة والنظافة تدعو إلى الايمان والايمان مع صاحبه فى الجنة » رواه الطبرانى .

و« الطهور شطر الايمان » رواه أحمد ومسلم والترمذى .

و« إن الله جميل يحب الجمال ، ويحب ان يرى أثر نعمته على عبده ، ويبغض البؤس والتباؤس » رواه البيهقى عن ابى سعيد .

ومع وجود عناصر هذا التراث الناصع منذ الماضى السحيق نلاحظ أن أدران التلوث الثقافى ، وهو أمر خطير جدا ، تلاحقنا ، أقصد تلاحق أعضاء المجتمع المصرى المعاصر وبخاصة الأعضاء من

الشباب ، ذكورا كانوا أو اناثا ، الذين يعيشون مرحلة المراهقة المتأخرة من سن ١٥ ـ ٢٥ (نحو ٣١٪) ، وسأضرب مثلا يؤرقنى ، كما أرجو أن يكون محل النفور من السادة الأفاضل القراء .

فنحن نلاحظ ، مثلا ، فى بعض قنوات الاتصال (وبخاصة الصحافة اليومية وبعض المجلات الأسبوعية) ما يسمى بـ « حظك اليوم » الذى يهدف إلى الاشادة بالتنجيم الذى عفى عليه الزمان ، وقد نجد هذا النوع من التنجيم جنبا إلى جنب مع ما يسمى « عمود العلوم » ، وهو باب يهدف إلى رواج تطبيق المنهج العلمى العصرى الذى نحن المصريين فى ضوء ظروفنا الثقافية والاجتماعية فى مسيس الحاجة إلى تحقيق نتائجه التطبيقية ، وبخاصة ، ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين ، وهذه النتائج أصبحت مصدرا هاما من مصادر التغير الثقافى الاجتماعى فى كل المجتمعات الانسانية ، فنحن نعيش فى حقيقة الأمر فى ظل حضارة عالمية ، نجدها فى كل مكان فى العالم الذى نعيش فيه فى الوقت الراهن ، ان هذا العالم أصبح لعوامل عديدة مجرد قرية صغيرة بل نراه يتقلص فى كل يوم بل فى كل ساعة وفى كل دقيقة وثانية .

ولننظر مثلا إلى ما تحقق فى ميادين ومجالات الطب والفلك وحتى أدوات الدمار ، ونحن فى وقتنا الحالى قد اجتزنا عصر البخار وعصر الكهرباء وعصر الطاقة النووية ، وأصبحنا فى الوقت الحاضر فى عصر الالكترونيات ، ذلك العصر الذى يسر للانسان تحقيق التنمية المادية والمعنوية ، وجعل من « الكومبيوتر » ذاكرة للانسان ويسر له التفكير واجراء التجارب التى لم يكن يحلم بها البشر من قبل .

وأقصد بالتنمية المادية تنمية البيئة الطبيعية أو المادية بالمعنى الذى ذكرته من قبل ، وكذلك فاننى أقصد بالتنمية المعنوية ما قصدته بتنمية البيئة غير المادى أو البيئة الثقافية الاجتماعية بالمعنى الذى ذكرته من قبل ، ولكننى أضيف إلى هذين المعنيين أن تحقيق كلا من نوعى التنمية سيكون بالضرورة عن طريق التغير الاجتماعى المقصود

أى تغير المجتمعات الانسانية المخطط .

وانني أرى وأرجو من القارىء الكريم أن يرى ما أرى ان من يقرأ « حظك اليوم » ويقرأ « عمود العلوم » لن يفيد من الأخير الا النذر اليسير ، أو قد لا يفيد شيئا فهما يحيدان بعضهما البعض وذلك اذا كان القارىء حريصا على قراءة « عمود العلوم » المشار إليه . وذلك لأن القراء ، فى ضوء نتائج أحد البحوث العلمية الذى أشرفت عليه ، وبخاصة الاناث منهم ، والعديد من الذكور ، تراهم يلهثون وراء التعرف على حظوظهم وهم يعيشون حياتهم ، تماما كما يفعل الكثير عندما يتهافتون على من يقرأ « الفنجان » أى من يفتح « الكوتشينة » أو يقرأ « الكف » وغير ذلك .

وأرجو أن يلاحظ أننى لا أخص بالذكر عمود « حظك اليوم » ولكنى أذكر معه « أنت والنجوم » وغيرهما من المسميات التى أراها تلوثا معنويا ، واننى أذكر عندما تحدثت مع المسئولين على هذه القنوات أو الرسائل الأخرى الاتصالية ، قيل لى أن قراءهم ليسوا بالكثير فالأمية (وهى فى رأيى تلوث ثقافى) تنتشر فى المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى لاتزال (تعداد ١٩٨٦ : ٤٩,٤٪ الأفراد من سن ١٠ سنوات فأكثر ، ونسبة الذكور ٣٧,٨٪ ونسبة الاناث ٦١,٨٪) .

وما ذكرته فى الجزء السابق يهتم بالنظافة المعنوية فى مجتمعنا ، لأن النظافة التى هى ضد « التلوث » ليست مقصورة ، كما ذكرت من قبل راجيا أن يوافقنى القارىء الكريم على ذلك ، على الماديات فقط ، وذلك لأننى أرى وأرجو من القارىء الكريم أن يرى ما أرى أن وجود الانحرافات بأنماطها وصورها ان هى الا تلوث بيئى تماما كما نصف « التلوث المادى » كالتلوث فى الشوارع أو فى نهر النيل الخالد أو تلوث الاشعاعات النووية ، وما ينجم عنها من أخطار للانسان والحيوان والنبات جميعا .

إن عدم وجود النظافة المعنوية ، وأرجو أن لا يمل القارىء الكريم ، هذا التكرار هو فى حقيقة الأمر أخطر وأضر على المجتمع أى مجتمع

وبخاصة فى ضوء الظروف الراهنة .

ومع ذلك فإن ماهو خير موجود يصارع أحيانا ماهو شر فيصرعه ، والعكس صحيح ، وأرجو أن يسمح لى أن أذكر احدى التجارب التى ذكرها زميلى المغفور له محمد محمد شلبى وهو يعمل كاخصائى اجتماعى فى « قرية المنايل » (مركز شبين القناطر) ، كان رحمه الله الكريم المتعال يعمل كانسان يحاول ما استطاع أن يحقق انسانية الانسان ، وليسمح لى القارىء الكريم أن أتحدث عن العمل الانسانى فى احدى قرى الريف قبل أن أتحدث عنه فى احدى المدن فى الحضر الذى كاد أن يصبح متريفا ، أقصد العمل الانسانى الذى تقوم به جمعية اجتماعية مثل « جمعية الخدمات الاجتماعية بحى بولاق » ، ذلك الحى الذى يفصله عن حى الزمالك « كوبرى صغير » وكاد أن يصبح فى الوقت الحاضر فى منتصف مدينة القاهرة عاصمة جمهورية مصر بل عاصمة قارة افريقيا .

يقول لى الزميل الفاضل المغفور له محمد محمد شلبى فى احدى دراساته (أنظر : كتاب سيد عويس ، نشأة مهنة الخدمة الاجتماعية فى مصر ، تاريخ شخصى ، القاهرة دار الطباعة الحديثة ، ١٩٧٣ ، صفحات : ١٢٥ ـ ١٢٨) .

« ... كانت القرية ، « يقصد قرية المنايل » كغيرها من القرى ، شوارعها قذرة وتتراكم على جوانبها أكوام السباخ ، وتبدو على أهلها أعراض المرض ، وتعلو وجوههم صفرة ، وتشكو أجسامهم ضعفا ، وكانت ملابسهم قذرة وجلودهم يعلوها طبقة ظاهرة من الأوساخ ، وكانوا يتحركون حركات تدل على انتشار « حشرات القمل » فى أبدانهم وفى ملابسهم ، لذلك كان اهتمامنا (يقصد اهتمام الحكيمة تحت اشرافه) بالنظافة الشخصية والنظافة العامة للقرية . وخطونا فى هذا السبيل خطوات واسعة موفقة ، كان أساسها الارشاد والاقناع .

ولما أنشئت الحمامات بدار رعاية الأم والطفل (التى تشرف عليها الحكيمة) قمنا بدعاية واسعة النطاق لاستعمالها ، وصرفنا الصابون

والمناشف والمياه الساخنة فى الشتاء بدون مقابل ، وشجعنا المواطنين من الأطفال بشارات تعلق على صدورهم من القماش .

أما الرجال فقد ألحق بدورة مياه المسجد حمامان .

ثم قمنا بوضع خطة لنظافة القرية عموما ، فبدأنا بنظافة الشوارع ، وتم ذلك بالتدريج ، بدأنا برفع أكوام السباخ من الشوارع ونقلها إلى أماكن حددناها خارج القرية أو إلى الحقول مباشرة ، ثم القيام بنظافة الشوارع يوميا بنظام تعاونى .

وبعد ذلك وجهنا العناية إلى نظافة المنازل من الداخل ، وأصبح بمرور الزمن دخول الحكيمة إلى المنازل ميسورا فى أى وقت بعد أن كان ذلك متعذرا من قبل ، وكانت سيدات المنازل يتقبلن ملاحظاتها عن النظافة وترتيب أثاث المنزل بنفوس راضية .

وكانت لمياه الشرب فى تجاربنا أهمية عظمى ، فإن الفلاح المصرى يعانى الكثير من الأمراض بسبب موارد المياه التى يستعملها عادة وهى الترعة والمسقاة المجاورة للقرية ، وتضمنت هذه التجارب ما أثاره الزميل شلبى من اهتمام بهذه المشكلة عندما جلس مع بعض رجال القرية على شاطىء الترعة . ثم جرى الحديث عن مياه الشرب ، وشرح للمجتمعين من قادة القرية شيئا عن الأضرار التى تصيب الانسان من إستعمال الترعة للشرب لما فيها من حيوانات ميتة قد تعفنت وبقايا فضلات المنازل ، فضلا عما تحمله من الطفيليات ثم ذكر أن كل ذلك يلوثها ويجعلها نجسة ولا تصلح للشرب ، وبعد أن انتهى من حديثه انبرى احد الجالسين الى معارضته قائلا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الماء لا يحمل نجاسة أكثر من أربعين قدما » .

ثم يعترف المغفور له زميلى محمد محمد شلبى بارتباكه ، لأن القائل قد ارتكز فى حجته على حديث نبوى ، وسواء كان هذا الحديث صحيحا أو غير صحيح ، فان عليه أن يثبت عدم صحته أو أن يدفع الحجة بحجة أقوى منها ، وليس أقوى من الحديث النبوى الا القرآن

الكريم ، ولكن لم يحضره من آيات القرآن الكريم ما ينقذه من هذه « الورطة » .

وقال أحد الحاضرين متسائلا قاصدا إحراج الزميل : « قرفنا من مياه الترعة التى اعتدنا شربها فمن أين نشرب إذن ؟ فقال الزميل : إن أحسن وسيلة الطلمبات ، فقال من تولى الاحراج : ولكنها غير متوافرة ، فذكر المغفور له محمد محمد شلبى قائلا : ان اللجنة التى شكلها مجلس ادارة الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية ، وهى المشرفة على تجربة إصلاح قرية المنايل ، على استعداد للمساعدة فى هذا السبيل » .

واشتريت الطلمبات وكانت ثلاث وزعت فى ثلاث جهات لكى تمد القرية جميعها بالماء الصالح للشرب ، واهتم أهل القرية بهذه الطلمبات وأخذوا يشربون من مائها وخصوصا عندما اقتنع قادة أهل القرية وذلك « باستخدام المجهر » (الميكروسكوب) بقصد التعرف على الفرق بين عينات المياه المأخوذة من « الترعة » مباشرة ومن « الزير » ومن « تحت الزير » ومن « الطلمبة » ، وعندما تشكك أحدهم فى أن المخلوقات الدقيقة التى تسبح فى ماء الترعة قائلا : انها من زجاج المجهر ، وضعت تحت العدسة زجاجة من غير ماء فلم يجد بها شيئا ، ولم يلبث الجميع حتى ، اقتنعوا ، وكانوا يتحدثون وهم فى دهشة عما رأوه بنظارة المجهر ! ! ! » .

وفى مدينة القاهرة التى تعيش فى الوقت الراهن تحت ضباب « عادم » السيارات والأتربة والدخان الذى يخرج من المصانع والضوضاء وغير ذلك مما يلوث البيئة التى يعيش أعضاء مجتمعها بين جنباتها ـ يوجد « حى بولاق » ، وقد لاحظ مؤسسو الجمعية وعلى رأسهم السيدة الزا ثابت شفاها الله ومتعها بالصحة والعافية ، إن هذا الحى ، ليس فقط منطقة ملوثة بل هو أيضا منطقة تفريخ للجانحين والمجرمين وبخاصة الأحداث من الأعضاء الذين يعيشون فيه .

وكانت أهداف هذه الجمعية منذ انشائها فى عام ١٩٤٧ وحتى الآن ما يلى :

١ ـ العمل على دراسة المشكلات الاجتماعية فى حى بولاق ومعالجتها .
٢ ـ بذل المساعدات الاجتماعية للأسر التى تحتاج إلى مساعدة .
٣ ـ إثارة الوعى الثقافى الاجتماعى والصحى بين أهالى حى بولاق .
٤ ـ الاسهام فى المشروعات الاجتماعية العامة .

وقد حرصت الجمعية منذ نشأتها على اتخاذ المنهج العلمى نبراسا لها ، وكان رائدها محاولة فهم المشكلات عن طريق دراستها دراسة علمية ، وإثارة الوعى بين الأفراد والجماعات لمعرفة مشكلاتهم وكيفية التغلب عليها ، وحرصت الجمعية دائما على القيام بعمليات تنمية أعضائها ومن يلوذون بهم من أقرباء مقربين أو غير مقربين أو من أصدقاء وزملاء كى يتغلبوا على متاعبهم فى حى بولاق ، وهذه هى العمليات التى يعتبرها المتخصصون فى مهنة الخدمة الاجتماعية فى الوقت الحاضر بأنها « عمليات التنمية الحضرية المحلية » .
(The local urban Development Processes)

وقد اتخذت الجمعية لكى تتحقق هذه الأهداف مبادىء اعتمدت عليها فى كل أعمالها وهى :
١ ـ الاعتماد على العاملين المهنيين مع الايمان بالتطوع غير المشرف .
٢ ـ الاعتماد على الاسلوب العلمى فى مواجهة تحقيق الأهداف .
٣ ـ الاعتماد على ولاء السادة أعضاء الجمعية العمومية وذلك باستمرار عضويتهم . ومن ثم يتحقق الاستقرار لكى تؤدى الجمعية دورها الفعال .
٤ ـ الاعتماد على تكوين الكوادر القيادية من أعضاء الجمعية للخروج بمبدأ الحكم الذاتى من حيز التدريب الى الحيز العملى الواقعى .
٥ ـ محاولة تحقيق الاستقلال الاقتصادى الذاتى للجمعية لضمان استمرار وجودها ، أى لكى يستمر القيام بعمليات التنمية الحضرية فى

حى بولاق جيلا بعد جيل .

ونظرة إلى أهداف هذه الجمعية فانها تؤكد خلق وارساء عناصر « المواطنة الصالحة » بين أعضائها ، وأمل الجمعية معقود على أن يتم ذلك فى ضوء قيم التراث الثقافى المصرى التى عاش بها ومن أجلها أعضاء المجتمع المصرى العريق مثل قيم المحبة من أجل الحياة ، والتسامح من أجل رفعة الانسان ، والمشاركة الايجابية من أجل البناء والتضامن من أجل فعل الخير وغيرها وغيرها ، وتحقيق هذه القيم وكلها ذات أهداف حميدة ومثيلاتها من أجل توطيد المجتمع المصرى هو الرجاء الذى تسعى اليه الجمعية ، ومن أجل الانسان على وجه العموم فان تحقيق هذه القيم ومثيلاتها يؤكد الأصالة المصرية ، وهو ما ترنو إليه الجمعية منذ نشأتها وحتى وقتنا الراهن (بحث علمى : سيد عويس « تجربة فى التنمية الحضرية المحلية » ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، صفحة ٢٠ وصفحات ٢٧ ـ ٣٠) .

ولعل القارىء الكريم ان ينظر إلى ما تضمنته رسالة « بولس الرسول » إلى أهل رومية آيات : ١٢ ـ ٩ .

« المحبة : فلتكن بلا رياء ، كونوا كارهين الشر ، ملتصقين بالخير وادين بعضكم بعضا بالمحبة الأخوية ، مقدمين بعضكم بعضا فى الكرامة ، غير متكاسلين فى الاجتهاد ، حارِّين فى الروح ، عابدين الرب ، فرحين فى الرجاء ، صابرين فى الضيق ، مواظبين على الصلاة ، مشتركين فى احتياجات القديسين ، عاكفين على اضافة الغرباء ، باركوا على الذين يضطهدونكم ، باركوا ولا تلعنوا ، فرحا مع الفرحين وبكاء مع الباكين ، مهتمين بعضكم لبعض اهتماما واحدا غير مهتمين بالأمور العالية بل منقادين الى المتضعين ، لا تكونوا حكماء عند انفسكم ، لا تجاوزوا أحد عن شر بشر ـ معتنين بأمور حسنة ، قدام جميع الناس ، ان كان ممكنا فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس ، لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل أعطوا مكانا للغضب لأنه مكتوب لى النقمة أنا أجازى يقول الرب ، فان جاء عدوك فأطعمه وأن

عطش فاسقه ، لأنك ان فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه لا يغلبنك الشر بل أغلب الشر بالخير » .

واننى أرجو ان لايكون حديثى هذا طويلا أو مملا ، فما أردت ألا أن أغلب الشر بالخير ما استطعت أسوة بالرسل والأنبياء والقديسين والأولياء .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .
(سورة الزلزلة آية ٧ وآية ٨)

وفى ضوء ماسبق .. كل ماسبق ، يمكن أن نستخلص بعض النتائج منها ما يلى :

١ ـ إن مفهوم البيئة مفهوم شامل : اشكاله متعددة ومعانيه أيضا متعددة ولعل أهم أشكال هذا المفهوم : البيئة المادية أى الطبيعة ، والبيئة الثقافية الاجتماعية التى تتضمن الأهداف الانسانية والقيم الاجتماعية ذات الأهداف الحميدة منها وغير الحميدة .

٢ ـ وانه منذ الماضى السحيق نجد أن المصريين القدامى منهم والمحدثين يعتبرون « النظافة » نبراسا لهم وهدفا ، وان « الطهارة » ديدنا لهم .

٣ ـ وان علاقة الانسان بالبيئة قديمة قدم وجود الانسان ، وهى مختلفة من حيث سطحيتها وعمقها باختلاف قدراته وحاجاته ، فقد تكون هذه العلاقة بسيطة تهدف الى اشباع حاجات أولية بقدرات أولية .

٤ ـ ومهما يكن من الأمر فانه اذا كانت البيئة « الشاملة » تصنع الانسان فان الانسان بمرور الزمن يصنعها فى ضوء مطالبه المتزايدة .

والملاحظ أن الثمن الذى يدفعه الانسان اذا زادت طموحاته يكون فى العادة ثمنا باهظا .

٥ ـ والنظافة كقيمة ذات أهداف حميدة تتفق تماما مع تعاليم الديانة المسيحية والديانة الاسلامية ، وهما الديانتان السائدتان فى المجتمع المصرى . ومع ذلك نجد فى المناخ الثقافى الاجتماعى قيما ذات

أهداف غير حميدة وقد تضمنت الدراسة الحالية بعض الأمثلة منها ذكرتها فى حينها من قبل .

٦ ـ وقد أوضحت الدراسة الحالية بجلاء وجود « ظاهرة الازدواجية الثقافية » التى تعنى فى بساطة أن كل ما يقال لا يمارس .

ثانيا : الخاتمة :

كان بودى أن أقترح بعض التوصيات فيما يتعلق بمكافحة ما يترتب على آثار تلوث البيئة ، ولكنى لاحظت أنه على الرغم من وجود التشريعات الخاصة بمشكلات التلوث فى جمهورية مصر ، واهتمام المشرع المصرى بها منذ أوائل القرن الحالى ، وعلى الرغم من أن هذه التشريعات كانت تتعلق بالصحة العامة فى الأغلب الأعم ـ فقد تبين أن التشريعات وحدها لم تجد ، وذلك لأن الاشراف على تنفيذها مع الاهتمام بتربية أعضاء المجتمع لكى يأخذوا بها ويحترموها لم يكن سهلا وميسرا فى كل الحالات .

والمقصود بالتشريعات التى تعنى بالصحة العامة هو العناية بالبيئة الطبيعية مثل الهواء والماء والنبات والحيوان والضوضاء ، ومن الأمثلة على هذه التشريعات وبخاصة ما تعلق منها بالصحة العامة ، قانون ٧٦ لسنة ١٩٤٦ الذى اهتم بردم البرك والمستنقعات ، وقانون ٣٦ لسنة ١٩٦٧ الخاص بالنظافة العامة المتعلقة بالنفايات وفضلات الأغذية (القمامة) من حيث جمعها وتخزينها وجمعها ونقلها والتخلص منها ، وبناء الأسوار حول المناطق غير المستعملة وبخاصة التى تكون عاملا من عوامل التهديد بالصحة العامة .

ولعل من أهم التشريعات تلك التى تهتم بتعرض ألوان الطعام إلى عوامل الضرر بها وبخاصة اذا كانت مستوردة من الخارج ، والتى تهتم بالحماية من الهواء والماء والزراعة والضوضاء ، (بحث علمى إجراء أحمد عصام المليجى باللغة الانجليزية ، والمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ورقة عمل عن التشريعات الوقائية للبيئة ، ١٩٨٧) .

ومع ذلك فانني أؤكد ما سبق أن ذكرته من قبل من ان القوانين شيء وتنفيذها شيء آخر وان ما يقال شيء وما يمارس شيء آخر ، وان العبرة كل العبرة في ان يقتنع اعضاء المجتمع بما تنص عليه القوانين ، وذلك بغرس الشعور بالانتماء للوطن المفدى في نفوسهم ولن يحدث ذلك الا بالتربية التي تبدأ بجهاز الأسرة وبالجيرة وبالمدرسة وبالمؤسسة الدينية وبمؤسسة شغل أوقات الفراغ والمنظمات السياسية (ان وجدت) - وتنتهي بأجهزة الإعلام والثقافة .

٤ ـ الأساطير والخرافات فى تراثنا والعلم العصرى والتكنولوجيا الحديثة

من الملاحظ أن نتائج العلم العصرى والتكنولوجيا الحديثة تحيط بنا فى كل مكان وبخاصة ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين ، ان هذه النتائج هى مصدر هام من مصادر التغير الثقافى الاجتماعى فى كل المجتمعات سواء أكانت صناعية متقدمة أم مجتمعات نامية على اختلاف مستوياتها ، فنحن نعيش فى حقيقة الأمر فى ظل حضارة عالمية ، نجدها فى كل مكان فى العالم الذى نعيش فيه فى الوقت الراهن ، ان هذا العالم أصبح لعوامل عديدة مجرد قرية صغيرة ، بل نراه يتقلص فى كل يوم بل فى كل ساعة وفى كل دقيقة وثانية .

ولننظر مثلا الى ماتحقق فى ميادين ومجالات الطب والفلك وحتى أدوات الدمار ، ونحن فى وقتنا الحالى قد اجتزنا عصر البخار وعصر الكهرباء وعصر الطاقة النووية ، وأصبحنا فى عصر الالكترونات ، ذلك العصر الذى يسر للانسان تحقيق التنمية المادية والمعنوية ، وجعل فى الكومبيوتر ذاكرة للانسان ويسر له التفكير واجراء التجارب التى لم يكن يحلم بها البشر من قبل .

وأقصد بالتنمية المادية كل ما يتعلق ببناء المدن وتنمية الزراعة وتنوعها فضلا عن تنمية الحيوان ، وربما فى وقت قريب فى ضوء نتائج تجارب الهندسة الوراثية الجارية فى الوقت الراهن ان يكون للانسان نصيب فى هذه التنمية .

والتنمية المعنوية فى رأيى تلك التى تتصل اتصالا وثيقا بأهداف حياة الانسان الذى يعيش على وجه المعمورة ، فهى تتعلق بأنماط

سلوكه وعاداته وتقاليده ، وربما بصور اعتقاداته ، وأننى أرى أن تحقيق هذه التنمية سيكون بالضرورة عن طريق التغير الاجتماعى المقصود أى تغير المجتمعات الانسانية المخطط .

وعلى الرغم مما سبق أن ذكرته نجد أوكار الأساطير والخرافات لا تزال باقية وبخاصة فى البلاد النامية أو كما يقال عنها أحيانا بلاد « العالم الثالث » ، أقصد باقية فى المناخ الثقافى الاجتماعى الذى يسود مجتمعاتها ، فتراها تعيش فى أدمغة أبناء هذه البلاد ذكورا أو اناثا ، وبخاصة كبار السن منهم والعديد من الشباب .

والملاحظ أن مفهوم « الأساطير » يعنى ، لغة ، الأباطيل والأحاديث العجيبة ، أما مفهوم الخرافة ، لغة ، فانه يعنى « الحديث المستملح من الكذب » (أنظر : مجمع اللغة العربية : « المعجم الوسيط » الجزء الأول ، دار المعارف ، عام ١٩٨٠) .

وفى ضوء مراحل التاريخ ، نجد الأساطير المتنوعة فى العالم القديم وبخاصة فى المجتمع المصرى العربى لاتزال مستمرة ، وتتألف هذه الأساطير غالبا من قصص الأرباب والأبطال من حيث مولدهم وموتهم ، وحبهم وبغضهم ، وأحقادهم ومؤامـراتهم ، وانتصاراتهم وهزائمهم ، وأعمال الخلق والتدمير ، وهناك غير قليل من الأساطير القديمة ما يتعلق منه بالخلق ونظام الكون وشكل الانسان وحتى إقامة الحضارة . (انظر كتاب صموئيل نوح كرمر ، ترجمة أحمد عبدالحميد يوسف ، مراجعة عبدالمنعم أبوبكر ، « أساطير العالم القديم » القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، صفحة ٧) .

وفى ضوء نتائج البحوث والدراسات العلمية التى قمت باجرائها أو أشرفت على إجرائها وبخاصة ما تعلق بظاهرة إرسال الرسائل إلى الموتى ، وهى ظاهرة قديمة قدم الدهر ومازالت مستمرة ، لم أستطع أن أخفى دهشتى وعجبى من بعض الحقائق التى وصلت إليها ، وبخاصة الحقائق التى تتعارض مع تعاليم الدين الإسلامى الذى يعتنقه مرسلو هذه الرسائل .

ويبين البحث الذى يضمه كتاب « من ملامح المجتمع المصرى المعاصر : ظاهرة ارسال الرسائل إلى ضريح الامام الشافعى » ، أن الشكوى الى الموتى وطلب قضاء الحاجات منهم ، من الأمور التى كان يمارسها أجدادنا المصريون القدماء ، واتجهت إلى التساؤل عن موضوع العناصر الثقافية الاجتماعية الباقية من الحضارات القديمة والعوامل التى تساعد على ابقائها على الرغم من تغير بعض العناصر الثقافية الاجتماعية الأخرى فى المناخ الثقافى الاجتماعى الذى يوجد فى المجتمع .. أى مجتمع . لماذا ، مثلا ، كما يبدو ، ان الدين الاسلامى الحنيف لم يغير نظرة المصريين نحو ظاهرة الموت ونحو الموتى منذ أن اعتنقه هؤلاء ودخولهم فيه ، أى منذ عام ٦٤٠ ، ٦٤١ ميلادية .. ؟ أى على الرغم من مرور حوالى ١٣٢٥ عاما ميلاديا .

وتساءلت مرة أخرى قائلا : هل يكفى ان نقول ان مرسلى الرسائل إلى ضريح الإمام الشافعى ومن على شاكلتهم (تأكد للباحث ان المصريين المسيحيين يرسلون رسائل إلى قديسيهم الموتى طالبين منهم بعض الأمور أو يشكون إليهم آخرين) ، أشخاص مارقون ، قد أعماهم الجهل بتعاليم الدين الاسلامى الحنيف ، والدين منهم براء ، ولم تقنعنى هذه الاجابة ، وبدت فى تصورى أنها أسهل الاجابات وأيسرها ، ولكن ليس أسهل الأمور ، كما يعلم القارىء الكريم ، أصحها .

ثم توالت التساؤلات بقصد الوصول إلى العوامل الموضوعية لوجود ظاهرة إرسال الرسائل إلى الموتى ، ومن هذه التساؤلات لاحظت أن البعض يذكر أن وجود هذه الظاهرة حتى وقتنا الراهن مرجعه الى أنها نشأت نشأة طبيعية أصيلة ولم تكن مستعارة من الخارج ، ومن ثم نجد استمساك المصريين المعاصرين بها ، وبدا لى أن تغير بعض العناصر الثقافية الاجتماعية فى المناخ الثقافى الاجتماعى وحده لا يكفى ، فلعل تغير بعض العناصر الثقافية الاجتماعية القديمة على الرغم من كون نشأتها القديمة أصيلة ، لا يرجع ، وحده ، إلى تغير

المناخ الثقافى الاجتماعى فى المجتمع الذى توجد فيه ، أى لعل بقاء بعض العناصر الثقافية الاجتماعية فى المجتمع القديم واستمرارها على مر الأيام يرجع الى أمور أخرى غير تغير المناخ الثقافى الاجتماعى ، أو تغير بعض نواحيه ، فى المجتمع الذى تبقى فيه ، أو لعل بعض العناصر الثقافية الاجتماعية فى المناخ الثقافى الاجتماعى قد تتغير وتبقى فى الوقت نفسه بعض العناصر الثقافية الاجتماعية الأخرى . أى لعل حدوث التغير فى المناخ الثقافى الاجتماعى لا يكون متعادلا دائما ، وأخيرا وليس آخرا ، لعل ظروف النشأة الطبيعية الأصيلة التى أوجدت الظاهرة ، التى نحن بصددها ، أو ما يماثل هذه الظروف ، لا تزال قائمة ! .

ومن وجهة النظر الأخرى أذكر أنه اذا كان تغير المناخ الثقافى الاجتماعى ، وحده أو تغير بعض نواحيه لا يكفى فى تغير العناصر الثقافية الاجتماعية ، كلها أو بعضها ، فهل يعنى ذلك ضرورة وجود الاستعداد لهذا التغير عند أعضاء المجتمع ؟ وكيف يوجد الاستعداد عند أعضاء المجتمع أو حتى عند قادته ؟ هل يأتى الاستعداد عن طريق القهر ؟ هل يحتاج تكوين الاستعداد إلى مدة كافية ؟ هل يحتاج تكوين الاستعداد إلى ممارسة ؟ هل يحتاج تكوين الاستعداد إلى توعية معينة مستمرة ؟ وهل يكفى وجود الاستعداد للتغير عند أعضاء المجتمع ، أو حتى عند قادته ، وحده ؟ وإذا كان الجواب عن هذا السؤال بالنفى فهل لابد من وجود الامكانات التى تحقق مطالب هذا الاستعداد ؟ وما هذه الامكانات ؟ .

ثم استدركت قائلا : لماذا غيّر المصريون ، على مدى تاريخهم القديم المستمر ، الكثير من العناصر الثقافية الاجتماعية المادية منها وغير المادية ، لماذا جدد الزارع المصرى فى الحقل أدواته فى الزراعة والرى ونوّع فيها على مر الزمن ؟ لماذا جدد أنواع محصولاته فأضاف إليها نباتات جديدة من وقت لآخر ؟ لماذا جدد أنواع الحيوان المستأنس وأضاف إليها مالم يكن معروفا من قبل ؟ ولماذا غيّر المصريون لغتهم التى يتكلمون والتى يكتبون بها أكثر من مرة فى خلال

تاريخهم ؟ لماذا استبدلوا بدينهم دينا آخر مرة أو مرتين ؟ هل الاستعمار الطويل الذى عاناه المصريون مسئول عن قهر وجود الاستعداد للتغير فى محيط بعض العناصر الثقافية الاجتماعية ؟ هل كانت رواسب الظلم والقهر والاستبداد الناتجة عن هذا الاستعمار الطويل مسئولة عن معاناة الكثير من المصريين المستمرة ، من مواجهة المجهول ، ومن ثم نجدهم مستمسكين بمواجهة الانتظار فى صوره المختلفة ؟ .

ولاحظت أن محاولة الخوض فى هذه الموضوعات الخطيرة على المستوى النظرى فحسب ، محاولة لا تجدى كثيرا ، ورأيت ، بحق ، ان الدراسة الميدانية العلمية أجدى ما فى ذلك من شك (أنظر الكتاب سيد عويس : « من ملامح المجتمع المصرى المعاصر : ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى » ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار مطابع الشعب ، ١٩٦٥ ، صفحات ٣٨٥ ـ ٣٨٧) .

وقد بدا لى أن ظاهرة الكتابة ونشر أنباء الموتى على صفحات صحفنا اليومية ، على الرغم من أنها تبدو للكثيرين ظاهرة طبيعية لا غرابة فيها ـ لها علاقة وثيقة بالخلود الذى يراه المصريون بمعنى استمرار وجود الناس الروحى بعد موت أبدانهم .

والملاحظ أن التحدث عن ظاهرة الموت ، والتحدث عن ظاهرة الحياة ، والتحدث عن الموتى وما يتبع ذلك من التحدث عن فكرة الخلود أو الحياة بعد الموت ، فضلا عن التحدث عن فكرة وجود الله .. الخ كلها أمور قد شغلت الناس جميعا منذ أن مات أول انسان ، الناس على مر العصور .. الفلاسفة منهم والمفكرون .. الشعراء منهم والأدباء .. الفنانون منهم والعلماء .. الناس الذين يـوصفون بالمتحضرين والناس الذين يعيشون حياة بدائية أو حياة البداوة .. على السواء .

وأننى إذ أذكر كل ما سبق ، فاننى فى الدراسة الراهنة لا أعنى فى

كثير أو فى قليل باثبات أو عدم اثبات بوجود حياة بعد الموت ، اننى أعنى فى حقيقة الأمر ، ما كان يعتقده المصريون القدامى فى الماضى السحيق ولا يزالون يعتقدونه حتى وقتنا الحاضر ، ومع ذلك فاننى متأكد كل التأكيد على أن اعتناق فكرة وجود حياة بعد الموت أو عدم اعتناق هذه الفكرة يؤثران من غير شك على نظرة الناس ، المقتنعين منهم وغير المقتنعين ، نحو الحياة الحاضرة ، كما يؤثران على سلوكهم فى هذه الحياة ، ولذلك ، وهذا رأيى ، نجد أن الكثير من التضحيات العظيمة التى بذلت فى سبيل الجنس البشرى ، قد قام به أناس يؤمنون بعقيدة الحياة بعد الموت . (أنظر ، كتاب سيد عويس : الخلود فى التراث الثقافى المصرى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦ ، صفحات : ١١ و١٥٠ ـ ١٥١) .

وإذا كنت قد تحدثت عن مفهوم « الأساطير » من قبل من حيث معناه اللغوى وبعض مجالاته وأهدافه ، فأننى أرجو أن لا يمل القارىء إذ أقول بأن هناك من يعتبر دراسة هذه الظاهرة ، دراسة علمية ، وذلك لأن « الأساطير » كانت المحاولات الأولى للناس ، فى الأزمان الغابرة ، لتفسير ظواهر الطبيعة وظواهر المجتمع ، حيث كان ينقصهم التفسير العلمى لهذه الظواهر ، فلجأوا إلى « الخيال والأوهام » ، أى أن الأسطورة كانت ، عند القدماء ، وهى مستمرة حتى الوقت الراهن ، عبارة عن الاجابة عن السؤال : كيف تحدث ظاهرة طبيعية معينة أو ظاهرة اجتماعية معينة والاجابة عن السؤال : لماذا تحدثان ؟ (انظر المرجع السابق : هامش صفحة رقم ١٢) .

وكانوا أقصد الناس فى الأزمان الغابرة يعيشون فى الخيال والأوهام فعلا وحقا ، وبخاصة عندما كانوا يحاولون تفسير بعض الظواهر الطبيعية كالمطر والبرق مثلا أو بعض الظواهر الاجتماعية وبخاصة ما تعلق منها بالحظ أو البخت أو ايذاء الأعداء والانتقام منهم .. الخ . وإذ أقول إن هذه التفسيرات مازالت مستمرة فاننى أذكر ذلك وأنا على بينة من أمرى ومن الواقع الذى يحيط بالكثير من أعضاء المجتمع المصرى حتى وقتنا هذا .

والمدقق فى المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى يلاحظ وجود بعض العلوم السائدة فيه وأهمها :

- علم السيميا .
- العلم اللدنى .
- علم الفهلوة .

وانتشار الكتب المؤلفة التى تتعلق بكشف الطابع وفتح المندل والعلم الروحانى « علم الحكمة » ، وكتب « البونى » مثل كتاب « منبع أصول الحكمة » وكتاب « شمس المعارف ولطائف العوارف » وغير هذه الكتب والكتيبات كالتى ألفها « الطوخى » مثل « المندل والخاتم السليمانى » و« النور الربانى فى العلم الروحانى » و« دليل الحيران فى طالع الانسان » وغيرها وغيرها . تؤكد هذا الانتشار .

ويجب أن يعلم القارىء الكريم ان « علم السيميا » فى ضوء منهجه لا يرقى إلى أن يكون علما عصريا ، ولو حاولنا أن نعدد الميادين التى يهتم بها هذا العلم لوجدناها تضم كل ما يخطر على بنى البشر من أمور ، أمور تتصل بشئون حياتهم وحياة من حولهم أو تتصل بأحلامهم وأحلام من حولهم ، وقد تتضمن هذه الأمور ما يتعلق بالصحة وبالمرض وبالمحبة وبالعداوة وبقضاء المهمات وبجلب النفع وبدفع الضر ، وما يتعلق بالزواج أو الطلاق وبرفع الظلم ، وباستخدام الملائكة وباحضار الأرواح العلوية والسفلية وتسخيرها .

والملاحظ أن ما يخطر على بنى البشر من أمور يعكس العناصر الثقافية الاجتماعية للمناخ الثقافى الاجتماعى الذى يستظلون بظله ، المناخ الذى يكون بالضرورة وليد ظروفهم المعاشية ، اقتصادية أو سياسية أو ثقافية أو اجتماعية ، والأمثلة على ما يطلبه هؤلاء الناس ـ من أعضاء المجتمع المصرى المعاصر ـ من أمور يريدونها أن تتحقق عديدة جدا ، فهى فى ضوء البحوث والدراسات العلمية التى قمت باجرائها أو أشرفت على اجرائها ، عديدة جدا ، فهى كما بدا لى تتضمن كل علاقات هؤلاء الناس بعضهم ببعض ، أو معظمها ، منذ أن

يدخلوا فى هذه العلاقات حتى تنقطع .

والملاحظ ، أيضا ، أن « العلم اللدنى » لا يعترف بالعلوم الزائفة السابقة علنا ، وان اعترف بها ممارسة ، وهو لا يعترف أبدا بالعلم العصرى والتكنولوجيا الحديثة لاعلنا ولاضمنا ، فهذا العلم هو العلم ولا علم غيره ، والذين يدعون له يقولون كل شىء عنه ولا يثبتون شيئا عن وجوده ، فلا أدلة عندهم تدل على وجوده أو الفائدة المرجوة سواء كان ذلك فى الدنيا أو فى الآخرة .

أما « علم الفهلوة » فنجد أن المنتسبين اليه يدعون العلم بكل أنواع العلوم . فهم العلماء العصريون تارة ، وهم العلماء المزيفون حفظة التراث المصرى الأصيل تارة أخرى ، وهم العلماء اللدنيون الواصلون العارفون تارة ثالثة ، ولعل وجود هؤلاء فى مجتمع كمجتمعنا المعاصر مرجعه الى ضعف تأثير العلماء العصريين فى الوقت الحاضر ، ومن ثم إلى غلبة العلماء الآخرين ! ! .

ومريدو « علم الفهلوة » يدعون أنهم يعرفون كل شىء ويرون أن غيرهم لا يعرف شيئا ، انهم الذين رفعوا فى يوم منكود شعار « أهل الثقة » أولا ، ثم أهل « الخبرة » أخيرا وآخرا ، وكأن البلد بلدهم وكأن الوطنية مقصورة عليهم .

والفهلويون من هؤلاء فى كلمة هم الانتهازيون الملونون المتلونون المنافقون ، (أنظر كتاب سيد عويس ، قراءات فى موسوعة المجتمع المصرى ، القاهرة ، دار روزاليوسف ، ١٩٨٨ ، صفحات : ٦١ ـ ٦٦) .

والمطلع على كتاب « الغصن الذهبى » ل (ج . ج . فرايزر) فى نسخته المقتصرة يجد اهتمام المؤلف باسطورة « أوزوريس * » وزوجته وشقيقته « ايزيس ** » وابنها « حورس *** » من زوجها الميت ، ومؤامرة « ست » أخ « أوزوريس » لكى يجلس على عرشه ويتمتع بملكه .

(أنظر كتاب :

J.G. Frazer, The Golden Bough, Britain The MacMillan Press L. T. D, PP. 477 - 503

وأرجو أنْ يذكر القارىء الكريم ما تحدثت به عن البحث الذى يتعلق بارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى التى كانت ترسل إليه الرسائل التى تطلب قضاء الحاجات أو الشكاوى ضد آخرين ، وكان مرسلو هذه الرسائل يخاطبون « الامام الشافعى » وكأنه .

* يرى بعض الجهلاء أن سيدنا ادريس عليه السلام قد نزل إلى أرض مصر ، وعرفه المصريون القدماء باسم « أوزوريس » ، وهذا خطأ كبير فان « أوزوريس » اسمه الحقيقى « أوسير » كما عرفه المصريون ثم جاء الأغريق فاضافوا من عندهم الى اسمه الياء والسين التى يضيفونها الى كل الأسماء فقالوا عنه ان اسمه « أوزيريس » .

** اشتهرت « ايزيس » بلقب العظيمة فى أعمال السحر « نظرا لإلتجائها الى أعمال السحر للعثور على جثة زوجها وشقيقها ، واعادة الحياة اليها ، وللدفاع المستميت عن ابنها « حورس » ، واصرارها على تثبيته على عرش البلاد كوريث لأبيه « أوزوريس » الذى أصبح فى نظر المصريين القدماء منذ ذلك الحين « أمام الشهداء » .

*** شارك وهو شاب فى الانتقام لابيه من عمه « ست » وقد اشتد وطىء الموقعة بينه وبين « ست » حتى ان ذلك الاله الشاب « حورس » فقد عينه بيد « ست » عدوه وعدو أبيه ، ثم غلب « ست » على أمره واسترد الاله « تحوت » (اله الفجر وحاسب الوقت والكاتب الأول الذى علم البشر العلم والكتابة) أخيرا عين « حورس » المفقودة بأن تفل ذلك الاله الحكيم على الجرح فصحت وشفيت .

شخص حى وذلك على الرغم من مرور ما يقرب من الف ومائة وخمسين سنة ميلادية (عند نشر الكتاب الذى يتضمن البحث المشار إليه فى عام ١٩٦٥ ـ الطبعة الأولى) وقد لاحظت أن مرسلى الرسائل وهم يخاطبون « الامام الشافعى » سواء فى العناوين أو عن طريق توجيه الرسائل أو فى بداية الرسائل أو فى خاتمتها انهم يخلعون عليه ، فى معظم الأحيان القاب التعظيم وكأنه شخص ذو سلطان يعيش بينهم ، فهو مثلا : صاحب المقام الرفيع ، وهو صاحب الموكب العظيم ، وهو صاحب السيادة والفضيلة المحترم صاحب المجد والشرف ، وهو السيد وتاج الرأس وهو المولى ، وهو السيد الذى يتمتع ببركاته ، وهو « قاضى الشريعة ».

ويؤكد مرسلو الرسائل المشار اليها فى رسائلهم تعدد اختصاصات « الامام الشافعى » ، فهم اذ يشكون اليه ، تجدهم يبرزون قدرته على النظر فى أنواع متعددة من الشكاوى ، وهم اذ يطلبون منه طلبات ، تجدهم يظهرون قدرة « الامام الشافعى » على النظر فى أنواع متعددة من الطلبات ، هو قادر ، مثلا ، على فناء « اسرائيل » ، وهو قادر أيضا على « عقد جلسة هيئة المحكمة الباطنية » .

وقد لاحظت أن طلبات مرسلى الرسائل الخاصة بعقد جلسة المحكمة الباطنية أنها تؤكد لنا دور « الامام الشافعى » فيها ، وهؤلاء الأشخاص ، أقصد الذين يطلبون هذا المطلب .. يبدو اعتقادهم بوجود محكمة معينة فى العالم الباطنى أو السفلى ، وهى غير المحكمة العادية المعروفة طبعا ، فهى توجد فى خيالهم ، ويبدو أنهم توارثوها « ثقافيا » من الماضى السحيق ، وهى محكمة لها بالضرورة تشكيلها الخاص ووظائفها الخاصة كذلك ، ويرسل هؤلاء رسائلهم الى « الامام الشافعى » بوصفه قاضيا للشريعة ، وكل شكوى تتضمنها الرسائل تعتبر فى نظر مرسليها « قضية » يطلبون من « الامام وأعضاء المحكمة الباطنية » البت فيها فى احدى الجلسات ، ويكون الطلب عادة فى أقرب أو أسرع جلسة ، وهناك بعض الحالات قد يطلب من « الامام الشافعى » البت فى القضية وحده أو التحكيم فيها وحده ، أو

بالاشتراك مع بعض الأولياء فى بعض الأحيان ، وفى هذه الحالات لا يذكر عقد احدى الجلسات صراحة ، وتكون الصيغة المعتادة للطلبات الخاصة بالنظر فى القضية ان يكون ذلك : « باقرب جلسة والحكم بالنفاذ ويكون ذلك الحكم مشمولا بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الكرام والأربعة الأئمة والأربعة الأقطاب وصاحبة الشورى رئيسة الديوان السيدة زينب بنت الامام على رضى الله عنها وأرضاها وأخويها الحسن والحسين وجميع الأولياء »..

وقد تبين لى فى ضوء نتائج البحث المشار إليه أن « النص على سيدنا الحسن (وخصوصا بالأكثر) سيدنا الحسين والسيدة زينب بنت فاطمة الزهراء هو السائد بين الأولياء الذين يذكرهم مرسلو الرسائل إلى « الامام الشافعى » وقد يضاف إلى هؤلاء فضلا عن « الامام الشافعى » « السيدة نفيسة » وقطب الرجال المتولى (الكون) و« سيدى الرفاعى » و« الامام الليث » . وقد وجدت فى احدى الرسائل يطلب مرسلها من « الامام الشافعى » : « بأنك تحضر معك فى الجلسة الشريفة سيدنا الحسن وسيدنا الحسين والست زينب أم هاشم وجميع أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ... » ..

وفى ضوء نتائج بعض الدراسات التى قمت باجرائها تأكد لى أن المصريين القدامى كانوا يعتقدون اعتقادا راسخا بأن للموتى نفوذا كبيرا الى درجة أنهم يؤثرون فى مصائر الاحياء فى السراء والضراء ، وبناء على هذا فانهم يطلبون العون من الموتى الذين يمكنهم ان يعتمدوا على حبهم ورحمتهم ، والمصريون القدامى اذا يكتبون رسائلهم الى هؤلاء الموتى قد يشيرون فيها إلى أمور أحدثت لهم الأضرار من أشخاص لا يعرفونهم أو من أشخاص يعرفونهم ، وقد يطلب أحدهم من أحد الموتى الأعزاء عليه أن يرفع دعوى ضد شخص ميت آخر ، أذاه أو أضر به على أساس ان الاثنين يسكنان فى مدينة واحدة (مدينة الموتى) وان الكتبة المتخصصين موجودون فى نفس المدينة ، اى ان المحكمة المتخيلة موجودة فعلا فى عالم الأموات ، وتسمى كما أكدت النصوص « محكمة الاله الأعظم فى مدينة الأموات » .

وقد تساءلت عن قاضى المحكمة « الاله الأعظم » ، وقلت : من يكون هذا الاله الأعظم ، وقد تساءل غيرى من علماء الآثار المتخصصين أمثال « الان جاردنر » و« أ . بينانكوف » و« ج . كلير » الذين رجعت الى مؤلفاتهم لأعب من المعرفة التى تضمها هذه الكتب .

وكان الرأى الراجح أن هذا « الاله الأعظم » هو « إله الغرب » أو « الاله الأعظم فى مدينة الأموات » (يقصد به « الاله أوزوريس » (أنظر :

— A. H. Gardiner and K. Sethe, ''Egyptian Letters to the Dead,'' London, 1928, PP. 9-11.

— A. Piankoff and J. Clare, ''A letter to the dead on a Bowl In Louvre,'' Reprinted from ''The Journal of Egyptian Archeology'', Vol. XX Parts III and IV, 1934.

— Alan Gardiner, ''Egypt of the Pharaohs : An Introduction'', Oxford, the Clarendon Press, 1961, P. 456.

والملاحظ أن "اوزوريس" كان يدعى فى الماضى السحيق بلقب "اوزوريس ملك ديدو" . وقد اشتهرت "ديدو" هذه كمركز دينى هام لعبادة "اوزوريس" وسميت فى العصور المتأخرة من تاريخ مصر باسم "بوزيريس" أى بيت "اوزوريس" ، وتسمى الآن "ابوصيربنا" وتقع على الضفة الغربية لفرع "دمياط" جنوب غربى "سمنود" بمحافظ الغربية فى وسط الدلتا . وذكر "هيرودوت" الذى زار مصر فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد أنه كان بهذه المدينة معبد آخر للمعبودة "ايزيس" وانه كان يقام بها سنويا احتفال كبير حزنا على "اوزوريس" الذى كانوا يعتقدون ان احد اجزاء جسمه كان مدفونا بها ، وكان يلطم المحتفلون الخدود فى ذكرى مصرعه على يد أخيه الغادر "ست" ، ويرمزون بذلك الى دخول فصل الشتاء . كما فرحوا ببعثه فى استقبال ربيع الحياة بين يدى فيضان النهر . (انظر : كتاب

محمد صقر خفاجة : "هيرودوت يتحدث عن مصر" ، تقديم وشرح أحمد بدوى ، القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٦ ، صفحات ١٥٩ ـ ١٦٠ و ١٦٣) .

ولعل القارىء الكريم قد استنبط ما فعله "ست" بأخيه أوزوريس وما فعلته "ايزيس" زوجة الاخير وشقيقته ، وما حدث عن طريق "ايزيس" ل "حورس" بفضل مجهوداتها . واننى استسمح القارىء لكى يعفينى من ذكر التفاصيل عن هذه الأمور الخطيرة . ولكنى أود أن يتفق معى القارىء الكريم فى أن بعد مؤامرة اخيه قد مزقت جثته وقُطعت اربا اربا ، كما تقول الاسطورة ، "ايزيس" التى بفضل قدرتها الفائقة وعظمتها فى أعمال السحر استطاعت ان تحيى الجثة بعد ان جمعت أشلاءها وحملت فى "حورس" تماما كما حدث "للأمام الحسين" (أحمد أعضاء المحكمة الباطنية) فى "كربلاء" حين تكاثر الجيش (أقصد جيش عبيد الله بن زياد والى يزيد بن معاوية) واستشهد كل صحبه ، ثم استشهد "الامام الحسين" بعد ذلك وقطعت جثته بعد ان طعن بالرماح والسيف حتى لفظ نفسه الاخير رضوان الله عليه . وقد وجد بجسده ثلاث وثلاثون طعنة واربع وثلاثون ضربة غير الرمية بالنبل والسهام . ثم كان من نصيبه أن ذبح واجتث رأسه ، ثم بدأ بعض أعضاء الجيش (جيش ابن زياد) فى سلب ما كان عليه من كساء . وترك "الامام الحسين" وهو يكاد أن يكون عاريا . ولم يكتف اعداؤه بذلك بل وطأت الخيل جثته كما أمر "ابن زياد" حتى رضوا صدره وضهره . (انظر كتاب سعاد ماهر محمد : "مساجد مصر وأولياؤها الصالحون" ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٧١ ، صفحات ٣٤٨ ـ ٣٦٠) .

وكان من أهل بيت "الامام الحسين" الذين رافقوه شقيقته "السيدة زينب" بنت "السيدة فاطمة الزهراء" . حضرت المأساة وكانت "بطلة كربلاء" اذ كانت السيدة الأولى التى ظهرت فى اللحظة الحرجة ، تأسو المكلوم وتثور للضحايا والشهداء . وفوق هذا وذاك

أخذت على عاتقها حماية السبايا من الهاشميات ورعاية غلام مريض هو : "زين العابدين بن الحسين" . ومن هنا جاءت كنيتها "أم هاشم" . ويرى بعض المؤرخين ان موقف "السيدة زينب" بعد المعركة هو الذى جعل من "كربلاء" مأساة خالدة . و"السيدة زينب" عند المصريين المعاصرين هى ليست فقط "أم هاشم" بل هى أيضا "صاحبة الشورى" و"رئيسة الديوان" وهى كذلك "غفيرة مصر" ، وهى أولا وليس أخرا من "آل البيت" يذكرها مرسلو الرسائل الى ضريح "الامام الشافعى" بكل تجلة وبكل احترام ، ويطلبون منها السر ، ويلحون فى الطلب فى ان تشترك فى نظر الشكاوى وتحقيق الطلبات ، ويؤكدون على ذلك بالنص على اسمها بالذات .

وقد هيأت الظروف لان تشغل "السيدة زينب" مكان الأم الحبيبة بالنسبة لاخويها "الامام الحسن" و"الامام الحسين" ولاختها "أم كلثوم" ، اذ الروايات تجمع على أن أمها "السيدة فاطمة الزهراء" أوصتها وهى على فراش الموت ان تصحب "اخويها" وترعاهما وتكون لهما من بعدها أما . وبعد ان مات "الامام الحسن" اصبحت "السيدة زينب" الأم والشقيقة "للامام الحسين" .

واستشهد "الامام الحسين" كما ذكرت من قبل فى موقعة "كربلاء" ، وسيقت "السيدة زينب" مع الاسرى والسبايا فكان أبشع موكب شهده التاريخ ، وجاز الركب ساحة المعركة "حيث الاشلاء مبعثرة "فصاحت "السيدة زينب" : "يامحمداه صلى الله عليك ملائكة السماء ، هذا "الحسين" بالعراء مرمل بالدماء ، مقطع الاعضاء ، يامحمداه هذه بناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفى عليها" . (انظر كتاب : "مساجد مصر واولياؤها الصالحون" ، الجزء الأول ، صفحات ٩٢ ـ ٩٦) ، انظر ايضا ـ محمد جواد مغنية : "الحسين وبطلة كربلاء" ، بيروت ، بيروت ، دار التعاون للمطبوعات ، ١٩٧٣ ، صفحة ٢٤ وصفحات ٢٠٨ ـ ٢١١) .

والملاحظ ، وهذا رأيى وأرجو أن يكون القارىء الكريم ، أن سيرة

مثل سيرة "الأمام الحسين" ، فى ضوء التراث الثقافى الاجتماعى المصرى لابد أن تجد صدى فى وجدان كل مصرى مافى ذلك من شك . فالمصرى القديم قد عرف "أوزوريس" وشقيقته "ايزيس" ووعى قصة استشهاده وعاشت فى نسيج كيانه على مر الزمان . وكل من يعقد المقارنة الموضوعية بين قصة (اسطورة) "أوزوريس" (امام الشهداء) وقصة "الامام الحسين" (سيد الشهداء) و"شقيقته" "السيدة زينب" التى حلت محل شقيقته "أوزوريس" "ايزيس" ، يلاحظ انه اذا كانت "ايزيس" قد وقفت الى جانب "أوزوريس" فى ولاء لتصد اعداءه وتحافظ عليه فان "السيدة زينب" قد فعلت نفس الشىء . وكلتاهما فشلتا ، فاعداء "أوزوريس" استدرجوه الى الموت بالحيلة والخيانة ان لم يكن جهارا حتى تغلبوا عليه فى النهاية . وفعل أعداء الامام الحسين ذلك أيضا . استدرجوه الى الموت بالحيلة والخيانة حتى تغلبوا عليه .

ويبدو لى ان مكانة الآلهة المصريين القدماء قد انتقلت فى فترات التحول فى تاريخنا المصرى "بعملية توفيقية" ، الى الانبياء والقديسين ثم الاولياء .

وقارىء كتابى "الخلود فى التراث الثقافى المصرى" الذى ذكرته من قبل ، يجد بعض ما ذكرته حيث أقول :

"... فلما دخلت المسيحية ثم الاسلام الى مصر لم يجدا فى شعب مصر أرضا بكرا أو صحراء جرداء ، لان مصر كانت تعرف "اوزوريس" واستشهاده ، ثم بعثه ، كما تعرف شقيقته "ايزيس" قبل ان يطرق آذانها البشارة المرقسية عن "الفادى" المخلص "وامه مريم العذراء" . وكذلك كانت تعرف الوحدانية العالمية قبل أن يغزو أرضها جيش عمر بن العاص . لهذا احتضنت هذين الدينيين ، وتمثلت رموزهما وأسرارهما الشبيهة اشد الشبه بما كانت تعى من رموز واسرار" .

وفى عام ١٩٧٠ نشرت كتاب : "حديث عن الثقافة : بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة" . وقد ذكرت اذ تحدث عن مكانة "الامام الشافعى" قائلا :

"كان المذهب الاوزيرى (نسبة الى اوزوريس) فى القديم مذهب أغلبية ابناء الشعب المصرى ، صادف هوى فى نفوسهم كما صادف دواما . واليوم يحل محل هذا المذهب فى شعبيته المذهب الشافعى ، فهو مذهب الكثيرين من أبناء الشعب المصرى المعاصرين .

واذا كان أوزوريس آله الآخرة فى العالم "السفلى" وقاضى القضاه الذى يحاكم أرواح المتوفين ويحاسبهم ويزن اعمالهم ، فان "الامام الشافعى" يبدو فى نظر الكثيرين من أبناء الشعب المصرى المعاصر وكأنه "أوزوريس" ، اى أنه توحد به . فهو عندهم قاضى القضاة الذى يرأس هيئة المحكمة الباطنية ويحكم فيها بين الناس بالعدل" . (هذه المحكمة هى محكمة المحاسبة الاخروية) (انظر كتاب سيد عويس : "الابداع الثقافى على الطريقة المصرية : دراسة عن بعض القديسين والاولياء فى مصر" ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٨١ ، صفحات ٢١ ـ ٢٤ ـ ٣٧ ـ ٥٢ ـ ٦٠ ـ ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٩٣ ـ ٩٩) .

ومع ذلك فاننا اذ نشير هنا الى محكمة "أوزوريس" نشير فى الواقع الى "محكمة الآله الاعظم فى مدينة الاموات" . واننى اتساءل فأقول : هل هى التى اطلق عليها مرسلو الرسائل الى "ضريح الامام الشافعى" "المحكمة الباطنية" ؟ ان "أوزوريس" وهو يرأس محكمته كان ميتا . و"الامام الشافعى" وهو يرأس محكمته قد مات فعلا . فهل اسطورة "أوزوريس" أكدت توحيد الامام "الشافعى" به . وهل الدور الذى ادته "ايزيس" فى محنة "أوزوريس" قد اكد دور "السيدة زينب" فى محنة "الامام الحسين" مع ملاحظة أن "الامام الحسين" و"السيدة زينب" وغيرهما من اولياء الله الصالحين هم أعضاء المحكمة الباطنية التى يرأسها "الامام الشافعى" المشار اليه .

هذه كلها أفكار تأملية أجازف بذكرها فى هذا الصدد ، راجيا أن يأخذ بها القارى الكريم أو يعدلها أو يرفضها فالكمال لله وحده .

★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★

وأرجو أن يتذكر القارىء الكريم عندما تحدثت عن مفهوم "الخرافة" ، لغة ، وقلت ضمن ما قلت أنه "الحديث المستملح من الكذب" أننى قد قصدت بذلك ، فى بساطة ، الايمان الفاسد ، وهو ضد الايمان الصادق . ولعل هذا المفهوم ، أقصد مفهوم "الخرافة" يعنى مفهوم "السحر البدائى" ، وان "العبارة الخرافية" تعتبر صيغة (أو وصفة) تفسر موقفا معينا أو ظاهرة معينة أو تحقق اشباع حاجة معينة ، أو تحذر من شر معين .

الملاحظ أنه لا يخلو مجتمع من المجتمعات البشرية ، فى الوقت الحاضر ، من وجود بعض الخرافات فيه . وظاهرة هذه الخرافات لا تعنى بالضرورة أبدية هذا الوجود . فبالعلم العصرى والتكنولوجيا الحديثة وتهيئة الظروف الثقافية الاجتماعية ذات الأهداف الحميدة ، فضلا عن اتاحة فرص المناقشة الحرة والحوار الناضج المثمر لدى أعضاء المجتمع لكى تتضح الرؤية عندهم ويجدوا البدائل السوية ـ نلاحظ تقلص تأثير "الخرافة" على العقول فى الكثير من المجتمعات وبخاصة فى عصرنا الحالى .

ومع ذلك فاننا نلاحظ قوة هذا التأثير (تأثير الخرافة) فى المجتمعات التى تعيش فى رواسبها الثقافية الاجتماعية البالية لا تزال . وهذا التأثير على عقول الناس وتصرفاتهم ليس فى رأيى امرا مطلقا . فقد يكون منتشرا فى محيط طبقة أو فئة من الناس فى المجتمع ، وقد يكون وجوده ضئيلا فى محيط طبقة أو فئة أخرى من الناس فى نفس المجتمع .

وفى ضوء ظروف مجتمعنا المصرى المعاصر ، التى سبق أن أوضحتها ، نلاحظ أن بعض العناصر الثقافية الاجتماعية المستمرة فيه يتضمن رواسب ثقافية اجتماعية بالية . وتتمثل هذه الرواسب فى

بعض الخرافات . ولعل دراسة عينة منها ان ييسر فهمها فهما موضوعيا حتى يمكن مواجهتها أو توجيهها الى الافضل .

وفى هذا الضوء نجد بعض الخرافات المتعلقة بالزواج ، وبعض الخرافات المتعلقة بالحمل والولادة ، وبعض الخرافات المتعلقة بانجاب الأطفال ورعايتهم . أى ان الخرافات السائدة تلك التى تتعلق بمسائل حيوية يهتم بها أعضاء المجتمع المصرى على مر العصور ، أى منذ الماضى القديم قدم الدهر المستمر استمرار الحياة . فأعضاء هذا المجتمع ، اطفالا أو صبايا أو شبانا أو شابات أو رجالا أو نساء يرحبون بالطفل المولود . فولادته تفرح الجميع . تفرح الاهل والاقارب المقربين وغير المقربين كما تفرح الغرباء ، على السواء . وقد يتفاوت نوع الترحيب اذا كان الطفل المولود "ذكراً" أو اذا كان المولود "انثى" أو اذا كان بين الأهل "ضرة عاقر" ، ومهما يكن من الامر فأننا نلاحظ أن الام الوالدة تصبح شخصا آخر . لقد قامت بالمعجزة ، صنعت مخلوقا منها وهى مخلوق أصلا . ومن ثم فان رعايتها وبخاصة فى أيام ولادتها الأولى تكون من حظها ونصيبها .

والملاحظ أن أثمن مافى المجتمع المصرى هم أعضاؤه . والاهتمام باطفال هذا المجتمع مسألة لا يختلف عليها اثنان . ويبدو أن ذلك مرجعه ، أولا وأخيرا ، الى ما يحفظه الملايين من المصريين المعاصرين فى أعماق أعماق قلوبهم من الماضى السحيق ، منذ آلاف السنين ، من تراث انسانى انبثق من المجتمع الذى عاش فى رحابه أجدادهم الاقدمون واستمر حتى وقتنا الراهن .

وقد حفظ هذا التراث تعاليم "آتون" منذ نحو ٣٥٠٠ عام ، إذ تقول "أنشودة خلق الانسان" :

" انت خالق الجرثومة فى المرأة
والذى ذرأ من البذرة أناسيا
وجاعل الولد يعيش فى بطن أمه
ومهدئا اياه حتى فى الرحم

وانت معطى النفس حتى تحفظ الحياة
على كل انسا خلقته ،
وحينما ينزل من الرحم (امه) فى يوم ولادته
فانت تفتح فمه كلية
وتمنحه ضروريات الحياة" (انظر كتاب : جيمس هنرى برستد : "فجر الضمير" ، ترجمة سليم حسن ، القاهرة ، مكتبة مصر ، ١٩٥٦ ، صفحتا ٣٠٣ ـ ٣٠٤ .

وفى ضوء ما ذكر عن اسطورة "أوزوريس" الذى سبق ان تحدثت عنها ، نجد أن روح المتوفى وهو يحاكم أمام محكمة العدل فى الآخرة الذى يرأسها "أوزوريس" (كما تقول الاسطورة) ـ تعدد خطاياها التى لم يرتكبها المتوفى .. حتى تقول الروح "انى لم اغتصب لبنا من فم طفل" . أى أن التراث الثقافى الاجتماعى المصرى القديم قد حفظ هذا الدستور الرائع الذى يحرص على حماية الطفل ووقايته وعدم اغتصاب حقوقه . (انظر الكتاب : "الخلود فى التراث الثقافى المصرى" ، صفحات ٧١ ـ ٧٣) .

وتعاليم الديانة المسيحية والديانة الاسلامية تؤكد الاهتمام بالأطفال ورعايتهم ومحبتهم وتربيتهم وتحض على الرأفة بهم . فهم أى الأطفال زينة الحياة الدنيا . ومن حقوق الوالدين أن يبر ابناؤهما بهما ومن حق الابناء أن يعينهم الوالدان على برهم بهما . واكدت الاحاديث النبوية المساواة بين الاولاد فى العطية . ونلاحظ أن الشارع الاسلامى اثبت على الاولاد ولايات ثلاث منذ ولادتهم :
- ولاية التربية والرعاية .
- والولاية على انفسهم .
- والولاية على اموالهم . (انظر دراسة غير منشورة ل محمد سلام مدكور : "بحث احتياجات الطفولة فى ج . ع . م)

والأمثلة الشعبية والاقوال المأثورة التى هى فى الواقع "خرافات" بالمعنى الى تبنته الدراسة الحالية نجد مايلى :

- لبس ابنك خلاخيل فى رجله يحفظه من العين .
- وضع الخمسة وخميسة على صدر العيل يحفظه من الحسد .
- دقى لابنك علشان يعيش .
- تخريم ودن العيل يخليه يعيش .
- لبس حلق فى ودن ابنك علشان يعيش .
- سمى ابنك "شحات" ولا "خيشة" ولا "شمردل" علشان يعيش .
- اشحتى على عيلك علشان يعيش .
- دق المية فى الهون يخلى اللى مابيتكلمشى يتكلم .
- تقول الام المصرية : "اللى يدى ابنى بلحة تنزل حلاوتها فى بطنى" .
- الواد يطلع لخاله .
- اكفى القدرة على فمها تطلع البنت لامها .
- ابن الوز عوام .
- يخلق من ضهر العالم فاسد ومن ضهر الفاسد عالم .
وغيرها وغيرها .

وقد تضمن التراث الثقافى الاجتماعى المصرى امعانا فى الاهتمام بولادة الأطفال بيانا عن اوقات الولادة وتأثير هذه الاوقات على سلوك الأطفال ومصيرهم فى مستقبل حياتهم ! وفى ضوء المنطق السليم والمنهج العلمى الحديث لا يمكن ان تعتبر هذه الاوقات الا مجرد "خرافات" غير ذات قيمة . ومن ذلك نجد مثلا :

- من ولد فى الصباح يكون ناجحا فى أموره عظيم الشأن كثير المال .

- من ولد فى طلوع الشمس كان طالبا فى جميع اموره ولا يكون الا ما يطلب .

- من ولد فى الضحى كان رزقه بالتعب والمشقة والضنك .
- من ولد عند الظهر كان طاهرا بين أهله عالى الرتب .
- من ولد فى العصر كا[illegible]يزا بين اخوته .

- من ولد عند الغروب كان سريع الرضا والغضب .
- ومن ولد فى وقت العشاء كان سخيا عفيفا .
- ومن ولد فى آخر الليل كان مجاب الدعوة مشتغلا بالعبادة ملازما لها . (انظر : كتيب المحقق المدقق اليونانى الفيلسوف الشهير بابى معشر الفلكى ، "فيه طوالع الرجال والنساء بالتمام والكمال ، ويليه الطالع الحدسى" ، القاهرة - مكتبة الجمهورية العربية ، صفحة رقم ٨) .

ويلاحظ ان أهم طقوس ما بعد الولادة ما يحدث فى يوم "السبوع" ونجد الاغلبية الساحقة من المصريين على اختلاف مكاناتهم الاجتماعية ومستوياتهم الاقتصادية والثقافية يحتفلون ب "سبوع المولود" . والمسلمون المصريـون يحتفلون بهـذه المناسبـة والمسيحيون المصريون (من اتباع المذهب الارثوذكس أو غير ذلك) يفعلون ذلك أيضا . كل حسب امكاناته ومقدرته .

وفى خلال هذا الاحتفال توضع فى اليوم السادس ليلا "قلة السبوع" اذا كان المولود بنتا أو يوضع "ابريق السبوع" اذا كان المولود ولدا ، وعدد من الشمع حولها وتشعل الشموع . ويوضع الكل فى "صينية" بها ماء ، ثم توضع حبات من "الفول" التى تنقع فى الماء . ويعطى المحتفلون فى اليوم التالى (السابع) سبع فولات يضعها كل واحد منهم فى كيس نقوده أو فى جيبه طلبا للرزق والبركة !. والماء الذى يكون عادة فى القلة أو الابريق يشربه اعضاء الاسرة فى صباح "يوم السبوع" من أجل ان تزيد روابط الاسرة فيما بينها وبين المولود الجديد . ويكون أول الشاربين فى العادة شخص "باله طويل" . وتغطى "القلة" أو "الابريق" ببيضة مسلوقة عادة يأكلها فى الصباح شخص "مسن" حتى يعيش المولود الجديد طويلا .

كل هذه الخرافات وغيرها مثل اطلاق البخور والترنم بعبارات "حرجلاتك برجلاتك ، حلقة دهب فى وداناتك (اذا كان الطفل بنتا) أو بعبارة "ياربنا ياربنا يكبر ويبقى قدنا" (اذا كان الطفل ولدا) ، ودق

الهون ، والغربال ودحرجته حتى يمشى الطفل فى أوانه ... الخ يُمارسها أهل المولود تيمنا ومعتقدين فيها اعتقادا شديد الرسوخ . وحتى الذين لا يرون من ورائها طائلا فهم ينتهزون الفرصة لكى يفرحوا ويسعدوا انفسهم وجيرانهم واولاد جيرانهم وبناتهم . (انظر : فتوح احمد فرج : "المأثورات الشعبية الأدبية للطفولة والأطفال : دراسة ميدانية بالسنبلاوين ، رسالة ماچستير غير منشورة" ، مارس عام ١٩٧٦ ، صفحتا : ٢٩ ـ ٣٠) .

وأرجو ان يلاحظ القارىء الكريم ما ذكرته فى صدر هذه الدراسة عن العلم العصرى وتطبيقاته (التكنولوچيا الحديثة) . واننى اذ أتحدث عن هذا الموضوع مرة أخرى أود أن أذكر ان هذا العلم قد بشر ببداياته علماء مسلمون أفاضل ابتداء من "جابر بن حيان" (مات فى عام ٨٠٣ م) أى منذ القرن الثامن الميلادى ، وان استيراد الافكار من خارج نطاق الثقافة الاسلامية موضوع وارد . ويكفى أن نذكر فى هذا الصدد "العصر الاسلامى الذهبى" فى خلال المدة من القرن الثامن الميلادى الى القرن العاشر الميلادى والترجمات لامهات كتب الاغريق الى اللغة العربية . والمقصود بهذه الكتب كتب الفلاسفة والعلماء الذين ذهبوا الى مصر القديمة طلبا للعلم المقدس "كافلاطون" (٤٢٨ ـ ٣٤٨ ق . م) و"سولون" (٦٤٠ ـ ٥٥٩ ق . م) و"طاليس المالطى" (٦٢٤ ـ ٥٤٨ ق . م) و"فيثاغورس" (٥٨٢ ـ ٥٠٧ ق . م) .. الخ . كما ذكر الجهود التى بذلها علماء وفلاسفة أفاضل من اجل ازدهار العلم والفلسفة من أمثال "الكندى" (مات فى عام ٨٧٣ م) و"الفارابى" (مات فى عام ٩٥١ م) ، و"الرازى" (مات فى عام ٩٢٥ م) و"ابن سينا" (مات فى عام ١٠٣٧ م) ، و"البيرونى" (مات فى عام ١٠٤٨ م) ، و"ابن رشد (مات فى عام ١١٩٨ م) ـ (انظر كتاب :

Maurice Gaudefroy - Demomlyes, "Mu lim Institutions", - London, George Allen and UN Win L.T.D., 1950, PP. 205-206.

(انظر ايضا : دراسة سيد عويس : "حول موضوع الهوية والتراث : وجهة نظر ثقافية اجتماعية" ، المركز الاقليمى العربى للبحوث

والتوثيق فى العلوم الاجتماعية ، القاهرة ، ندوة "تكنولوجيا تنمية المجتمع العربى ، ٩ ـ ١٠ من شهر نوفمبر عام ١٩٨٥ ، صفحة ٢٥٥) .

وانني ارى ، وارجو ان يرى القارىء الكريم ما ارى ، **انه لدراسة المجتمع** المصرى العربى دراسة موضوعية ، **يجب أن ندرس واقعه** فى ضوء تاريخه وفى ضوء علاقته بالدول النامية أو دول العالم الثالث وبخاصة الدول العربية والاسلامية الشقيقة ، فضلا عن الدول المتقدمة أو الصناعية وعلى رأسها مجتمع الاتحاد السوفييتى ومجتمع الولايات المتحدة اللذان آراهما فى ضوء ظروف مجتمع العالم المعاصر عملاقين حيث يملكان من المناهج العلمية العصرية وتطبيقاتها (التكنولوجيا الحديثة) مالا يملكه مجتمع آخر . وذلك لان الحضارة ، اليوم ، أصبحت حضارة عالمية ينعم ويشقى بها الناس ، كل الناس ، الذين يعيشون اليوم على وجه المعمورة .

والملاحظ ان "مفهوم العلم" كما تتبناه الدراسة الحالية هو عبارة عن الخبرات الانسانية المنتظمة . ومن ثم فهو مصدر من مصادر المعرفة الانسانية . والملاحظ ، أيضا ، ان الدين مصدر آخر لهذه المعرفة ، وعلى الرغم من أن العلم العصرى يعمل فى ظل الشعار القائل "لا شىء يأتى من لا شىء" وفى ظل الشعار "لا شىء مطلق" ، ويسعى دائما فى هذا الضوء الى الاجابة عن السؤالين كيف ؟ ولماذا ؟ فانه من الملاحظ ثالثا ان الوصول الى النتائج فى نطاق العلم العصرى يحتاج الى البرهنة الموضوعية . اما الوصول الى النتائج الدينية فلا يحتاج الا الى الايمان . ولقد كان "نيقولا كوبرنكوس" (١٤٧٣ ـ ١٥٤٣ م) اسقفا من اساقفة الكنيسة ، وكان بطبعه شديد التدين ، وكانت الكنيسة فى عصره تدعو الى العقيدة الدينية التى تقتضى حيئنذ ان تكون الأرض "موطن الانسان" مركز الكون ، وان تكون كذلك ثابتة لا تتحرك . ولم يمنع كل هذه الامور "كوبرنكوس" من ان يكون باحثا موضوعيا ، رأى ان الشمس هى مركز النظام الشمسى .

وعلى الرغم مما حدث للفيلسوف "برونو" (١٥٤٨ ـ ١٦٠٠ م) عندما جهر بقبوله للنظام الكوبرنيكى وعد ذلك منه خروجا وهرطقة على الكنيسة وحوكم فى عام ٥٩٤ م وحكم عليه والقى فى غياهب السجن . وفى عام ١٦٠٠ م حكم عليه بالموت حرقا ـ لم يمنع كل هذا "كبلر" (١٥٧١ ـ ١٦٣٠ م) و"جاليليو" (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢ م) وغيرهما من ان يكونوا باحثين موضوعيين . فالعلم العصرى يقتضى الموضوعية والا لا يكون علما . فهناك فرق بين ان يقول العالم العصرى "أنا أعرف" وبين أن يقول "أنا أشعر" أو "أنا اعتقد" .

وفى هذا الضوء ، نلاحظ ان العالم العصرى فى استطاعته ان يبحث "الظاهرة الدينية" وان الدين فى ضوء طبيعته لا يحاول دراسة الظواهر العلمية وما يتصل بها .

واذا كانت الفلسفة تتأثر بالعلم العصرى ، فهو تؤثر فيه كذلك . فالفلسفة وبخاصة المادية ، كما أرجو ان يعلم القارىء الكريم ، تستند الى هذا العلم . والملاحظ ان "العالم العصرى "مثله مثل أى انسان ، وهو يطبق المنهج العلمى يعيش فى ظل فلسفة اجتماعية معينة . اى يكون له موقف تجاه الانسان والعلاقات الاجتماعية والمجتمع والحياة بصفة عامة . ويكون هذا الموقف عادة من وراء سلوك "هذا العالم" عندما يحدد أهداف بحثه وعندما يختار موضوع بحثه وعند تفسير النتائج التى يستخرجها من هذا البحث . وقد تكون هذه الفلسفة بقصد التغيير من أجل مصلحة الملايين من أعضاء المجتمع ، أو يكون هذا التغيير كما هو فى المجتمع الرأسمالى من أجل حفنة من أعضاء هذا المجتمع . والملاحظ ان سيادة فلسفة ثقافية اجتماعية معينة فى مجتمع ما أمر متوقع ، فالمجتمعات متباينة ، ومن ثم فان فلسفاتها الثقافية الاجتماعية السائدة متباينة كذلك . وتأثر الباحث العلمى وهو يحدد أهداف بحثه وعند اختيار موضوع من الموضوعات لبحثه وعند تفسير نتائجه لا يمكن ان "ينفى" موضوعية هذا الباحث . لان هذا أمر متوقع . والعبرة كل العبرة تكون فى موضوعية الحقائق المجموعة وتحليلها واستخراج نتائجها . وبخاصة فى محيط الظواهر الانسانية ،

أو فى عدم موضوعية ذلك . فاذا كانت أهداف الباحث العلمى أهدافا غير تطبيقية ، أى لا تهدف الى تحقيق التنمية الاجتماعية فى المجتمع أو كان موضوع البحث لا يتسم بالشمول ولا يدرس ككل فى علاقاته المتداخلة والمشتركة مع الظواهر الاجتماعية الأخرى "واذا كان الباحث العلمى لا يهتم بربط النظرية بالتطبيق ، فانه من الملاحظ ان ترجمة نتائج البحث الذى قام باجرائه الى برامج والى تشريعات والاستفادة منها فى التخطيط لا يمكن ان تتحقق . (أنظر دراسة سيد عويس : "علم الاجتماع فى بلد اشتراكى" ، القاهرة ، مجلة الطليعة ، شهر ديسمبر عام ١٩٧٠) .

واذا أختم موضوع الدراسة الحالية أود أن أؤكد للقارىء الكريم ان حديثى كان حديث "مصرى معاصر يرجو أن يكون عصريا" وذلك لاننى رفضت ولازلت أرفض عبارة "الاصالة والمعاصرة" فنحن فى مسيس الحاجة الى "دولة عصرية" كما نادى بذلك "الاستاذ أحمد بهاء الدين" فى مجلة "المصور" فى يوم ٣٠ من شهر يوليو عام ١٩٦٧ (بعد هزيمة عام ١٩٦٧) . ولنقرأ ، القارىء وأنا ، ما كتبه هذا الكاتب المفكر النابه إذ يقول :

"مطلوب" دولة عصرية "تستطيع عند الخطر أن تصل الى أقصى درجات التنظيم وتوفر أكبر قدر من طاقاتها بأقل درجة من الارتباك فى المعركة ومطلوب "مجتمع عصرى" يعيش وفقا لقيم العصر ومفهوماته ، وتساءل المفكر النابه ، فى اخلاص عن معالم مثل هذه الدولة ومثل هذا المجتمع ؟" (انظر مقال أحمد بهاء الدين : "مطلوب دولة عصرية" ، مجلة المصور ، ٣٠ من شهر يوليو عام ١٩٦٧) .

واود ان ألفت نظر القارىء الكريم أن التعبير "حديث عصرى" مقصود . وذلك لاننى لا أرى أبدا ان الاستفتاء الذى يقترحه "محمد عابد الجابرى" فى مقاله : "اشكالية الاصالة والمعاصرة فى الفكر العربى والمعاصرة : صراع طبقى أم مشكل ثقافى ؟" ، (مركز دراسات الوحدة العربية ، ندوة التراث وتحديات العصر فى الوطن

العربى ، القاهرة ، ٢٤ ـ ٢٧ ايلول / سبتمبر عام ١٩٨٤) ـ اذا ما اجرى فى الوطن العربى من المحيط الى الخليج ، "بحرية ونزاهة" ، حول قضية الوحدة العربية تختار الاغلبية الساحقة من الجماهير دولة الوحدة على الدولة القطرية . لاننى أرى اذا ثبتت هذه النتيجة فان ثبوتها يكون غير موضوعى وذلك لانه من الملاحظ ان ثقافات مجتمعات الدول الواقعة من المحيط الى الخليج متباينة من حيث بعض العناصر ، أهمها مايلى :

- البعد التاريخى .
- مدى استقرار هذه الثقافة واستمرارها .
- مدى تعدد مصادر هذه الثقافة وتنوعها .
- مدى وجود أو عدم وجود ظاهرة الازدواجية فى هذه الثقافة وعواملها . (انظر دراسة سيد عويس : "الطريق الى الوحدة العربية : وجهة نظر ثقافية اجتماعية فكرية" ، مجلة الفكر العربى ـ تشرين الأول (أكتوبر) تشرين الثانى (نوفمبر عام ١٩٨١) .

واذا كنت أرفض عبارة "الاصالة" و"المعاصرة" فذلك لان هذه العبارة تنظر الى الواقع نظرة استاتيكية ، فالمجتمع الانسانى فى الوقت الراهن أى مجتمع يتضمن ديناميكيا وربما جدليا الاصالة والمعاصرة بل والعصرية جميعا .

٥ ـ نظرة الدين للتفكير الخرافى

من المعلوم ان الشعب المصرى شعب متدين ، وان تعاليم الديانة المسيحية وتعاليم الديانة الاسلامية تسودان فى المناخ الثقافى الاجتماعى فى المجتمع المصرى المعاصر ، والأغلبية الساحقة من أعضاء الشعب المصرى يعتنقون الديانة الاسلامية (فى ضوء التوزيع النسبى للسكان حسب الديانة (بغداد ١٩٨٦) نلاحظ ان نسبة المسلمين ٦٠ر٩٠٪ ونسبة المسيحين ٣٦ر٩٪ ونسبة الديانات الاخرى ٠٤ر٪ من سكانها) .

والدراسة الحالية فى ضوء موضوعها مصدرها خبرات ثقافية اجتماعية منتظمة **اكتسبتها** فى خلال فترة طلب العلم والمعرفة فى الدراسة العالية والعليا ، أى منذ عام ١٩٣٧ وحتى الآن .

ومن الضرورى أن أشير الى ان المجتمع المصرى مجتمع قديم مستمر . وهو مجتمع ذو تراث ثقافى ثرى وخصيب كذلك . **فمصر لم يكن لها نيل واحد** يفيض على أرضها بغزير مائه ، ماء الحياة ، يأتى من السماء (على حد قول القدامى) مندفعا من جبال اثيوبيا بطميه وخصبه يوزعه على جانبى الوادى ويدفع بالزائد عبر البحر . (يلاحظ أن بناء السد العالى ووجود بحيرة هذا السد قد حجزا الكثير من هذا الطمى . وتعتبر هذه احدى المشاكل التى تواجهها الدولة فى الوقت الحاضر) .

ومن الملاحظ أن نهر النيل إن هو إلا نهر من عدة أنهار . فهناك نهر الديانات ، **وهو أطول أنهار الدنيا** . ظهر مع الخوف من المجهول

والاحتماء والاستسلام **لعدد** من الآلهة انتهى بالايمان باله واحد ، ثم جاءت المسيحية منذ "انيانوس" المصرى أول اسقف كرسه "مرقس الرسول" فى عام ٦٤ ميلادية ، ثم جاء الاسلام منذ أن غزا أرض مصر جيش عمر بن العاص فى عام ٦٤١ ميلادية .

ولما دخلت المسيحية ثم الاسلام الى مصر لم يجدا فى شعب مصر أرضا بكراً أو صحراء جرداء ، لان مصر كانت تعرف "أوزوريس" **واستشهاده** ، ثم **بعثه** ، كما تعرف شقيقته "ايزيس" ، قبل أن يطرق آذانها صوت البشارة المرقسية عن "الفادى المخلص" وأمه "مريم العذراء" . وكذلك كانت تعرف الوحدانية **العالمية** . لهذا لما احتضنت مصر تعاليم هذين الدينين ، تمثلت رموزهما واسرارهما الشبيهة أشد الشبه بما كانت تعى من رموز وأسرار (انظر : كتاب سيد عويس : "الخلود فى التراث الثقافى المصرى" ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦ ، صفحتا ١١ ـ ١٢) .

والملاحظ ان الدين الاسلامى هو دين الفطرة والوضوح . وتتضمن تعاليمه **القيم الاجتماعية الايجابية** (ذات الأهداف الحميدة) التى تسعد البشرية فى الدنيا والآخرة .

ونجد من هذه القيم ما يتضمن الصبر بمعنى حبس النفس عن الجزع ، والمثابرة على العمل الصالح ، والكفاح من أجل تحقيق المثل العليا ، والايمان بالنصر والانتصار ، والجهاد فى سبيل الله ، والثبات عند الشدائد ، وضبط النفس فى مواجهة الخطوب ، والتضحية فى سبيل المجموع بالمال والجهد وأداء الواجب ، وتحمل المسئولية كلما دعت الضرورة الى ذلك ، والتوكل المثمر المقترن بالسّعى والعمل ، والأخوة والألفة ، والتماسك فى محيط المجتمع وجماعاته العديدة فى سبيل **عمل الخير العام** :

"محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوارة ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج

شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجر عظيما" (سورة الفتح : آية ٢٩) .

وتعاليم الديانة المسيحية تؤكد على ان يكون معتنقها على مثال "السيد المسيح" عليه السلام فى الخلق وان يتحلى **بالقيم السامية** من حيث البر ، والطهارة ، والمحبة ، والتواضع ، والوداعة ، وتواضع القلب ، والطاعة ، وانكار النفس ، وخدمة الآخرين ، والاحسان ، والمسامحة ، والغلبة على الخطية :

"المحبة : فلتكن بلا رياء . كونوا كارهين الشر . ملتصقين بالخير وادّين بعضكم بعضا بالمحبة الاخوية . مقدّرين بعضكم بعضاً فى الكرامة ، غير متكاسلين فى الاجتهاد ، حارّين فى الروح . عابدين الرب . فرحين فى الرجاء . صابرين فى الضيق ، مواظبين على الصلاة . مشتركين فى احتياجات القديسين . عاكفين على إضافة الغرباء . باركوا الذين يضطهدونكم . باركوا ولا تلعنوا . فرحاً مع الفرحين وبكاءً مع الباكين . مهتمين بعضكم لبعض اهتماماً واحداً غير مهتمين بالامور العالية بل منقادين الى المتضعين . لا تكونوا حكماء عند انفسكم . لا تجاوزوا أحداً عن شرٍّ بشر ـ معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس . ان كان ممكنا فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس . لا تنتقموا لأنفكسم أيها الاحباء بل أعطوا مكانا للغضب . لانه مكتوب لى النقمة انا أجازى يقول الرب . فان جاع عدوك فأطعمه . وان عطش فأسقه . لانك ان فعلت هذا تجمع جمرُ نار على رأسه . لا يغلبنك الشر بل أغلب الشرَّ بالخير" (رسالة بولس الرَّسول الى أهل رومية ، آيات ٩ ـ ٢١) .

والآيات الكريمة فى "القرآن الكريم" وفى "الكتاب المقدس" **تتلألأ** بكل القيم الاجتماعية الايجابية ذات الأهداف الحميدة ، وقد ضربت الأمثلة فيما سبق ، وفى الجعبة الكثير ، فنلاحظ ان هذه القيم **تعتبر ، اذا غرست** فى النفوس جزءا من الشخصيات الانسانية لمن اعتنقوها .

وبالاضافة الى ايات القرآن الكريم نجد العديد من الاحاديث النبوية التى تفسرها وتؤكدها . ولا أكون مغاليا اذا قلت وأكدت على ما أقول فى ضوء ما سبق ان شخصيتى كل من "نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم والسيد المسيح عليه السلام" فى ضوء ما سبق نموذجان يحتذيان وقدوتان يهتدى بهما .

"لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا" (سورة الممتحنة ، آية ٦٠) .

"بل نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضا قديسين فى كلّ سيرة" (رسالة بطرس الرسول ، اصحاح ١ : آية ١٥) .

ومن القيم ذات الأهداف الحميدة التى تضمنها التراث الدينى ، نجد القيم التى **تحض** على العلم وتكرم العلماء :

"اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم" (سورة العلق ، آيات ١ ـ ٥) .

"وانما يخشى الله من عباده العلماء" (سورة فاطر ، آية ٢٨) .

و"قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ انما يتذكر أولو الالباب" (سورة الزمر ، آية ٩) .

ونبى الاسلام يحض على التعلم والتعليم :

"عن ابى هريرة رضى الله عنه قال "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ..

الى أن قال :

"ومن سلك طريقا يلتمس منه علما سهل الله له طريقا الى الجنة" .. (حديث نبوى رواه مسلم وابو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة) .

وقد تضمن الكتاب المقدس العديد من الآيات التى تدعو الى **فوائد العلم والتعليم والحض** على طلب المعرفة والحكمة :

" أمثال سليمان بن داود ملك اسرائيل . لمعرفة حكمة وأدب لادراك أقوال **الفهم** . لقبول تأديب المعرفة والعدل والحق والاستقامة . لنعطى **الجهال** ذكاء والشاب معرفة وتدبرا " (أمثال ، اصحاح ١ : أيات ١ ـ ٤) .

و" أعط حكيما فيكون أوفر حكمة . علم صديقا فيزداد علما . بدء الحكمة مخافة الرب ومعرفة القدوس فهم " (أمثال ، اصحاح ٩ : أية ٩ وأية ١٠) .

و" قال لهم يسوع أفهتم هذا كله . فقالوا نعم ياسيد . فقال لهم . من أجل ذلك كل كاتب متعلم فى ملكوت السموات يشبه رجلا ربَّ بيت يُخرج من كنزه جُدداً وعُتقاء (انجيل متى ، اصحاح ١٣ : أية ٥١ وأية ٥٢) .

ونلاحظ فيما سبق من آيات وأحاديث نبوية . أنها تشجع على العلم وتكرم العلماء ، **وجاءت لتبدد ظلام الجهل والجاهلية فى كل زمان ومكان** . وفى ضوء مراحل التاريخ نجد ان العلم والمعرفة والحكمة كلها ، فى ظل القدوة الحسنة قد عاش العلماء والمتعلمون ، بها ، مواطنين صالحين يسعون الى الخير أينما وجد وسطروا صفحات خالدة فى تاريخ الانسانية .

وقد تمثل القيم الانسانية الايجابية التى من وراء هذه الآيات والأحاديث أصحاب نبى الاسلام ومن أتى من بعدهم من الصديقين ، كما تمثلها حواريو السيد المسيح عليه السلام ومن أتى من بعدهم من الصالحين ، وأصبحت أجزاء ملتحمة من شخصياتهم يواجهون بها المواقف الاجتماعية المتباينة .. والمتناقضة من غير أن يحيدوا عن الصراط المستقيم .

ومصر ، فى ضوء مراحل تاريخها كانت ، ومازالت ، **البوتقة التى**

صهرت فيها الحضارات بأنواعها سواء كانت وثنية أو مؤمنة بالاديان السماوية : اليهودية والمسيحية والاسلامية .

واذا كان تاريخ مصر لا يبدأ فى عام ٦٤٠/٦٤١ ميلادية ولا يمكن أن يبدأ فى هذا العام ، فقد استوعب المسلمون فيها وهم يمثلون حسب تعداد عام ١٩٨٦ ، ٦٠ر٩٠٪ كما ذكرت من قبل ، تعاليم الاديان المشار اليها . ومع ذلك فان المصريين وبخاصة المسلمون منهم لا يمكن الا ان **يذكروا** الفتوحات التى مزقت اكبر دولتين فى العالم فى فجر الاسلام وهما : دولة فارس والدولة الرومانية . ويذكرون أيضا حدود الامبراطورية الاسلامية حتى الصين شرقا وحتى حدود نهر اللوار فى فرنسا (بواتييه) غربا وشمالا ، كما يذكرون كذلك حدودها فى قارة افريقيا فى السودان والحبشة الى نيجيريا . (انظر كتاب

Murice Gaudafray Demombynes, « Muslim Institutions » London George Allen & UN Win L.T.D. 1950 P. 22.

وقد امتحن المصريون المسيحيون فى عهد "**الاضطهاد الاعظم**" وكان عدد الاضطهادات التى أثارها القياصرة الرومانيون على المسيحيين عشرة أولها عام ٦٤ ميلادية فى زمن "نيرون" وأخرها أى عاشرها عام ٣٠٣ ميلادية فى ايام "ديوكليتيان" .

وكان "عهد الاضطهاد الاعظم" فى البلاد المصرية فى زمن الامبراطور "دقلديانوس" (٢٨٤ - ٣٠٥ ميلادية) وقيصره "جاليروس" ثم هذا الاخير منفردا (٣٠٥ - ٣١١ ميلادية) و"ماكسيمين دازا" (٣١٣ ميلادية) . وقد سبق عدد كبير من المصريين المسيحيين الى الموت زمرا . ففر كثيرون بعقيدتهم الى الصحراء . كانت فيافى مصر وقفارها حصنا أمينا وملاذا لهؤلاء الفارين بعد أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت . وشهدت صحارى مصر من "النطرون" الى "طيبة" جموعا هائلة من المصريين

المسيحيين الذين أفلتوا من قبضة الاباطرة الوثنيين . وعاش بعض من هؤلاء متوحدا تحتويه صومعة كانت أصلا أطلال قبر أو فجوة كهف ، وآخرون آثروا عيش الجماعة فكانت الاديار . (انظر كتاب سيد عويس : "لا للعنف : دراسة علمية فى تكوين الضمير الانسانى ، القاهرة ، كتاب الهلال ، اكتوبر عام ١٩٨٨ ، صفحتا ١٥٠ ـ ١٥١ وصفحتا ١٨١ ـ ١٨٢) .

وقد سبق ان ذكرت ، وأرجو ان لا يمل القارىء هذا التكرار ، لانى اردت أن أبرز حقيقة تاريخية هى ان المصريين مسيحيين كانوا أو مسلمين قد عانوا ، وتركت محنة "الاضطهاد الاعظم" بصماتها مافى ذلك من شك فى نفوس المصريين على الرغم من بعض التباين بين **عناصر الديانتين** . وإننى ارى فى ضوء حقائق التاريخ ان أى مصرى مسلم هو فى حقيقة الامر والواقع يضم بين جنباته بصمات الديانات السماوية وبخاصة المسيحية والاسلام . ويؤكد ذلك أن المصريين فى الوقت الراهن يتحدثون باللغة القبطية التى هى خليط من اللغة الديموطيقية واللغة اليونانية الحديث العادى فضلا عن اللغة العربية الفصيحة . فنلاحظ مثلا أنه بالرغم من ان اللغة المشار اليها **قد اختفت** أمام اللغة العربية الا ان ذلك لم يحل دون أن تضفى بصماتها المصرية على اللغة العربية وان تصبغها بصبغة جعلت اللغة العربية فى مصر تظهر بمظهر **يختلف** عنه فى الاقطار العربية الأخرى ، كما ظلت العادات المصرية القديمة **حية** حتى الآن فى مصر .

فمن كلمات اللغة القبطية التى لا تزال يتناولها المصريون المسلمون منهم والمسيحيون فى أحاديثهم اليومية حتى وقتنا هذا نجد اسماء لمسميات مثل : برسيم ، اردب ، يم ، أم قويق ، حلق ، بقوطى ، كعك ، قلة ، كحة ، لقمة ، لبشة ، ماجور ، تمساح ، نبوت ، مقطف ، ننوس ، نونو ، بصارة ، رقاق ، مشنة ، سمان ، ذهبية ، تندة ، شرش ، شونة ، شوب ، شوطة ، حلوم ، خن ، رمان ، شوشة ، شبورة ، بلح .

ومن أنوع السمك نجد الأمثلة الآتية :

البورى ، والبنى ، واللبيس ، والراى ، والشال ، والشلبة .

وفى لغة الأطفال كلمات مثل :
تاتا ، امبو ، واوا ، بيبه (برغوت) .

ونجد أيضا التعبيرات الآتية :
الورور (الفجل الصغير) ، والكاس بمعنى الالم ، وتوت للحاوى بمعنى اجتمع ، وليلى بمعنى افرح ، ونحن مازلنا نرددها فى "ليلى ياعينى" وبح بمعنى انتهى ، وكانى ومانى وأصلها كانى نانى أى سمن وعسل .

ولعل من أهم مظاهر القومية المصرية ما نلحظه فى أسماء المدن المصرية ، فبالرغم من **اختفاء** الاسماء المصرية القديمة منذ أكثر من تسعة قرون وهى مدة سيادة اللغة اليونانية ، ورغماً عن فرض اسماء يونانية على المدن المصرية مثل :

ابولوتوبوليس ل "قوص" وأكسير نخوص ل "البهنسة" ، وليتوبوليس ل "أوشيم" ، وبانوبوليس ل "اخميم" ، وهرموبوليس ل "اشمونين" وهيراكليوبوليس ل "اهناس" ، فان الأسماء المصرية لهذه المدن لم تلبث أن ظهرت ثانية **بعد دخول العرب** ، وكان ذلك لمحافظة اللغة القبطية على هذه الاسماء القديمة . (انظر كتاب مراد كامل : "حضارة مصر فى العصر القبطى" ، القاهرة ، مطبعة دار العالم العربى ، صفحتا ٧٣ ـ ٧٤) .

ويؤكد أن أى مصرى مسلم هو فى حقيقة الأمر والواقع يضم بين جنباته بصمات الديانات السماوية وبخاصة المسيحية والاسلام ان مفهوم "التسامح الثقافى" الذى يعنى بأنه "ميل أو موقف اجتماعى يعترف بحق الآخر فى تباين السلوك والرأى . وفى عبارة بسيطة يمكن القول بأن هذا المفهوم يعنى "ان تحيا انت والآخرون" .

انظر :

— **Henry P. Fairchild, "Dictionary of Sociology and related sciences" (Ames - Iwa : Littlefield Adams and Co. 1955) P. 320**

والملاحظ فى ضوء حقائق التاريخ ان التراث الثقافى الاجتماعى المصرى قد تبنى هذا المعنى فى الممارسة العملية . فحين اتخذت عبادة "رع" على أنها العبادة الرسمية للدولة المصرية (٢٠٥٠ ـ ١٧٧٥ ق . م) فان عبادة الآلهة الأخرى ـ وتعدادها يقترب من الالفين ـ لم تتوقف . فالآلهة المحلية عاشت فى وفاق مع آلهة "طيبة" و"ممفيس" ولم يكن كهنة مصر من المتعصبين ، فديانتهم اتسمت بأنها متسامحة الى الحد الذى يمتنع معه أفراز المتعصبين ، ومبادؤها الاصلاحية متنوعة وغير متسقة الى الحد الذى لا يمكن ان تؤخذ بطريقة جدية . والملاحظ ان المصلحين فى مجتمع تنقصه **الخلفيات الراديكالية والتقدمية** ، ليس فى امكانهم سوى التسامح . ولهذا فحين وجه "اخناتون" حملة شرسة ضد "كهنة طيبة" فان الشعب تنفس الصعداء حين منيت بالهزيمة . (الملاحظ ان دعوة "اخناتون" تغلبت واصبح المصريون يعتقدون فى "آله واحد" ، وذلك لان الافكار الحية وان خبت فترة من الزمن فما تلبث ان تعود وتسود) .

انظر الكتاب :

— **Jon Manichip White, "Everyday Life in ancient Egypt", New York, Aperigos Book, 1963, P. 130.**

والملاحظ أيضا أن التراث الثقافى المصرى الانسانى يحفظ لنا أكفاراً لها علاقة بمفهوم "التسامح الثقافى" منذ أن بشر القديس مرقس فى الاسكندرية ونصب "انيانوس" المصرى اسقفا عام ٦٤ ميلادية (ذكرت هذه الواقعة التاريخية من قبل) . ان آيات الكتاب المقدس (الانجيل) تموج بهذه الافكار . والمصريون المسيحيون ، طبقا لتعاليم "السيد المسيح" عليه السلام

المثالية ، مطالبون بالعدالة والمحبة والتواضع والطاعة ، وانكار الذات وخدمة الآخرين ... الخ (ذكرت هذه التعاليم من قبل) . والملاحظ كذلك ان عناصر التسامح تتكون من هذه المعانى كلها ، أو من بعضها . وشعاعها يضىء قلوب المصريين المسيحيين حتى يومنا هذا .

وحين غزا الجيش الاسلامى العربى بقيادة عمرو بن العاص الارض المصرية تأثرت الثقافية المصرية بتعاليم الدين الاسلامى واحتفظ التراث الثقافى المصرى الانسانى بهذه التعاليم فى اطار التسامح . وآيات القرآن الكريم وأحاديث نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام ، شاهدة على تعاليم التسامح :

- "ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين" (سورة النحل ، آية ١٢٥) .

- "ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون" (سورة المؤمنون ، آية ٩٦) .

- "ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم" (سورة فصلت ، آية ٣٤) .

- "ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير" (سورة الحجرات ، آية ١٣) .

وقال الرسول محمد عليه الصلاة والسلام فى خطبة الوداع :

"ان أباكم واحد وان ربكم واحد ، لافضل لعربى على أعجمى ، ولا لأعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا لأبيض على أحمر الا بالتقوى" (انظر : مصطفى الخشاب : مفهوم "العنصرية" ، معجم العلوم الاجتماعية ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٧٥ ، صفحتا ٤٣٢ - ٤٣٣) .

ونجد أن الأمثلة والمأثورات الشعبية المصرية حافلة بالتسامح وحسن الطوية إزاء الآخرين :

- كل الناس حلوين .
- المسامح كريم .
- احب كل الناس ولا اكره كل الناس .
- احب الناس وأكره كلامهم .
- من أمنك لا تخونه ولو كنت خاين .
- الحلم سيد الاخلاق .
- لولا سواد العين ماكانشى نورها .
- اذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك .
- الكلمة الحلوة والابتسامة العريضة تصنع المعجزات .
- عاتب أخاك بالاحسان ورد شره بالانعام عليه .
- أحسن اذا أردت أن يحسن اليك .
- إذا عظمت اقداركم فتواضعوا .
- إذا كان القلب نقيا كان الخلق كريما .
- إزهد فيما عند الناس يحبك الناس .
- الخلق الحسن عماد الدين .
- الرد اللين يصرف الغضب .
- اللهم الهمنى رشدى واعذنى من شر نفسى .
- النزاهة ان تعمل افضل مافى نفسك .
- أنت خير ما اتقيت الله .
- أولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة . (انظر : كتاب سيد عويس "هتاف الصامتين : ظاهرة الكتابة على هياكل المركبات فى المجتمع المصرى" ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٧١) .

والوقائع سالفة الذكر تنطوى على **نسق من القيم يعبر عن التسامح نظريا وكما هو ممارس فى المجتمع المصرى . بيد أن**

الاستثناء وارد . فحكم ابو على منصور الحاكم (٩٩٦ ـ ١٠٢١ ميلادية) يتميز بقسوة مريرة . فقد اغتال عدداً وفيراً من وزرائه وكبرائه ، وفى الاحوال النادرة التى كان الوزير أو الكبير المغضوب عليهما من "الحاكم" ينجوان بحياتهما ، فان نقمة هذا السلطان كانت تلازمهما حتى يهلكا . ومن حوادث القتل والسفك التى أمعن فيها "الحاكم" : (فى عام ٣٩٩ هجرية الموافق عام ١٠٠٨ ميلادية) ، ومن الامثلة التى تدل دلالة واضحة على فهم هذا السلطان للفتك والامعان فى القسوة انه قبض على جماعة كبيرة من الغلمان والكتاب والخدم الصقالبة فى القصر ، وقطعت أيديهم من وسط الذراع ثم قتلوا . وكانت الوسيلة التى يستعملها "الحاكم" **لسحق أعدائه** أنه كان يرى ان القتل هو الانجح ، فاذا بدرت من فريق من الناس بادرة تذمر أو تمرد على أمر من الأوامر أو قانون من القوانين فإن إزهاق عدد منهم يكفل عودتهم الى السكينة والخنوع . وكانت هذه السياسة تحيط "الحاكم" بسياج منيع من الرهبة .

وفضلا عما ذكر فان "الحاكم" **قد دمر** عدداً كبيراً من الكنائس المسيحية ومن بينها "القبر المقدس" ، والزم المصريين المسيحيين واليهود بارتداء ملابس سوداء ، وبأن لا يمتطوا الا الحمير ، وان يتدلى الصليب من رقاب المسيحيين والاجراس من رقاب اليهود فى أثناء وجودهم بالحمامات .

وقد صدر "الحاكم" المعتوه هذه الاوامر على الرغم من ان تعاليم الاسلام تشجب هذه الافعال اللا إنسانية (انظر كتاب محمد عبد الله عنان ، "الحاكم بأمر الله واسرار الدعوة الفاطمية" القاهرة ، مارس سنة ١٩٣٧ ، صفحات ٤١ ـ ٥٨) .

ـ "لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم" (سورة البقرة ، آية ٢٥٦) .

"قل ياايها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا انتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عابدتم . ولا انتم عابدون ما اعبد . لكم دينكم . ولى دين" . (سورة الكافرون ، أيات ١ ـ ٦) .

واذا كان "الحاكم قد عامل المصريين المسيحيين واليهود وبخاصة فى عام ١٠١١ بقسوة ، فقد عاملهم **برفق** فى عام ١٠٢٠ ميلادية . ومن ثم يمكن القول ان شخصية هذا الانسان متناقضة ، أو يمكن القول كما وصفه "مرجليوث" فى كتابه "القاهرة" ، اورشليم ، ودمشق" : **الحاكم المجنون** . (انظر كتاب على ابراهيم حسن ، "مصر فى العصور الوسطى : من الغزو العربى الى الغزو العثمانى" ، القاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٩٦٤ ، صفحات ١٣٥ ـ ١٣٧) .

★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★

وقد يقال ، أيضا ، ان "ادوارد لين" كان محقا حين ذكر فى كتابه "عادات وتقاليد المصريين المحدثين "أن الطفل المصرى يدرب على القول ، "لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله" ، وانه يلقن دروسا فى الكبرياء الدينى ، وفى كراهية المسيحيين وغيرهم من الاديان الأخرى كما كان يفعل المسلمون فى العصور الأولى . ومع ذلك فان القارىء لهذا الكتاب سرعان ما يقرأ اعترافا للمؤلف بأن المسلم يعتقد ان محمدا رسول الله وانه خاتم الانبياء واعظمهم ، وان ستة من هؤلاء الانبياء وهم "أدم ونوح وابراهيم وموسى والمسيح ومحمد" ، قد تلقوا بالوحى نسقا دينيا واخلاقيا .

ومن الملاحظ عمليا ان الدين الاسلامى **متسامح للغاية** مع الاديان السامية وهى "اليهودية والمسيحية" . فالمسلم يتعلم منذ طفولته احترام هاتين الديانتين والاعتقاد فى نبوة "موسى والمسيح" . ومع انتقال الخلافة الاسلامية الى القسطنطينية ، اتسم الاسلام بنوع من **الجمود** ، وأخذت العادات التركية ، خطأ ، على أنها عادات اسلامية . فمثلا يعتقد الناس ان النقاب عادة اسلامية ، وان الاسلام يحط من

شان المرأة . وهذه **مغالطة** . ان الاتراك هم الذين ابتدعوا النقاب ، وانهم بدورهم اقتبسوها من الفرس والارمن . (انظر كتاب :

— « Edward W. Lane », Manners and Customs of the modern Egyptians'', (London : J.M. Dent and sons : L.T.D. 1954, PP. 60-66).

وقد اسهمت فى انشاء "جمعية الخدمات الاجتماعية بحى بولاق" فى عام ١٩٤٧ . وأصبحت ، كأمين عام مجلس ادارتها والمسئول عن اجراء البحوث والدراسات العلمية فى حى بولاق ، على شىء من البينة من أمر شعب هذا الحى ، وعلى الاخص المناخ الثقافى الاجتماعى الذى يظلل أعضاءه .

والملاحظ ان **حى بولاق حى حضرى** ، ولم يوجد الا فى عام ١٣١٣ ميلادية . وفى ضوء التعداد العام للسكان والاسكان والمنشآت عام ١٩٨٦ ، نجد ان حى بولاق من حيث نسبة السكان الذين فيه بالنسبة لسكان اقسام القاهرة ، هى ٢٪ بعد ان كانت فى عام ١٩٧٦ ٥ر٣٪ .

والملاحظ ايضا ان مجتمع حى بولاق هو مجتمع شعبى ، اى مجتمع أولاد البلد وبنات البلد ، والمناخ الثقافى الاجتماعى هو مناخ تقليدى ، صحيح ان شهرته التاريخية مردودة الى أنه مجتمع مختمر سياسيا وينطوى على خشونة . ومع ذلك **فهويته تقليدية** (بلدى) ـثله فى ذلك مثل أى حى من أحياء القاهرة الشعبية . وهو يخلو من لجرائم المنظمة أو "المافيا" وهو يخلو أيضا من التفرقة العنصرية أو ـن عصابات مثل "كوكلوكس" والعنف سائد **ولكنه عنف دفاعى** ، أى ـفاع عن الشرف والكرامة . واولاد وبنات البلد تقليديون وهم أيضا يتسمون بحاسة الفكاهة والتدين والكرم . وقد ينشأ شجار بينهم ولكن سرعان ما ينتهى بمجرد أن يتدخل انسان ويقول لهم "صلى على النبى" ، أو يقول زعيم المتشاجرين "**صاف يالبن**" فيرد الخصم أو

الخصوم بالقول : " **حليب ياقشطة** " ثم يقبل ، اذا كان المتشاجران اثنين أو اثنتين ، احدهما الآخر أو احداهما الاخرى وينتهى الشجار . والشعار السائد فى مثل هذه الاحوال هو المثل الشعبى "المسامح كريم" .

والمجتمع البولاقى هو **مجتمع اسلامى** على وجه العموم ، ويمثل المسيحيون فيه أقلية ، وهؤلاء معظمهم من الاقباط الاورثوذكس . وفى هذا الحى أربعة عشر جامعا وأربع كنائس قبطية .

ونجد أن المجتمع البولاقى يتبادل فيه المصريون المسلمون والاقباط الزيارات فى الاعياد ، كما أنهم يتبادلون النذور فى أماكن العبادة . فالمرأة **المسلمة** قد تعطى الكنيسة **شموعا** اذا نجح ابنها فى الامتحان . وبعض المسلمين والمسلمات يصوم **صيام** "مريم العذراء" . وقد تصوم المرأة **القبطية** جزءا من **شهر رمضان** أو تزور ضريح "السيدة زينب" . ويحرص جماعة المسلمين وجماعة المسيحيين التى يعيش أعضاؤها فى هذا الحى على تعزية الآخرين فى أوقات الاحزان خاصة اذا مات أحدهم أو ذهب الى المستشفى أو الى السجن . ويقوم الاقباط والمسلمون بختان أبنائهم الذكور أول عيد مولدهم وبخاصة فى أثناء الاحتفال بمولد "سيدى ابو العلا" أحد أولياء الله الصالحين الذى يقع **مسجده** فى حى بولاق .

وأرجو ان يسمح لى القارىء لكى أذكر انه على الرغم من أن الاقباط **أقلية الا أنهم يتحدثون اللغة العربية ويلبسون مثل ما يلبس المسلمون (الاغلبية) ، وقد ينشب النزاع بين الفئتين فى مجالات التنافس على توزيع الثروة (التجارة مثلا) والسلطة والمكانة الاجتماعية وفى حالات زواج أحد الاعضاء من فئة الاغلبية من احدى اعضاء فئة الاقلية . فالمعلوم ان قانون الاحوال الشخصية المصرى يتيح للمسلم الذكر ان يتزوج من كتابية أى ممن تكون معتنقة احد الاديان السماوية ، وليس العكس .**

انظر : (رسالة دكتوراة ،

— Enelin Aleen E. "Baladi Woman of Cairo Egypt : Socialty and theropeutic Action, June 1980 The Univercity of Chicago.

وكانت أمى غفر الله لها تدعو لى بعد ان تنتهى من الصلاة أو عندما اخرج الى عملى كانت تدعو لى دعوات حميمة ، فقد كنت وحيدها ، وأذكر أن إحدى دعواتها التى كانت تكررها كثيرا الدعوة التالية :

"راضى عليك قلبى وبزى وحجرى ياابنى ياسيد ياابن بطنى" والمطلع يجد نفس معنى هذه الدعوة فى الكتاب المقدس : "تأتى بركات السماء من فوق وبركات الغمر الرابض تحت ، بركات الثديين والرحم" (سفر التكوين ، إصحاح ٤٨ ، آية ٢٥) .

وفى ضوء نتائج مراحل التاريخ ، تاريخ مصرنا الخالدة ، يتضح أنها منذ عام (٥٢٥ ق . م) حتى عام (١٩٥٣ م) كان يحكمها الاجانب . وكان معظم الحكام عبيدا (مماليك) . كانوا من بلاد فارس (٥٢٥ ق . م) ومن اليونان (٣٣٢ ق . م) ومن الرومان الوثنيين (٣١ ق . م - ٦٤ م) ومن الرومان المسيحيين (٦٤ م - ٦٤١ م) ومن العرب المسلمين الخلفاء الراشدين (٦٤١ م - ٦٦١ م) ومن الامويين (٦٦١ م - ٧٥٠ م) ومن العباسيين (٧٥٠ م - ٨٦٨ م) ومن الطولونيين (٨٦٨ م - ٩٠٥ م) ومن العباسيين مرة أخرى (٩٠٥ م - ٩٣٤ م) ومن الاخشيديين (٩٣٤ م - ٩٦٩ م) ومن الفاطميين (٩٦٩ م - ١١٧١ م) ومن الايوبيين (١١٧١ م - ١٢٥٠ م) ومن المماليك البحرية (١٢٥٠ م - ١٣٨٢ م) ومن المماليك البرجية (١٣٨٢ م - ١٥١٧ م) ومن العثمانيين (١٥١٧ م - ١٩١٤ م) مرورا بالفرنسيين (نابليون) : (١٧٩٨ م - ١٨٠١ م) وبأسرة محمد على (١٨٠٥ م - ١٩٥٢ م) وفى أثناء هذه الفترة الأخيرة فى عام ١٨٨٢ م أعلنت بريطانيا الحماية على مصر بعد هزيمة الثورة

العرابية ، ثم اصبحت مصر مملكة وراثية فى عام ١٩٢٢ ، وبعد فشل ثورة عام ١٩١٩ م ، أى فى عام ١٩٥٢ نجحت ثورة الجيش المصرى التى قضت على النظام الملكى واعلنت الحكم الجمهورى فى يوم ١٨ يوليو عام ١٩٥٣ وكان أول مصرى حكم البلاد فى ظل **الحكم الجمهورى** "الرئيس محمد نجيب" وذهب الاحتلال البريطانى مع الريح فى عام ١٩٥٦ م . (انظر : "مصر فى العصور الوسطى : من الغزو العربى الى الغزو العثمانى" (مرجع سابق) . وانظر ايضا ، "الموسوعة العربية الميسرة" ، اشراف محمد شفيق غربال ، القاهرة ، مطبعة الشعب ، ١٩٦٥ ، صفحات ٥٨٦ ـ ٥٨٧ و ١٦٦١ و ١٦٦٣ و ١٨١٢) .

واذا كان الاحتلال الغربى قد بدأ فى مصر فى عام ١٨٨٢ م فانه كان قد احتل "الجزائر" فى عام ١٨٣٠ م . وفى خلال حكم الاجانب لمصر وبخاصة حكم المماليك (العبيد) وحكم العثمانيين ، شاع بعض عناصر التحلل والتفسخ فى البلاد ، **وعمت الخرافات** (يستثنى من ذلك حكم محمد على الذى ارسل البعوث الى الغرب وكان اشهر المبعوثين (**رفاعة الطهطاوى**) .

وظلت خريطة مصرنا الخالدة **تتلألأ وباقية لا تتزعزع** على عكس غيرها من البلاد (من أمثلة ذلك البابليون والفنيقيون والآشوريون مثلا) . أى أنه لا ضربات الحروب التى ابتليت بها البلاد المصرية ولا حكم المماليك ولا الحكم العثمانى الوضيع ، ولا لغيره ، ولا لاقسى منه وأشد ، ليطفىء شعلة الايمان بالوطن ورفعته وصموده .

استمر الشعب المصرى يحيا على الرغم من المآسى التى عاشها وتعايش معها فى ضوء ما غرس فى تربته المقدسة من عناصر ثقافية ايجابية ومبادىء ومثل عليا وقيم ذات الأهداف الحميدة حتى وقتنا الراهن . واعترف بأنه مع ذلك **بقى** من الرواسب الثقافية الاجتماعية البالية الكثير . ومن هذه الرواسب ، بل وعلى رأسها ، اذكر الخرافات التى نجدها فى المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى لا تزال . أى التى

نجدها ودول اليابان والعالم الغربى وبخاصة العملاقان الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة ، قد برز العلم العصرى وتطبيقاته اى التكنولوجيا الحديثة فيها ، فنجد ازدهار علوم الهندسة الوراثية والكيمياء والطب والطبيعة والتسلط على الظاهرة الفلكية . ولعلى اضرب بعض الامثلة التى تؤكد ذلك ، تاركا أمثلة الطلوع الى القمر والدوران بمراكب الفضاء حول الارض حوالى العام واستخدام الطاقة النووية فضلا عن المحاولات التى يحاولها أصحاب الكفاءات العالية العلمية والفنية وغيرها ، **جانبا ، واتحدث عن التجارب التى تحدث الآن فى عصر الالكترونات** . ومنها تجارب **"الطفل السمكة"** فى الاتحاد السوفييتى حيث يخرج الطفل من الرحم الى الماء مباشرة دون أن يتعرض جهاز التنفسى الى الهواء .. وهكذا يتعود مواصلة التنفس فى الماء مثلما كان يحدث فى الرحمن تماما وبعد الخروج من الماء تجرى له تمرينات يومية فى أحواض خاصة تحت الماء .. **حتى تظل** رئتاه على كفاءتهما فى العمل تحت الماء وفى الهواء فى نفس الوقت "ومنها" التطور العلمى الخطير الذى توصل اليه فريق من الاطباء اليابانيين الذين نجحوا عن طريقه الى أسلوب جديد يستطيع به الآباء ان يختاروا **نوع الجنين** الذى يرغبون فى انجابه . وقد تم استخدامه فى انجاب ٦ بنات ونجحت جميعا" . ويعتمد الاسلوب الجديد على :

"فصل الحيوانات المنوية فى طبقتين الأولى تتضمن ٩٥٪ من الحيوانات الانثوية . والاخرى تحتوى على ٨٥٪ من الحيوانات الذكرية" (انظر : جريدة الجمهورية ، بتاريخ ١٩٨٧/١٢/١٧ . وانظر أيضا جريدة الاخبار ، بتاريخ ١٩٨٨/٥/٢٨) .

ومفهوم الخرافة (لغة) هو الحديث المستملح من الكذب . ويقصد بهذا المفهوم فى بساطة الايمان الفاسد وهو ضد الايمان الصادق . ويرتبط هذا المعنى بمعنى مفهوم السحر البدائى .

وفى احدى الدراسات العلمية التى نشرتها اذكر ، وارجو ان لا يمل

القارىء الكريم من التكرار ، ان **التفكير الخرافى** يعتبر صيغة أو وصفة تفسر :

موقفا معينا .
أو - ظاهرة معينة .
أو - تحقق اشباع حاجة معينة .
أو - تحذر من شر معين .

والتفكير الخرافى فى ضوء التفسير العلمى هو :
اعتقاد .

أو - فكرة لا تتفق مع الواقع الموضوعى بل تتعارض معه ، وان يكون لهذا الاعتقاد أو هذه الفكرة استمرار .

والخرافة تعنى عادة بتفسير ظاهرة ما أو مشكلة يتكرر ظهورها فى حياة الناس (خسوف القمر مثلا) اذ عندما يخسف القمر يصيح الناس أو بعضهم (وكأنهم يغنون) "يابنات الحور اتركوا القمر للنور" .

ولعل عوامل وجود **التفكير الخرافى** تكون صعوبة الحياة والاخطار الغامضة . ومن أهم هذه العوامل القلق المرضى واضطراب الحياة الذى تواكبه المشاكل الاجتماعية وبخاصة مشكلة ظاهرة "اللامعيارية" فضلا عن الشعور بالضعف والعجز .

والملاحظ ان **الاشاعة** غير الخرافة . فالأولى تعطى جوابا عن مشكلة موقوتة بمدة معينة تستبين بعدها حقيقة الامر (اشاعات الحروب من حيث الهزائم والانتصارات والاشاعات فى أثناء الامتحانات مثلا) . ولكن الخرافة تستمر رغم ظهور خطئها وذلك لوجود العوامل التى ذكرت فى الفقرة السابقة .

والملاحظ ان **التفكير الخرافى** يستند الى أسباب غير طبيعية لتفسير أو حل مشكلات طبيعية . ومن ثم تعزى الى علل غير صحيحة أو غيبية لا يستطيع **المفكر خرافيا** ان يحددها أو أن يتحكم فيها .

وذلك لبعد التفكير الخرافى عن الواقع الموضوعى ، ولشيوع الخرافات بين عدد كبير من أعضاء المجتمع ، والافتقار الى العلّية العلمية والاستناد فى الكثير من الاحيان الى المفاهيم الغيبية (الحظ والارواح والسحر مثلا) (انظر كتاب نجيب اسكندر ابراهيم ورشدى فام منصور : "التفكير الخرافى ، بحث تجريبى" ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، عام ١٩٦٢ .

★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★

والعقيدة الاسلامية الخالصة ، على المستوى النظرى ، تنفر من ألوان السحر واتيان الكهان والعرافين والمنجمين بالرمل والحصى أو نحو ذلك وتصديقهم . والتراث الاسلامى النظرى مملوء بالترهيب من كل ذلك .

فالسحر هو تلويث للعقيدة :

"ومن سحر فقد أشرك" (حديث نبوى عن ابى هريرة رواه النسائى) .

و"ليس منا من تطير ، أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر ، أو سحر له ، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم" (حديث نبوى عن عمران بن حصين ، رواه الطبرانى عن ابن عباس دون قوله : ومن أتى .. الخ) .

ويفسر البعض بأن السحر :

"عزائى ورقى وهو يؤثر فى القلوب والابدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه ، ويأخذ احد الزوجين عن صاحبه" "فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه" (سورة البقرة ، آية ١٠٢) .

و"قل اعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، ومن شر غاسق اذا وقب ، ومن شر النفاثات فى العقد" (سورة الفلق ، ايات ١ - ٤) .

ومهما يكن من الامر فان التراث الاسلامى النظرى يرى انه ليس بصحيح اعتبار السحر تخييلا لا حقيقة على وجه الاطلاق بل منه ماهو

تخييل ومنه ماله حقيقة كما يفهم مما تقدم ، وان السحر حرام .

"ولا يفلح الساحر حيث اتى" (سورة طه ، آية ٦٩) .

والعقيدة المسيحية تشجب فى صراحة الخرافات ، فنجد مثلا أن أسفار العهد الجديد المقدس تتضمن مايلى :

"ولا يسغوا الى خرافات وانساب لاحد لها تسبب مباحثات دون بنيان الله الذى فى الايمان" (رسالة بولس الرسول الأولى الى **تيموثاؤس** : الاصحاح الأول ، آية ٤) .

و"واما الخرافات الدنسة العجائزية فارفضها وروض نفسك للتقوى" (رسالة بولس الرسول الأولى الى تيموثاؤس : "الاصحاح الرابع ، آية ٧) .

و"فيصرفون مسامعهم عن الحق وينحرفون الى الخرافات" (رسالة بولس الرسول الثانية الى تيموثاؤس : الاصحاح الرابع ، آية ٤) .

و"لا يصغون الى خرافات يهودية ووصايا مرتدين عن الحق" (رسالة بولس الرسول الى تيطس : الاصحاح الأول ، آية ١٤) .

★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★

وفى البحوث والدراسات العلمية التى أجريت فى المجتمع المصرى المعاصر ، اتضح وجود خرافات من أنواع عديدة ، أذكر منها الخرافات المتعلقة :

- بالزواج .
وبالحمل والولادة .
وبانجاب الاطفال ورعايتهم .

وقبل أن أبدأ بضرب بعض الامثلة أود أن أؤكد على أنه لا يخلو مجتمع من المجتمعات البشرية فى الوقت الحاضر من وجود بعض الخرافات فيه . وظاهرة وجود هذه الخرافات لا تعنى أبدية

هذا الوجود . **فالدين الخالص** يشجب هذا الوجود وينفيه ، وبالعلم وتهيئة الظروف الثقافية والاجتماعية والاقتصادية الايجابية ، فضلا عن اتاحة فرص **المناقشة الحرة** والحوار الناضج لدى أعضاء المجتمع حتى تتضح الرؤية عندهم ويجدوا البدائل السوية ـ نلاحظ تقلص تأثير الخرافة على العقول فى الكثير من المجتمعات وبخاصة فى عصرنا الراهن .

والملاحظ ان تأثير الخرافة على عقول الناس وتصرفاتهم **ليس أمرا مطلقا** . فقد يكون منتشرا فى محيط طبقة أو فئة من الناس فى المجتمع ، وقد يكون وجوده ضئيلا فى محيط طبقة أو فئة أخرى من الناس فى نفس المجتمع .

وفى ضوء ظروف مجتمعنا المصرى المعاصر ، أى فى ضوء ظاهرة "اللامعيارية" التى تنتشر فى مناخه الثقافى الاجتماعى ، نلاحظ ان بعض العناصر الثقافية الاجتماعية المستمرة فيه يتضمن **رواسب بالية** . وتتمثل هذه الرواسب فى بعض الخرافات . واكتفى هنا بتسجيل بعض وليس جميع ما يتعلق منها بالزواج :

- اللى تقرص العروسة ليلة دخلتها تحصلها فى جمعتها وتتجوز .
- واذا حد قرص العريس ساعة الفرح يحصله هو راخر ويتجوز .
- واذا العريس والعروسة عدوا من تحت رجلين أم العريس يتفقوا ويتهنوا .
- واذا شرب العريس الشربات بعد ما العروسة تحط رجلها فيه يحبها زيادة وزيادة .
- وفى كتب الكتاب اذا اتحطت حتة سكر تحت لسان العروسة وبعدها انحطت فى كوباية وشربها العريس يتفقوا مع بعض .
- والعروسة اللى تخش بيت الزوجية برجلها اليمين فى الأول تتوفق هيه وجوزها .
- وعروسة الاثنين يزورها الحسن والحسين .
- وعروسة الاربع تطلق يا على أبوها ترجع .

- وفتح المقص فوق رأس العريس والعروسة ساعة كتب الكتاب يمنع العين .
- ورش الملح فى زفة العروسة يمنع الحسد والعين .
- والست اللى تسرح شعرها بالليل جوزها ما يرجعش .
- والست اللى تأخذ فردة جزمة من واحدة ثانية تأخذ كمان عريسها أو (جوزها) .
- واذا وقعت دبلة الخطوبة وقت كتب الكتاب يبقى الجواز مش نافع .
- واللى يتربط يوم الجواز يبقى معمول له عمل .

ومن حيث الحمل والولادة نجد فى المجتمع المصرى ان اعضاءه يهتمون اهتماما بالغا بأن تكون الزوجة ولودا اى قادرة على الانجاب . فالاطفال عند المصريين كانوا ولا يزالون زينة الحياة الدنيا ، ويعتبر كل واحد منهم "ضنا" كل من الأم والأب . ومن ثم نرى **الحفاوة** بمقدمهم فى مجتمعنا ابتداء من فترة الحمل من حيث الحرص على المرأة الحامل من الحسد مثلا ، والحرص على استكمال نمو الجنين فى أثناء هذه الفترة وحتى الولادة . ويلاحظ ارتفاع مكانة "الداية" ، وبخاصة فى الريف المصرى والاحياء الشعبية فى المدن ، فضلا عن كثرة الطقوس المتعلقة بالولادة ، وما بعد الولادة (المشاهرة وطقوس السبوع والختان مثلا) - أقرب الى ان تكون حفاوة مقدسة !!

والملاحظ أن أهم طقوس ما بعد الولادة **ما يحدث فى يوم "السبوع"** . نجد أن الاغلبية الساحقة من المصريين على اختلاف مكاناتهم الاجتماعية ومستوياتهم الاقتصادية والثقافية يحتفلون ب "سبوع المولود" ، "المصريون **المسلمون**" يحتفلون بهذه المناسبة **والمصريون المسيحيون** وبخاصة من اتباع المذهب الارثوذكس ، يفعلون ذلك أيضا . كل حسب امكاناته وقدراته . وفى هذا الاحتفال نلاحظ الطقوس التى تتسم بالتفكير الخرافى اتساما ملحوظا . ويكفى أن اذكر بعضها فيمايلى :

- فى اليوم السادس للوضع ليلا توضع "قلة السبوع" اذا كان المولود بنتاً أو يوضع "ابريق السبوع" اذا كان المولود ولداً بجوار المولود .

- ويوضع فى القلة أو الابريق شمعة كبيرة ، وعدد من الشمع حولها وتشعل الشموع ، ويوضع الكل فى صينية بها ماء .

- ويوضع فى الماء بعض من حبوب الفول ، وذلك تيمناً به حيث نجد علامة سوداء فى كل "فوله" تشبه حرف الالف : أول حروف لفظ الجلالة : الله .

- وينقع الفول فى الماء ، ويعطى المحتفلون فى اليوم التالى (السابع) سبع فولات يضعها كل واحد منهم فى كيس نقوده أو فى جيبه طلبا للرزق والبركة !

- والملاحظ أن القلة أو الابريق يكون بكل منهما ماء يشربه أعضاء الاسرة فى صباح يوم السبوع من أجل ان تزيد روابط الاسرة فيما بينها وبين المولود الجديد . ويكون أول الشاربين فى العادة شخص يكون (باله طويل) .

- وتغطى القلة أو الابريق ببيضة مسلوقة عادة ، يأكلها فى الصباح شخص مسن حتى يعيش المولود الجديد طويلا .

- ويبدأ الحفل عادة باطلاق البخور ، ثم تزف الأم وهى حاملة طفلها من على عتبة البيت وأطفال الجيران يحملون الشموع المضيئة وهم يترنمون "حرجالاتك برجالاتك حلقة دهب فى وداناتك" (اذا كان المولود بنتا) ، أو "ياربنا ياربنا يكبر ويبقى قدنا" . (اذا كان المولود ولدا) . أو مجرد "شفنا وش جديد يرزقنا برزق جديد" .

- وبعد "الزفة" تدخل الأم فى الحجرة التى يتم فيها السبوع ويوضع المولود أو المولودة فى "غربال" ، وتمسك احدى السيدات "هون" من النحاس وتدق به وتقول للمولود اذا كان ولدا "اسمع كلام أمك واسمع كلام أبوك" .

- "واذا كان المولود بنتا تقول "اسمعى كلام أمك ولا تسمعى كلام أبوكِ" .

ويرى المحتفلون ان "دق الهون" له فائدة هى عدم فزع المولود فيما بعد من الاصوات العالية . ويقال إن "ضوضاء" دق الهون مثل اطلاق الاعيرة النارية فى الافراح والزغاريد فى الاحتفالات المختلفة هو وسيلة لابعاد الأرواح الشريرة !

- والملاحظ انه فى اثناء دق الهون تقوم سيدة آخرى بهز "الغربال" الذى به المولود **حتى ينقى من الارواح الشريرة** كما تنقى الحنطة أو ينقى الشعير أو ينقى الأرز وغيرها من الحبوب التى يختلط الغلث بها (انظر كتاب سيد عويس : "حديث عن المرأة المصرية المعاصرة ، دراسة ثقافية اجتماعية" ، القاهرة ، مطبعة أطلس ، عام ١٩٧٧ ، صفحات ٦٨ - ٦٩ و ٧٤ - ٧٦) .

ولعلنى اذ أذكر ما قالته "أمى" رحمها الله لى عندما كبرت واشتد عودى انها عندما بدأت تحس بأنها قد حملت بى اهتمت اهتماما بالغا بالحرص على ان يكون هذا الحمل هينا طبيعيا فقد مات لها ابناء كثيرون قبل ذلك . واقترح على أمى أن تذهب وهى حامل الى "**كودية زار**" ،فهى فى يدها عن طريق اجراء بعض الطقوس ان تحفظ الحمل حتى يأتى أوان الولادة . وهى فى امكانها ان تحفظ المولود حتى يشب ويترعرع ويعيش ماشاء الله له ان يعيش . وكانت المشكلة الكبرى التى صادفتها أمى فى ذلك الحين هى ابلاغ ابى وأخذ اذنه حتى يوافق على اجراء هذه الطقوس . ان أمى فى ضوء حياتها مع ابى فى تلك الايام لم يكن فى وسعها أن تجرؤ على ابلاغه ابدا . وبخاصة فان بعض هذه الطقوس يقتضيها ان تخرج من بيت الزوجية أكثر من مرة حيث تسكن "الكودية" المشار اليها . وفى ضوء خبرتى بأبى كان يرى ان أمثال هذه "الكودية" من النساء الدجالات لا يحفظن عهدا ولا يوثق فى أرائهن ، وكل ما يقمن به مجرد ترهات لا يرضى قبولها رجل رشيد عاقل أو شخص على مستوى من الذكاء كالذى كان يحظى به أبى .

ومع كل ذلك فان أمى لرغبتها الملحة فى ان يكون لها أبناء "يملأون عليها" البيت جازفت وطلبت منه الاذن بالذهاب الى بيت "الكودية" حيث "**تبخرها**" وهى حامل ، ثم تذهب اليها مرة أخرى وهى فى الشهر التاسع لتقوم باجراء طقوس أخرى منها "التبخير" وذبح حمامتين لهما أوصاف معينة لتغمس فى دمائهما ملابسها أو بعض ملابسها التى يجب ان تلبسها **فى أثناء الوضع** ، كما تغمس فى هذه الدماء ملابس المولود التى يجب ان يلبسها بعد ميلاده مباشرة وهذه العمليات بالاضافة الى ما تتمتم به "الكودية" من كلمات مسموعة أحيانا وغير مسموعة أحيانا ، تعنى الطقس المعروف "بالعقد" كل ذلك من أجل أن يتم الحمل والولادة بسلام وحفظ المولود حتى يعيش ويكبر ماشاء الله له أن يعيش .

واذ اذكر هذه الامور وقد مر عليها اكثر من سبعين عاما فاننى لا ادعى ان كل المتزوجات يفعلن ما فعلته امى وهى حامل . ان زوجتى مثلا فعلت ذلك مرة واحدة ، وان ابنتى لم تفعل شيئا من هذا الهراء ، واننى اتوقع ان حفيداتى لن يفعلن شيئا من هذا القبيل . ولكن لا يعنى هذا كله ان ما فعلته امى وهى حامل وبعد ان وضعت لا تفعله سيدات أخريات سواء كن فى الريف أو فى الاحياء الشعبية فى المدينة . انظر كتاب سيد عويس : "التاريخ الذى احمله على ظهرى" : دراسة حالة" ج ١ ، كتاب الهلال ، سبتمبر ١٩٨٥ ، صفحتا ٥٧ و٥٨) .

واذا انهى هذه الدراسة أود أن أؤكد بأنه فى مجتمعنا نلاحظ ان انجاب الأطفال يدل على **رجولة الزوج** ، "اللى يختشى من بنت عمه ما يخلفش منها غلام" (مثل شعبى مصرى) ، كما يدل على **انوثة الزوجة** وقدرتها على الانجاب . فالانجاب يكسب الزوج **مكانة اجتماعية جديدة هى مكانة الأب** ، ويترتب على ذلك حقوق وواجبات جديدة . وهو يكسب الزوجة **مكانة اجتماعية جديدة هى مكانة الأم** . ويترتب على ذلك حقوق وواجبات جديدة . والملاحظ ايضا ان مكانة الأم فى مجتمعنا مكانة رفيعة جدا من آلاف السنين **عبر العصور والازمان** وحتى وقتنا الحاضر . واذا كان المجتمع المصرى المعاصر يتسع للرجل غير القادر على الانجاب ويقبله ، فان **الزوجة العاقر لا**

مكانة اجتماعية مرموقة لها فى هذا المجتمع . ونجد ان من الدعوات الشائعة انه عندما يتزوج رجل مسلم من زوجة ثانية ، تدعو الزوجة الأولى دعوات تتصل عادة بعدم انجاب الأطفال :

"لا تطول ولا تنول ولا تدادى ولا تنادى طول عمرها" و"كل من قطعنى من زوجى اقطعها من ولدها ، واستعين بالله عليها لا تخلف ولا تتلف طول حياتها" .

والامثلة الشعبية المصرية والاقوال المأثورة التى تتعلق بالاطفال فى المجتمع المصرى المعاصر عديدة ولعل مرد بعضها يفسر الاهتمام بهم ورعايتهم وتربيتهم والأخذ بيدهم وحبهم والعبء الجسيم الذى تتحمله الاسرة (التوجيهية) فى سبيلهم ، وأرجو أن يسمح لى القارىء الكريم بذكر بعض هذه الامثلة والاقوال فيما يلى :

- تخريم ودن العيل يخليه يعيش .
- ولبس ابنك خلاخيل فى رجله يحفظه من العين .
- ودقى لابنك علشان يعيش .
- وضع الخمسة وخميسة على صدر العيل يحفظه من الحسد .
- وسمى ابنك "شحات" ولا "شمردل" ولا "خيشة" علشان يعيش .
- ولبس حلق فى ودن ابنك علشان يعيش .
- واشحتى على عيلك علشان يعيش .
- دق الميه فى الهون يخلى اللى ما بيتكلمشى يتكلم .
- والواد يطلع لخاله .
- ويخلق من ضهر العالم فاسد ومن ضهر الفاسد عالم (حديث : المرأة المصرية المعاصرة : "دراسة ثقافية اجتماعية" ، صفحة ١ وصفحة ٧٣) .

وفى ضوء ما سبق أرجو رجاء حارا أن يتقبل القارىء الكريم هذه الدراسة قبولا حسنا ، كما أرجو رجاء حارا أن يغفر التكرار ان وجد التكرار ، وان لا يمله وذلك لان سياق الدراسة ، كما أرجو ان يعلم القارىء قد اقتضى ذلك .

٦ - مفهوم التربية الخلقية في المنظور الاسلامى العربى

لعل من حق القارىء على الكاتب أن يعرف أول ما يعرف معنى مفهوم "التربية" ومعنى مفهوم "الاخلاق" . فالمفهومان من المفاهيم الانسانية . والملاحظ أن هذه المفاهيم مفاهيم فى الاغلب الأعم غامضة أى لها معان عديدة ، وهى أيضا مفاهيم فضفاضة أى لها صور متعددة ، وقد تستخدم فى بعض الأحيان فى مواقف متناقضة .

ومفهوم "التربية" قد تعددت معانيه ودلالاته . ومع ذلك فالكاتب يرى أنه ينبغى أن تفهم التربية على أنها "عملية تغيير" بواسطتها ينمو الانسان ويزدهر وتتفتح ملكاته وقدراته ، وهو أى الانسان اذ يفعل ذلك فانه يكون نفسه ويتحول هو ذاته ، مع تكوينه وتحويله الآخرين والبيئة التى يعيش فيها . ان عملية التغيير هذه تهدف أولا وقبل كل شىء الى اعداد المواطن (الانسان) لكى يستطيع أن يؤدى ادواره الاجتماعية التى يتوقعها منه المجتمع الذى ولد فيه ويعيش . انها عملية تكوين الشخصية ، أى عملية جعل "الفرد" "شخصا" أى فرد له شخصية اجتماعية . أى يكون المواطن شخصا ذا اتجاهات فكرية نحو من يحيط به من الناس سواء كانت هذه الاتجاهات مما يفيد أو يضر المجتمع وجماعاته . وتكون فائدته للمجتمع وجماعاته فى ضوء قيم هذا المجتمع ، ويكون ضرره فى نفس هذا الضوء . أى أن قيم المجتمع وجماعاته قد تكون ايجابية ، قيما بناءة تكون من وراء افكار

اعضاء المجتمع ومن وراء اتجاهاتهم ونظرتهم نحو الامور والأشياء والاشخاص ، أى نحو الحياة التى يعيشونها أو التى يصنعونها أو التى يحاولون صنعها على السواء ، وهى قيم بناءة لانها تدعو الى الخير ولا تدعو الى الشر . ونعنى بالخير كل ما يعين على العمل الصالح من أجل الآخرين ، أى كل ما يعين على التغيير الى الأفضل والى الأقوى والى الأعظم . ومن ثم فهى قيم حميدة تدعم الروح المعنوية فى صفوف أعضاء المجتمع أى مجتمع ، وترتفع بهذه الروح وتثبتها وتقويها . وقد تكون قيم المجتمع وجماعاته على عكس ذلك ـ قيما سلبية ـ قيما غير بناءة لا تدعو الى الخير بل تدعو الى الشر ، تدعو الى ما يعين على العمل غير الصالح من أجل الآخرين .

واذا كان مفهوم التربية يعنى انه عملية تغيير الفرد فى المجتمع لكى يكون شخصا أو فردا ذا شخصية له أدواره الاجتماعية التى يؤديها فى المجتمع ، فان مفهوم "الاخلاق" هو أنماط السلوك التى تصدر عن الشخصية الاجتماعية عندما تواجه الحياة بظروفها ومواقفها الأجتماعية . وأنماط السلوك البشرية عديدة ومتباينة ومتناقضة جميعا . وقد تكون أنماطا فاضلة أو أنماطا غير فاضلة . فالخلق الفاضل هو ذلك الذى يرمى الى أفضل الحالات الاجتماعية . وفى الوقت نفسه يسعى ويعمل بعقل وروية على تخير الوسائل التى بها يدرك هذا الغرض الأسمى . والخلق غير الفاضل يرمى الى العكس أى يرمى الى أسوأ الحالات الاجتماعية التى ترمى بدورها الى السلبية والهدم . أى الى الشر ، أى ترمى الى ما يعين على العمل غير الصالح من أجل الآخرين . أى أن الكاتب لا يرى ما يراه البعض من أن الخلق شىء نفسى داخلى أو هو الدافع الذى يحرك الانسان للفعل ، وأما الفعل نفسه فهو السلوك . أى أن الخلق هو شىء باطنى فى الانسان لا علاقة له بالبيئة الاجتماعية الا عن طريق شىء آخر هو السلوك . أى أن الناظر الى الانسان لا يرى الأخلاق وانما يشاهد العمل أو الفعل ، أو بعبارة أخرى أن أحد هذين الأمرين هو سبب والآخر نتيجة له . فالأخلاق هى السبب ، والسلوك أو العمل هو النتيجة ـ أن هذه فلسفة ثنائية ـ ولكن فلسفة الدين الاسلامى الحنيف هى التوحيد . وهذا

بخلاف ما يقبله أهل الغرب الذين وجدوا متسعا فى بيئتهم لجميع الفلسفات من توحيدية وثنائية وحتى جمعية . فالملاحظ أننا لو أمعنا النظر لوجدنا أن الأمر بخلاف ذلك . فمثلا قد توجد حالة تطلب من الكائن الحى (الشخص) أن يعمل أو ينشط . فقد يأخذ هذا الشخص فى التفكير ـ أى فى غربلة أختباراته السابقة بقصد أكتشاف الصلة أو المشابهة بين هذه الحالة التى تستدعى عملا ونشاطا وبين ما مر عليه فى عهده السابق . وعندما يكتشف المشابهة فى الحالتين يشرع فى البحث عما عمله فى الحالة الأولى ، أى أن يراجع استجابته السابقة لتلك الحالة ـ تلك الاستجابة التى أتت بالغرض فى الدفعة الأولى . ثم يتخيل أنه عمل فى هذه الحالة الراهنة ما عمله فى الأولى ، وبالطبع يقدر لفعله الحالى نتيجته التى قد تترتب عليه . وبعد أن يفرغ من كل هذا يشرع فى العمل المادى الظاهر . ويتحول مجرى التفاعل فى نفسه من تفاعل نفسانى داخلى مستتر الى فعل ظاهر صريح واضح (سلوك بشرى) . وكل هذه العملية هى عملية متصلة ليس لها أنقطاع وليس لجزئياتها انفصال (أنظر كتاب يعقوب فام : "التربية والاخلاق" ، القاهرة ، مطبعة المجلة الجديدة ، ١٩٣٠ ، صفحتا ٢٦ - ٢٧) .

واذا كان السلوك البشرى يصدر عن الشخصية الانسانية فى ضوء محدداتها ومنها خبراتها الاجتماعية الثقافية . فالملاحظ أن القيم الاجتماعية تؤدى كما سبق أن أوضحنا فى هذه العمليات دورا خطيرا . والملاحظ أيضا أن مصادر هذه القيم الاجتماعية ، بأنواعها العديدة ، عديدة كذلك . منها وأهمها التراث الدينى والتراث التاريخى ، ومنها التراث الأدبى والفنى ، ومنها الأمثال الشعبية سواء كان ذلك مكتوبا أو غير مكتوب يحيا فى نفوس أعضاء المجتمع .

والتراث الدينى أهم مصادر القيم الحميدة . وهى قيم شتى ، أى أن أنواعها عديدة . منها القيم الاجتماعية الايجابية التى تتضمن الصبر والمثابرة والكفاح والايمان بالنصر وتقوية العزائم . والأمثلة على ذلك نجدها فى الآيات القرآنية الكريمة التى تزهو بمعانى هذه القيم وتنشر شذاها :

١ ـ "ياأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم" (٤٧ م محمد : ٧) .

٢ ـ "لن يضروكم الا أذى وأن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون" (٣ م آل عمران : ١١١) .

٣ ـ "ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فأنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما" (٤ م النساء : ١٠٤) .

٤ ـ "ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين . أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين" (٣ م آل عمران : ١٣٩ ـ ١٤٠) .

٥ ـ "وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما أستكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا أغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين" (٣ م آل عمران : ١٤٦ ـ ١٤٧) .

٦ ـ « بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين . وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » (٣ م آل عمران : ١٢٥ ـ ١٢٦) .

٧ ـ « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (٣ م آل عمران : ٢٠٠) .

٨ ـ « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » (٨ م الأنفال : ١٥ ـ ١٦) .

٩ ـ « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرضوص » (٦١ م الصف : ٤) .

١٠ - « ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين » (٨ م الأنفال : ١٨) .
١١ - « .. واصبروا ان الله مع الصابرين » (٨ م الأنفال : ٤٦) .
١٢ - « وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » (٤١ ك فصلت : ٣٥) .

١٣ - « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون » (٢٩ ك العنكبوت: ٥٨ - ٥٩) .
١٤ - « يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك ان ذلك من عزم الأمور » (٣١ لقمان : ١٧) .
١٥ - « فاصبر ان وعد الله حق .. » (٤٠ ك غافر : ٥٥) .
١٦ - « فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا » (٧٦ م الانسان : ٢٤) .
١٧ - « ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة » (٩٠ ك البلد : ١٧) .
١٨ - « والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (١٠٣ ك العصر : ١ - ٢ - ٣) .
١٩ - « واصبر وما صبرك الا بالله ولاتحزن عليهم ولاتك فى ضيق مما يمكرون » (١٦ ك النحل : ١٢٧) .
٢٠ - « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » (٢ م البقرة : ١٥٥) .

ومن القيم الحميدة التى تضمنها التراث الدينى ، نجد القيم الاجتماعية الايجابية التى تتضمن الاقبال على التطوع للجهاد والتدين والجهاد فى سبيل الله والثبات وضبط النفس وآيات القرآن تتلألأ بمعانى هذه القيم وتنشر نورها :

١ - وأعدوا لهم ماأستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وماتنفقوا من

شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لاتظلمون » (٨ الأنفال : ٦٠) .
٢ ـ « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير » (٢٢ م الحج : ٣٩) .
٣ ـ « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون » (٥ المائدة : ٣٥) .
٤ ـ « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون » (٩ م التوبة : ٢٠) .
٥ ـ « فقاتل فى سبيل الله لاتكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله اشد بأسا وأشد تنكيلا » (٤ م النساء : ٨٤) .
٦ ـ « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين . وأقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل .. » (٢ م البقرة : ١٩٠ ـ ١٩١) .
٧ ـ « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » (٢ م البقرة : ١٩٣) .
٨ ـ « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون » (٢ م البقرة : ٢١٦) .
٩ ـ « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » (٤ م النساء : ٧٤) .
١٠ ـ « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعلمون بصير » (٨ م الانفال : ٣٩) .
١١ ـ « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » (٩ م التوبة : ١١١) .

١٢ ـ « قل ان كان اباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين » (٩ م التوبة : ٢٤) .
١٣ ـ « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو أنفروا جميعا » (٤ م النساء : ٧١) .
١٤ ـ « ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » (٣ م آل عمران : ١٦٩) .
١٥ ـ « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا .. (٣ م آل عمران : ١٤٥) .
١٦ ـ « لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما » (٤ م النساء : ٩٥) .
١٧ ـ « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فأخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسْبنا الله ونعم الوكيل » (٣ م ال عمران : ١٧٣) .

ومن القيم الحميدة التى تضمنها التراث الدينى ، نجد القيم الاجتماعية الايجابية التى تتضمن التضحية فى سبيل المجموع بالمال والجهد واداء الواجب وتحمل المسئولية فى العمل الايجابى المشترك . وايات القرآن الكريم تشع بدلالات هذه القيم وتنشر هداها :

١ ـ « مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » (٢ م البقرة : ٢٦١) .
٢ ـ « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير » . (٦٧ م الحديد: ٧) .
٣ ـ « ... وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » (٣٤ ك سبأ : ٣٩) .

٤ ـ « ... وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لاتظلمون » (٢ م البقرة : ٢٧٢) .

٥ ـ « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غنى حميد » . (٢ م البقرة : ٢٦٧) .

٦ ـ « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم أن كنتم تعلمون » (٦١ م الصف : ١٠ ـ ١١) .

٧ ـ « وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » (٦٣ م المنافقون : ١٠) .

٨ ـ « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » (٢ م البقرة : ١٧٧) .

ومن الآيات القرآنية الكريمة ما هو مصدر لاينضب لبعض القيم الاجتماعية الايجابية التى تتضمن الثقة بالنصر والتوكل المثمر المقترن بالسعى والعمل والتفاؤل والصبر على مزاولة المشاق والطاعة التلقائية والتمسك بالاخلاق الحميدة والمثل العليا :

١ ـ « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون » (٨ م الانفال : ٦٥) .

٢ ـ « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى

سبيل الله فلن يضل اعمالهم » (٤٧ م محمد : ٤) .
٣ ـ « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم » (٤٧ م محمد : ٣٥) .
٤ ـ « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وارضا لم تطاؤها وكان الله على كل شيء قديرا » (٣٣ من الأحزاب : ٢٦ ـ ٢٧) .
٥ ـ « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا » (٤ م النساء : ٥٩) .
٦ ـ « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون . ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون » (٨ م الانفال : ٢٠ ـ ٢١) .

٧ ـ « واطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » (٨ م الانفال : ٤٦) .
٨ ـ « ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين » (٣ م آل عمران : ١٥٢) .
٩ ـ « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولاتقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا » (٤ م النساء : ٩٤) .
١٠ ـ « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (٣٣ م الأحزاب : ٢١) .
١١ ـ « لا خير فى كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما » (٤ م النساء : ١١٤) .
١٢ ـ « يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا

منهم ولانساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولاتلمزوا انفسكم لاتنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » (٤٩ م الحجرات : ١١) .

١٣ - « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن أن بعض الظن اثم ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا » (٤٩ م الحجرات : ١٢) .

١٤ - « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا » (٣٣ م الأحزاب : ٥٨) .

١٥ - "أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين" (١٠٧ ك الماعون : ١ - ٢ - ٣) .

١٦ - "واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا" (٤ م النساء : ٨٦) .

١٧ - "وأن ليس للانسان الا ماسعى" (٥٣ ك النجم : ٣٩) .

١٨ - "ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون" (٤١ ك فصلت : ٨) .

١٩ - "انا لا نضيع اجر من احسن عملا" (١٨ ك الكهف : ٣٠) .

٢٠ - "ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهو لا يظلمون" (٤٦ ك الاحقاف : ١٩) .

٢١ - "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" (٩ م التوبة : ١٠٥) .

٢٢ - "ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا" (١٧ ك الاسراء : ١٩) .

٢٣ - "فاذا عزمت فتوكل على الله" (٣ م آل عمران : ١٥٩) .

والآيات القرآنية الكريمة التى تتضمن قيم الاخوة والالفة والتماسك فى محيط المجتمع وجماعاته عديدة . وكلها قيم اجتماعية ايجابية تتلألأ بمعانيها هذه الآيات وتحث عليها :

١ - "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان" (٥ م المائدة : ٢) .

٢ - "واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى

واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا" (٤ م النساء : ٣٦) .
٣ ـ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا" (٣ م آل عمران : ١٠٣) .
٤ ـ "انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون" (٤٩ م الحجرات : ١٠) .
٥ ـ "ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير" (٢ م البقرة : ٢٣٧) .
٦ ـ "لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين" (٦٠ م الممتحنة : ٨) .
٧ ـ "ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير" (٤٩ م الحجرات : ١٣) .
٨ ـ "ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم" (٤١ ك فصلت : ٣٤) .

وفى ضوء الآيات الكريمة السابقة نلاحظ أهم القيم الاجتماعية الايجابية التى يدعو اليها الدين الاسلامى الحنيف . والتى يجب ان تعتبر جزءا من شخصية كل مسلم .. وبالاضافة الى هذه الايات نجد العديد من الاحاديث النبوية التى تفسرها وتؤكدها . وبالاضافة الى ذلك نجد شخصية نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم نموذجا يحتذى وقدوة يهتدى بها "لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا" (٣٣ م الاحزاب : ٢١) .

ولقد اثبت العلامة الامام الغزالى فى كتابه احياء علوم الدين بيانا من محاسن اخلاق النبى صلى الله عليه وسلم التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الاخبار . فقد كان صلى الله عليه وسلم :
"أحلم الناس ، وأشجع الناس ، وأعدل الناس ، واعطف الناس ، لم

تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها او عصمة نكاحها او تكون ذات محرم منه ، وكان اسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل شىء ولم يجد من يعطيه وفاجأه الليل لم يأو الى منزله حتى يتبرأ منه الى من يحتاج اليه ، لا يأخذ مما اتاه الله الا قوت عامه فقط من ايسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك فى سبيل الله ، لا يسأل شيئا الا اعطاه ، ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى انه ربما احتاج قبل انقضاء العام ان لم يأته شىء ، وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم فى مهنة اهله ويقطع اللحم معهن ، وكان اشد الناس حياء لا يثبت بصره على وجه احد ، ويجبيب دعوة العبد والحر ، ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن او فخذ ارنب ويكافىء عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة ، و لايستكبر عن اجابة الامة والمسكين ، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه ، وينفذ الحق وان عاد ذلك عليه بالضرر او على اصحابه ، عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو فى قلة وحاجة الى انسان واحد يزيده فى عدد من معه فأبى وقال : انا لا انتصر بمشرك ، ووجد من فضلاء اصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولازاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به ، وكان يعصب الحجر على بطنه مرة من الجوع ، ومرة يأكل ماحضر ولا يرد ماوجد ولا يتورع عن مطعم حلال وان وجد تمرا دون خبزا اكله وان وجد شواء اكله وان وجد خبز بر او شعير اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبزا اكتفى به وان وجد بطيخا او رطبا اكله ، لا يأكل متكئا ولا على خوان ، لم يشبع من خبز بر ثلاثة ايام متوالية حتى لقى الله تعالى ايثارا على نفسه لافقرا ولا بخلا ، يجيب الوليمة ويعود المرضى ، ويشهد الجنائز ويمشى وحده بين اعدائه بلا حارس ، اشد الناس تواضعا واسكنهم فى غير كبر ، وابلغهم فى غير تطويل ، واحسنهم بشرا ، لايهوله شىء من امور الدنيا ، ويلبس ماوجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة جبة صوف ماوجد من المباح لبس ، وخاتمه فضه يلبسه فى خنصره الايمن والايسر ، يردف خلفه عبده او غيره ، يركب ما امكنه مرة فرسا

ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشى راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى فى اقصى المدينة ، يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة . ويجالس الفقراء ، ويؤاكل المساكين ، ويكرم اهل الفضل فى اخلاقهم ويتألف اهل الشرف بالبر لهم ، يصل ذوى رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو أفضل منهم ، لايجفو على احد ، يقبل معذرة المعتذر اليه ، يمزح ولا يقول إلا حقا ، يضحك من غير قهقهة ، يرى اللعب المباح فلا ينكره ، يسابق اهله ، وترفع الاصوات عليه فيصبر ، وكان له لقاح وغنم يتقوت هو واهله من البانها ، وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم فى مأكل ولا ملبس ولا يمضى له وقت فى غير عمل لله تعالى او فيما لابد منه من صلاح نفسه ، يخرج الى بساتين اصحابه ، لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه ، يدعو هذا وهذا الى الله دعاء مستويا ، قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد الجهل والصحارى فى فقر وفى رعاية الغنم يتيما لا اب له ولا ام يعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة واخبار الاولين والاخرين ومافيه النجاة والفوز فى الاخر والغبطة والخلاص فى الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول (انظر كتاب : ابو حامد محمد بن محمد الغزالى : احياء العلوم ، الجزء الثانى ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى ، ١٩٥٧ ، صفحات ٣٥٣ ـ ٣٦٠ .

ولعل اعظم ما يخلص خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى "وانك لعلى خلق عظيم" (٦٨ ك القلم : ٤) ، وقوله جل شأنه "ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين" (٣ م ال عمران : ١٥٩) .

فى ظل هذا المناخ الاجتماعى الثقافى الذى يشع بالقيم الايجابية التى تضمنتها آيات القرآن الكريم ، كما تضمنتها احاديث رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم ، وتحت رعاية القدوة الحسنة والأسوة الكريمة عاش المسلمون الأوائل ونشئوا تنشئة اجتماعية صالحة

انتجت تربة خلقية رائعة يسرت لهم ان يسطروا صفحات خالدة فى تاريخ الانسانية . ولعل اجل مايصف هؤلاء قوله جل وعلا :

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شَطْئَه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما » . (٤٨ م الفتح : ٢٩) .

واذا كانت القيم الايجابية السابقة قد تمثلها اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، واصبحت جزءا من شخصياتهم يواجهون بها المواقف الاجتماعية المتباينة والمتناقضة من غير ان يحيدوا عن الصراط المستقيم ، ويؤكدون بها تحقيق رسالة الاسلام ـ اذا كان الأمر كذلك ، فقد تمثل نفس القيم الذين اتوا من بعدهم وغرست فى نفوس الاخيرين أروع الاتجاهات التى تهدف الى تحقيق نفس هذا الهدف الاسمى . كان الأولون مثلا عليا سار على دربهم الاخيرون . والتاريخ يذكر الفتوحات التى مزقت اكبر دولتين فى العالم فى ذلك الحين ، دولة فارس والدولة الرومانية ، يذكر فتوحات العراق وسوريا وفلسطين والهند وفارس والقسطنطينية واسيا الصغرى واسيا الوسطى القديمة ، كما يذكر الفتوحات غربا وشمالا فى مصر وشمال افريقيا وسيسيلى (جزيرة صقلية) وقبرص واسبانيا حتى حدود نهر اللوار فى فرنسا (بواتيه) ويذكر التاريخ حدود الامبراطورية الاسلامية حتى الصين شرقا ، وحدودها فى قارة افريقيا فى السودان والحبشة الى نيجيريا . ويذكر التاريخ الاسلامى دائما القادة العسكريين العظام الذين اثبتوا تفوقهم العسكرى امام الدنيا بأسرها ، يذكر التاريخ خالد بن الوليد والمثنى ومسلمة وعمرو بن العاص وابن ابى سرح وعبد الله بن نافع بن عبد القيس وابن الحصين وموسى بن نصير وطارق بن زياد وقتيبة بن مسلم وغيرهم . (انظر كتاب ابو جعفر

محمد بن جرير الطبرى ، تاريخ الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، الجزء الرابع ، القاهرة دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ ، صفحات ١٠٤ و١١٢ و٢٥٣ ـ ٢٥٥ .

انظر ايضا :

Reuben Levy, « An Introduction to the Sociology of Islam », VOL. I. London, Williams Norgate Limited 19 1, P.P. 8-33

ولم يكن التفوق العسكرى وحده او روح الفداء وحدها أو كان التفوق الحضارى بكل انماطه ، بل كان كل اولئك جميعا ، فضلا عن الايمان الراسخ بالقيم الايجابية التى تمثلها المسلمون الأوائل من امثال الخليفة ابو بكر (مات فى عام ٦٣٤ م) والخليفة عمر (مات فى عام ٦٤٤ م) ، والخليفة عثمان (مات فى عام ٦٥٦ م) ، والخليفة على (مات فى عام ٦٦١ م) كما تمثلها من اتى بعد الخلفاء الراشدين وحذوا حذوهم ـ هى التى بنت حضارة الاسلام العظيمة المتفوقة . فالملاحظ ان العلم العصرى قد بشر ببداياته علماء مسلمون افاضل ابتداء من جابر بن حيان (مات فى عام ٨٠٣ م) ، اى منذ القرن الثامن الميلادى . ويكفى ان نذكر العصر الاسلامى الذهبى فى خلال المدة من القرن الثامن الميلادى والترجمات لامهات كتب الاغريق الى اللغة العربية . كما نذكر الجهود التى بذلها علماء وفلاسفة من أجل ازدهار العلم والفلسفة من أمثال الخوارزمى (مات فى عام ٨٥٠ م)، والكندى (مات فى ٨٧٣ م) والرازى (مات فى عام ٩٢٥ م) ، والفارابى (مات فى عام ٩٥١ م) ، وابن سينا (مات فى عام ١٠٣٧ م) وابو الحسن بن الهيثم (مات فى عام ١٠٣٩ م) ، والبيرونى (مات فى عام ١٠٤٨ م) ، وابن رشد (مات فى عام ١١٩٨ م) وابن جبير (مات فى عام ١٢١٧ م) ، وابن بطوطه (مات فى عام ١٣٦٨ م) وابن خلدون (مات فى عام ١٤٠٦ م) وغيرهم وغيرهم .

ومن الفقهاء الاعلام نذكر الامام ابو حنيفة النعمان (مات فى عام ٧٦٧ م) والامان مالك بن انس (مات فى عام ٧٩٥ م) والامام ابو

عبد الله محمد بن ادريس الشافعى (مات فى عام ٨٢٠ م) ، والامام أحمد بن حنبل (مات فى عام ٨٥٥ م) ، وغيرهم وغيرهم .

ومن جامعى الاحاديث النبوية ومصنفيها العلماء الافاضل البخارى (مات فى عام ٨٧٠ م) ، ومسلم (مات فى عام ٨٧٥ م) ، وابن ماجه (مات فى عام ٨٨٦ م) ، وأبو داود (مات فى عام ٨٨٨ م) ، والترمذى (مات فى عام ٨٩٢ م) ، والنسائى (مات فى عام ٩١٥) ، وغيرهم وغيرهم انظر كتاب : Maurice Gaudefory- Demom-bynes Muslim Institutions, London, George Allen and Unwin Ltd 1950, P.P. 60, 68, 205- 206
انظر ايضا : Encyclopaedia Britannica Inc Encyclopaedia Britannica U.S.A, 1968, Volumes, 1, 2, 11, and 13.

كان هؤلاء العلماء والفلاسفة والفقهاء ، ومازالوا ، اعلام الحضارة الاسلامية العتيدة ، ولم يكن يقابلهم معاصرون فى الغرب ، وعملوا فى ضوء قيمهم التى تعطر بها المناخ الاجتماعى الثقافى ، وكلها قيم ايجابية ، فى سبيل خير الناس وصلاح المجتمع والكشف عن الحقيقة . وبذلوا فى سبيل تحقيق كل ذلك كل غال ، كانوا المعلمين الأوائل لأهل الغرب الذين سرعان ما اكتشفوا المعرفة عندهم فنهلوا منها منهلا عذبا ، وقد اعترف العلماء الغربيون والفلاسفة الغربيون بهذه الحقيقة وسجلوها فى كتبهم ودوائر معارفهم واكدوها فى كل وقت . ومن الأمثلة على ذلك ماذكره « جورج سارتون » صاحب (تاريخ العلم) بعد ان عدد بعض اسماء اعلام العرب : « انها مجموعة رائعة من الاسماء التى لايصعب على المرء ان يضيف اليها اخرين . ولو أن أحدا اشار الى جدب القرون الوسطى من الناحية العلمية . فما عليك الا ان تجابهه بتلك القائمة من الاسماء الذين ظهروا فى فترة صغيرة نسبيا ، اى مابين عامى ٧٥٠م و١١٠٠ » وعلى نفس الدرب يسير الفيلسوف الأمريكى « دارير » فيقول : « تأخذنا الدهشة احيانا عندما ننظر فى كتب العرب ، فنجد اراء كنا نعتقد انها لم تولد الا فى زماننا ،

كالرأى الجديد فى ترقى الكائنات العضوية وتدرجها فى كمال انواعها ، فان هذا الرأى كان مما يعلمه العرب فى دراساتهم ، وكانوا يذهبون به الى ابعد مما ذهبنا فكان عندهم علم يشمل الكائنات غير العضوية والمعادن . والأصل الذى بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقى المعادن فى اشكالها » .

وقد كتب « اناتول فرانس » بأسلوبه المعهود : « سأل السيد « دوبوا » مرة السيدة « نوزيير » ما هو اكثر ايام التاريخ شؤما ؟ لم تستطع السيدة « نوزيير » الاجابة عن هذا السؤال ، وحينئذ قال السيد « دوبوا » ان اكثر ايام التاريخ شؤما هو اليوم الذى جرت فيه معركة « بواتييه » فى عام ٧٣٢ ، حين تراجع العلم والفن العربيان والحضارة العربية امام البربرية الافرنجية . اى فى معركة « بلاط الشهداء » التى ردت فيها جيوش الغال (فرنسا) الجيوش العربية الزاحفة على فرنسا من اسبانيا بقيادة عبد الرحمن الغافقى » (انظر كتاب محمد عمارة : فجر اليقظة القومية ، القاهرة ، القاهرة للثقافة العربية ١٩٧٥ ، صفحتا ٢٠٦ _ ٢٠٧ .

وقد كتب الفيلسوف الانجليزى المعاصر « جون لويس » فى كتابه و(مدخل الى الفلسفة » الذى ترجم الى العربية فى عام ١٩٥٧ مايلى :

« ان الفلسفة الغربية مدينة بدين لايمكن ان يقدر للفلاسفة العرب الكبار وخاصة ابن سينا وابن رشد . ولعل فى نقل كتابى (مدخل الى الفلسفة) الى العربية مايشير الى ذلك التقدير الكبير الذى نكنه نحن معشر الغرب ، لهؤلاء الاعلام ، ولعل فيه قسطا يسيرا من الوفاء بديننا لاولئك القوم الذين دفعوا بالفكر الغربى الى الامام .

فى اقصى الشرق فى جمهورية اوزبكستان السوفييتية ، تقف مدينة بخارى ، اكثر مدن اسيا الوسطى القديمة تطبعا بالطابع الشرقى ، اذ تحتوى على ٣٦٥ مسجدا ، هناك ولد ابن سينا فى عام ٩٨٠ م وقضى اكبر قسط من حياته . هناك اشتغل ابن سينا بالطب فكان من اعلام فنه فى العالم اجمع . هناك عرض ابن سينا فلسفة ارسطو طاليس عرضه

الخاص القوى . قال ان المادة ازلية وانها لم تخلق ، وان كانت المادة تكتسب صورتها بفضل العقول التى هى انبثاقات من الله . ان البرت الكبير العالم الاسكولائى الكبير فى العصور الوسطى تعلم من ابن سينا الكثير . وراح يؤكد ان فكرة خلق المادة لايمكن البرهنة عليها فلسفيا .

فى اقصى الغرب . فى اسبانيا ، تقف مدينة قرطبة فى مقابل مدينة بخارى من اقصى الشرق . ولد ابن رشد فى عام ١١٢٦ م فى هذه المدينة التى كان جده قاضيا لها . كان ابن رشد معلقا وشارحا لفلسفة ارسطو طاليس ، وقد طور مذهبه الفلسفى بطريقته الواضحة الابداعية الخاصة . انه لم يكتف بالقول بأزلية المادة ، بل راح يؤكد انه فى مقدور الجنين ان يتطور بفضل قوته الكامنة الذاتية . لقد دافع ابن رشد بقوة عن ابن سينا فى وجه المفكرين الدينيين المحافظين الذين كانوا ينتقدونه . وسواء فى بغداد او فى اسبانيا . لم تستمر الشعلة التى اوقدها هؤلاء الرواد الكبار مدة طويلة . بل ان الاعمال الكبيرة التى انجزوها ظلت لاتقدر ولايعترف بها سنوات عديدة . والحق ان فلسفتهم وخاصة على النحو الذى اثرت فيه فى الفكر الغربى فى العصور الوسطى ، ساعدت على ارساء النظرة العلمية ، لا النظرة اللاهوتية ، الى امور هذه الدنيا . (انظر كتاب جون لويس : مدخل الى الفلسفة ، ترجمة انور عبد الملك ، القاهرة ، الدار المصرية للكتب ، ١٩٥٧ ، صفحة ٦ .

و« جورج سارتون » و« داربر » و« اناتول فرانس » و« جون لويس » ، وغيرهم مهما كانت آراؤهم ومهما كانت فلسفتهم ، المنصفون منهم وحتى غير المنصفين قد اعترفوا بالفضل لذويه . اى بفضل العلماء والمفكرين والمثقفين العرب الذين انبتتهم الامبراطورية العربية ، لم يكونوا مغالين فى الاشادة بهذا الفضل لانهم كانوا يتحدثون عن علماء بلغ من قدسية العلم والثقافة لديهم مبلغ العقيدة الدينية ومستواها ، التى كانت ولاتزال فى المستوى الارفع من الاعتقادات . وهذا « ابو الدرداء » يتحدث عن علم الفلك فيقول : « ان

شئتم لاقسمن لكم : ان احب عباد الله الى الله ، الذين يرعون الشمس والقمر والنجوم والاظلة . لذكر الله » (انظر فجر اليقظة القومية ، صفحتا ٢٠٧ ـ ٢٠٨) .

ومع ذلك فان التاريخ يذكر فى ضوء ماكتبه « موريس جود فروى » فى كتابه (المؤسسات الاسلامية) ، « انه حتى فى القرن الخامس عشر الميلادى كان علماء الغرب المسيحى يعتمدون دائما على كتب علماء العرب المسلمين فضلا عن اعمال ارسطوطاليس » وماذا بعد « القرن الخامس عشر الميلادى » ان لذلك قصة وأية قصة ! فالتاريخ يذكر انه قبل ان يمون « ابن رشد » باحدى ومائة سنة ، وبعد ان مات « البيرونى » بتسع واربعين سنة ، اى فى عام ١٠٩٧ م ، بدأ ضد العالم الاسلامى اغرب عدوان ، واطول عدوان شهده العصر الوسيط ، اما انه اطول عدوان فلانه قد استغرق قرنين من الزمان ، اذ ان الحملات الصليبية الست قد استمرت حتى استطاع العرب المسلمون اجلاء اخر معاقل الصليبيين عن « عكا » فى عام ١٢٩١ م . وفى خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة اتخذ هذا العدوان الاجنبى على الأرض العربية الاسلامية العديد من الاشكال : حملات مسلحة ، ودسائس ومؤامرات لقلب الحكم الوطنى ، ودول صليبية اقيمت على الأرض العربية ، وزحف تجارى على المنطقة وضرب للمصالح العربية الاسلامية فيها . والحقيقة التى لم يعد ينكرها احد اليوم ، ان هذه الحرب كانت عملية من اجرأ عمليات النهب الاستعمارى التى شهدتها القرون الوسطى واوقحها ، كانت حربا عدوانية من جانب الغرب ، ودفاعية من جانب العرب المسلمين كانت استعمارا اوربيا قبل ان تحدث الثورة الصناعية وتنمو الرأسمالية وتعرف الامبريالية طريقها الى المستعمرات ، وكان عدوان الصليبيين اغرب عدوان . وذلك لان الجيوش التى تحركت للقيام به ، والملوك الذين قادوا هذه الجيوش ، والنبلاء الذين لعبوا دورا رئيسيا فى الحملات ، قد ادعوا يومها ان حربهم انما هى حرب دينية ، وانها قامت باسم الدين ، وان هدف هذه الحرب انما هو « استعادة » الأرض التى شهدت مولد « المسيح » عليه السلام كما شهدت صلبه ، والمدينة التى يكن لها قلب كل مسيحى اعز

الذكريات ، والتى استحقت ان تدعى بحق « ام الانبياء » Muslim Institutions P.204 ايضا : فجر اليقظة القومية : صفحات ٢١٨ - ٢٢٠ .

وكان من نتائج الحروب الصليبية ، حتى بعد انحسار موجتها عن العالم العربى الاسلامى ، وبعد ان اجلى العرب اخر قواتها عن « عكا » اخر معاقلها فى عام ١٢٩١ م ، قد سببت لحركة التطور العربى واستمرت تسبب لقوى المجتمع العربى الاسلامى ، الكثير من الاضرار ، كما حققت واستمرت تحقق للقوى المعادية للعروبة . الكثير من الاهداف مدة قرنين ، بل واكثر من قرنين من الزمان ، وفى هذا الضوء نستطيع ان نقول ان الحروب الصليبية قد فتحت ابواب النكسة الاسلامية العربية (فجر اليقظة القومية : صفحة ٢٢٩) .

واذا كانت الحملات الصليبية على العالم الاسلامى العربى قد اتخذت شكل حملات عسكرية كبرى ، فلقد شن المغول المتوحشون ثلاث حملات رئيسية ضد هذه المنطقة من العالم . واذا اعتبرنا الحملات الصليبية صورة المرحلة الأولى من مراحل الخطر الكبير الذى احاق بالعالم العربى الاسلامى ، فان المرحلة الثانية من مراحل هذا الخطر قد اتخذت شكل التحالف بين الخطر الصليبى وبين الزحف المغولى المدمر على العالم العربى الاسلامى ، ذلك الزحف الذى اصبح يضرب به المثل فى الابادة والتخريب والافناء .

وعلى الرغم من ان عام ١٢٩١ م كان عام انتصار اسلامى عربى ، قضى فيه المماليك على الحملة المغولية الثالثة التى عاثت فسادا فى الأرض السورية . فان هذا العام نفسه اصبح بداية لعصر النكسة التى اصابت الامة العربية الاسلامية . كانت القوى المملوكية التى جاءت بعد القوى المملوكية المنتصرة هى قوى المماليك الذين لم يعيشوا احداثا عربية كبرى تحدث لهم تحولات فى الفكر والتكوين النفسى ، وتقربهم من العرب وتدمجهم فى المجتمع الذى يحكمونه كما حدث لابطال مثل صلاح الدين الايوبى ، والظاهر بيبرس ، ولم يكن حكم هذه

القوى المملوكية غير العربية قصيرا وطارئا . بحيث لاتستطيع ان تكبل الروح العربية . وتنزل الهزيمة بالقيم العربية . وتوجه الطعنات المتوالية لحضارة العرب وثقافتهم ، لم تكن فرصة حكم هذه القوى قصيرة بل استمرت اكثر من خمسة قرون . منفردة بالسلطة حينا ، ومشتركة فيها احيانا اخرى ، مع قوة لاتقل عنها جهلا بالعروبة او عداء لها ، هى قوة الاتراك العثمانيين .
(انظر المرجع السابق : صفحات ٣٥٣ ـ ٣٥٥) .

ولم تكن آثار الانتكاسة الاسلامية العربية والردة الرجعية ، التى احدثها طول عهد المماليك بالحكم للعالم الاسلامى العربى قاصرة على شيوع التحلل والتفسخ وانكسار الشوكة العربية فى المشرق فقط ، وفى البلاد التى خضعت خضوعا مباشرا لهؤلاء المماليك . فلم يأت عام ١٤٩١ م حتى كان النزيف الذى سببته جراح اعداء الدويلات العربية فى الاندلس قد بلغ بهذه الدويلات نهاية المطاف . والاندلس هذه منذ ان فتحها العرب فى عام ٧١٠ م ، والذين دام حكمهم فيها نحوا من ثمانية قرون ، الاندلس هذه كانت قد اصبحت مهجرا لعديد من القبائل العربية ، وكانت قد شهدت حركة « تعريب » نموذجية وعملاقة ، وكانت قد تحولت الى مايشبه الجامعة الفكرية والمنارة العلمية التى تتلمذت عليها قوى اوربا الجديدة التى قادت عصر البعث والاحياء ، وقد تم هذا الانتصار المسيحى غلاة الرجعيين فى الكنيسة المسيحية ، والدليل على ذلك البحر من الدم الذى دفعته اعاصير من الحقد الاسود ، والذى اغرقت فيه محاكم التفتيش حضارة العرب الانسانية فى الاندلس ، واغرقت معها فى ذلك الدم كل العرب الاندلسيين ، وبعد خمسة اعوام من سقوط الحكم العربى الاسلامى فى الاندلس نجح اكتشاف الملاحين البرتغال لطريق « رأس الرجاء الصالح » فى جنوب افريقيا ومن ثم تحولت التجارة الاسيوية الافريقية عن طريقها العربى ودارت مع البرتغاليين حول افريقيا الى « لشبونة » عاصمة البرتغال . وضعفت بذلك القوى التجارية العربية .
(نفس المرجع : صفحات : ٣٥٦ ـ ٣٥٨) .

لقد كانت كل هذه الاحداث مقدمات للنتيجة المحزنة التى شهدها العالم العربى لحكم آل عثمان الذى لم يكن لمظالمه حدود ، والتى كانت اهدافه هى نفس ما رمت الى تحقيقه الحروب الصليبية . والزحف المغولى المدمر ، وماساعد على تحقيقه حكم المماليك ، والرحلة البرتغالية . كانت نفس الاهداف التى تتجه الى نفس الاتجاه للطعنة التى تروم القضاء على القاعدة القومية لتقتلها ، او على الاقل لتعوق نموها وتضع امامها الصعاب والعقبات . والتى تجعل انتصارها امرا اشبه بالمستحيل .

(نفس المرجع : صفحات : ٣٦٢ ٣٦٤) .

ومع ذلك فلا ضربات الحروب الصليبية ، والمغول ، وحكم المماليك ولاتحول التجارة الى « رأس الرجاء الصالح » ، ولا الحكم العثمانى الوضيع ، ولامصادرات الاتراك وسلبهم ونهبهم ، ماكان لذلك ، ولالغيره ، ولا لاقسى منه واشد ، ليطفىء شعلة الايمان فى قلب الشعب العربى . او يفرغ المجتمع العربى من قواه الاجتماعية صاحبة المصالح الحقيقية فيه . والتى تتناقض مصالحها مع مصالح الحكام الظالمين . ان هذه القوى صاحبة المصالح الحقيقية لم تمت . ولم يقض عليها . وانما هى استمرت . بل نمت . فالمجتمع العربى ، على الرغم من عصر النكسة ، قد استمر يحيا ، وعلى الرغم من مأساته ، لم يتوقف عن الحياة والسعى فى مناكب الأرض لصنع وسائل معاشه ومايعنيه على قضاء حوائجه من ادوات . استمر هذا المجتمع فى ضوء ماغرس فى تربته من عناصر ثقافية ايجابية وقيم ومبادىء ومثل عليا ، حتى بعد ان واجه الاستعمار الغربى السافر ، منذ ان وصم هذا الاستعمار تركيا وسماها ، « الرجل المريض » اى منذ القرن الثامن عشر ، عندما طلب الغرب اول ماطلب فى شخص انجلترا والنمسا ، ثم روسيا بعد ذلك ، « مناطق نفوذ » فى الامبراطورية العثمانية . استمر المجتمع العربى الاسلامى يعيش مأساة الاستعمار الغربى السافر عندما احتل الفرنسيون الجزائر فى عام ١٨٣٠ م، وعندما احتلوا تونس فى عام ١٨٨١ م ، وعندما احتل الانجليز مصر بعد ذلك بعام واحد ،

وحتى قبل ذلك عندما شن « نابليون » حملته ونزلت جيوشه بالاسكندرية فى يوليو عام ١٧٩٨ م ، وبعد ذلك عندما احتل المستعمر الغربى الارض الليبية فى عام ١٩١١/١٩١٢ (الايطاليون) . وبحجة الانتداب احتل فلسطين والعراق (الانجليز) وسوريا ولبنان (الفرنسيون) ، او بحجة الحماية والاستعمار احتل عدن وسلطنة مسقط وعمان والكويت وقطر والبحرين مثلا .

ولم يأل الشعب العربى من المحيط الى الخليج جهدا ، على الرغم من مظالم الاستعمار القديم والحديث ، فى مقاومة هذه المظالم ، ذلك ان العرب حتى فى اشد عهود السيطرة والقهر التركى ، كانوا ينظرون الى الاتراك نظرتهم ، الى قوم اقل منهم فى مستوى الحضارة وجماعة بلا تراث ولاتاريخ . وكانت هذه النظرة ولاتزال ، فى ضوء القيم الايجابية الراسخة والمبادىء والمثل العليا الاسلامية تحيط بكل مستعمر ظالم اخر . برَّز فى سبيل ذلك منهم الزعماء والمفكرون والعلماء والمجاهدون والفدائيون ، وقد سطر التاريخ لهم صفحات وصفحات من نور . وحتى الان نجد الشعب العربى اذا يواجه الاستعمار الامبريالى والصهيونية العالمية يقاوم ولايستكين ، ويصمد الصمود الايجابى فى ضوء مارسخ فى تربة تراثه الاجتماعى الثقافى الدينى من عناصر اجتماعية ثقافية ايجابية . ان عبارة « لا اله الا الله » وعبارة « الله اكبر » تفعل كل منهما فعلها الساحر فى تقوية النفوس واستثارة الهمم ولاتزال . ولعل مايحدث من نكسات فى بعض الاحيان ان يكون مرجعه عدم وضوح الرؤية . وقد يرجع ذلك الى انعدام وجود السياسة الاجتماعية القومية المتفق عليها ، وانعدام التنظيم المسئول عن تحقيق هذه السياسة حتى يتم التخطيط السليم واختيار الأولويات التى تهدف دائما الى اشاعة الرؤية الواضحة للحاضر والمستقبل فى محيط الملايين حتى لايسيروا وهم فى ظلام خلف قيادات قد تنطق باسمهم ولكنها لاتهتم بمصالحهم الحقيقية . والتاريخ العربى الاسلامى يذكر ان الجماهير الشعبية قد سارت خلف

بعض القيادات فى اكثر من ثورة ، واكثر من انتفاضة ، واكثر من تمرد . ولكن هذه القيادات كانت تقف دائما وباستمرار عند الحدود التى لاتمكن من تغيير المجتمع الى الأفضل وبناء مجتمع اخر جديد .
(نفس المرجع : صفحات ٣٩٩ ـ ٤٠٢) .

وفى ضوء اهداف الدراسة الحالية عن « التربية الخلقية » نود ان نؤكد ان القيم الحميدة العديدة فى المجتمع الاسلامى العربى المعاصر ، واهم مصادرها التراث الدينى المستمر استمرار الحياة . مازالت تعيش فى ظل المناخ الاجتماعى الثقافى لهذا المجتمع . واذ ندعو الى « وضوح الرؤية » فى محيط ابناء هذا المجتمع وبناته فى ضوء وضع سياسة اجتماعية قومية متفق عليها ، حتى يستطيعوا ان يؤدوا المهام الملقاة على عاتقهم فى الفترة الحالية وأن يسهموا فى مسيرة الحضارة الانسانية ـ فان المقصود ـ من هذه الدعوة هو تيسير بذر بذور الاستعداد للتغيير الى الافضل فى نفوسهم . أى ان وضوح الرؤية يعنى فى الواقع الادراك والفهم ، اى هو يعنى تيسير الاستيعاب لكل مايعمل فى المجتمع ، ولكل مايقال فيه ، ولكل مايصنع فيه وتمثل كل ذلك ، كما يعنى الثقة المتبادلة بالقادرين المخلصين من ابنائه وبناته الذين يعملون والذين يقولون والذين يصنعون . وهو يعنى كذلك ادراك توقيت كل مايعمل وكل مايقال . وكل مايصنع وادراك ظروف هذا التوقيت . ووضوح الرؤية فى محيط اعضاء المجتمع العربى المعاصر ، فى ضوء المهام الملقاة على عاتقهم فى الفترة الحالية لايعنى الادراك والفهم والاستيعاب والتمثل والثقة المتبادلة بالقادرين المخلصين من ابنائه وبناته الذين يعملون فيه والذين يقولون والذين يصنعون فحسب ، بل هو ييسر غرس الحاجة الملحة الى كل ذلك ، حاجة اعضاء المجتمع العربى المعاصر ، الملحة الى كل ذلك . ان غرس الحاجة الملحة الى كل ذلك فى نفوس هؤلاء الاعضاء يعنى فى الواقع تيسير الظروف المواتية لتفجير طاقاتهم الانسانية الكامنة لتعمل . كلها ، فى سبيل توفير الامكانيات ، المادية والمعنوية جميعا التى تيسر تحقيق الاهداف ، كل الاهداف نحن فى مسيس الحاجة فى

ضوء ظروف المجتمع العربى المعاصر الى العمل البناء القادر الواعى . ان هذا العمل هو شرط وجودنا الانسانى . **والتحديات التى تواجهنا كلها** ، نستطيع بالعمل البناء القادر والواعى . وحده ، ان **نواجهها** ، وأن نوجهها فى سبيل الخير الذى نأمله . (انظر كتاب سيد **عويس : « حديث عن الثقافة : بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة » القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، عام ١٩٧٠ ، صفحتا** ٣٠١ ـ ٣٠٢) .

والملاحظ ان العمل البناء القادر الواعى يصدر بالضرورة عن شخصيات اجتماعية قادرة واعية . ولايمكن ان تتكون هذه الشخصيات الاجتماعية القادرة الواعية فى فراغ . بل تكونها . كما سبق اوضحنا ، عمليات التربية التى يعدها المجتمع لاعضائه عن طريق اجهزة التنشئة الاجتماعية التى توجد فيه . فالمواطنون الصالحون وغير الصالحين هم اعضاء المجتمع . اى مجتمع . وهم كأعضاء فى المجتمع لا يعيشون فى فراغ . اى انه لايوجد فرد او شخص لا يعيش فى علاقات اجتماعية دائمة ، اى فى جماعات . والملاحظ ايضا ان اجهزة التنشئة الاجتماعية التى توجد فى المجتمع ، اى مجتمع هى جماعات اجتماعية ، بل هى اهم الجماعات الاساسية التى يكون عضو المجتمع فى ضوء الضرورة الاجتماعية عضوا فيها . واذا كانت هذه الجماعات الاجتماعية الاساسية (اى اجهزة التنشئة الاجتماعية) توجد فى كل المجتمعات ، فان وظائفها فى مجتمع ما قد تختلف عنها فى مجتمع اخر . وذلك لان المناخ الاجتماعى الثقافى الذى يظلل المجتمعات يكون فى الكثير من الاحوال مختلفا حسب عقائد كل مجتمع وقيمه ومثله العليا . ومن ثم فاننا نجد ان المواطن الصالح مفهوم متغير . فهو فى المجتمع الامريكى غيره فى المجتمع الروسى ، وهو فى المجتمع البريطانى غيره فى هذين المجتمعين . وهو فى المجتمع العربى الاسلامى غيره فى كل هذه المجتمعات اى ان شخصية المواطن الصالح فى كل مجتمع من هذه المجتمعات متباينة ، ومن ثم تكون

ادواره الاجتماعية التى تتوقعها منه هذه المجتمعات متباينة كذلك ، اى ان نظرته نحو الحياة وعلاقاته الاجتماعية واتجاهاته واسلوب تفكيره تختلف بالضرورة حسب المجتمع الذى يعيش فيه . والملاحظ كذلك ، اننا اذا ندعو الى وضع سياسة اجتماعية قومية متفق عليها حتى تتضح الرؤية ، فاننا نهدف الى تيسير وضع سمات المواطن الصالح المسلم المعاصر والاتفاق على هذه السمات . ولا يعنى هذا التحديق او محاولة هذا التحديد فى رأى الكاتب اننا نهدف الى تحويل اعضاء المجتمع العربى الى قوالب جماعية . اننا نود ان نتعامل مع اناس من البشر ، اناس متباينين . اى اناس من حقهم ان يتباينوا وان يختلفوا . ان اهم اهتماماتنا هو ان نيسر لكل عضو عن طريق ارتباطاته بجماعاته أن ينضج فى الاتجاه الذى يميزه عن غيره ، وان يصبح ذاته الكاملة ، وان يكون الاحساس بقيمته كشخص ليكون فعلا وحقا عضوا فى المجتمع اكثر نفعا واكثر قيمة . وذلك فى ضوء قيم التراث الدينى ومبادئه ومثله العليا . والملاحظ مرة رابعة ان الجماعات الاجتماعية الاساسية المشار اليها عديدة ، نذكر منها على سبيل المثال ، الاسرة او العائلة والمؤسسة الدينية والمدرسة ومؤسسة شغل اوقات الفراغ والمؤسسة السياسية ومؤسسات الاعلام والثقافة (الصحافة ، الكتب ، دار السينما ، الاذاعة والتلفزيون مثلا) والملاحظ ان المؤسسة الدينية فى المجتمع العربى تؤدى دور القاسم الاعظم بين اجهزة التنشئة الاجتماعية فى هذا المجتمع . اى ان الدين فى هذا المجتمع يمثل مصدرا هاما من مصادر المعرفة الانسانية . (انظر كتاب سيد عويس : « الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦ ، صفحات ٣٢٩ ومابعدها) .

٧ ـ ظاهرة الامية وكيف نكافحها

ـ ١ ـ

من الملاحظ ـ وهذا كلام معاد ـ ان مجتمعنا المصرى المعاصر فى ضوء ظروفه الاقتصادية والسياسية والثقافية الاجتماعية **يئن** من بعض الادواء والمشاكل التى تقف فى سبيل تنميته ومنها بالضرورة مشكلة الامية . واعيد كلام الآخرين مرة أخرى واقول ان هذه الادواء والمشاكل تجعل مجتمعنا **متخلفا** . ومن ثم فانه من العسير ان يقوم هذا المجتمع بفئاته وقادته **بالتنمية المرجوة** . واقصد بفئات المجتمع هنا **أهمها** ، أى فئة الشباب الذين يبلغون فى ضوء التعداد التقديرى لعام ١٩٨٥ فى الفئة العمرية من سن ١٥ ـ أقل من سن ٣٠ عاما نحو ٣٨٫٧٥ ٪ . فأعضاء الشباب وبخاصة من هم فى هذه الفئة هم حملة مشاعل التنمية المرجوة لمجتمعنا المصرى فى الوقت الراهن . فهذه التنمية تكون بالضرورة بهم ولهم ولمن يأتى من بعدهم من أجيال .

ـ ٢ ـ

والملاحظ أيضا أننا نجد ان عطاء أجهزة الاعلام والثقافة لفئة الشباب المشار اليها فضلا عن غيرهم من أعضاء المجتمع الاخرين ، فى ضوء انخفاض نسبة التعليم فيه ، عامل من عوامل عدم كفاءتها وخاصة ما يتم منها عن طريق هذه الاجهزة ، ويرجع ذلك الى أن نسبة الامية **فى ضوء تعداد ١٩٨٦ هى نحو ٤٩٫٤ ٪ من سن ١٠ فأكثر** .

وأرجو ان يلاحظ القارىء أن لمفهوم الامية معنيين ، **الأول هو** :
مفهوم «**الامية الأبجدية** » ، اما الثانى فهو «**الامية الوظيفية**» . ويعرف
المفهوم الأول فى ضوء قانون رقم ٧٦ لسنة ١٩٧٠ ، بأن الامى هو :
« **كل مواطن** يتراوح عمره بين سن ١٨ وسن ٤٥ وغير مقيد فى أية
مدرسة ولم يصل تعليمه الى نهاية الصف الرابع الابتدائى» .

أما مفهوم الامية الوظيفية فانه يعتبر **الاساس الفعلى للمشكلة** ولا
سيما بعد أن تأكدت جدوى الامية الوظيفية بالنسبة للدول التى تنظر
الى هذه المشكلة نظرة واقعية جادة خالية من أية **مجاملات سياسية** .

وتعرف «منظمة اليونسكو» الامية الوظيفية بأنها :
« عدم الالمام بالقراءة والكتابة على النحو الذى يمكن الفرد من
ممارسة الأنشطة التى تتطلب معرفة القراءة والكتابة بما فى ذلك
توسيع معارفه ذاتيا (أى تعليم نفسه) اذا ما اقتضى الامر ذلك » .

واذا سلمنا بأن الامية المطلوب القضاء عليها هى «الامية الوظيفية»
كما جاء فى التعريف السابق فان نسبتها تزيد بالقطع على نحو
٤٩ر٤ ٪ وفق تعداد عام ١٩٨٦ كما ذكر آنفا لتصل الى نحو ٧٣ر١ ٪
تقريبا (على حساب ان الامى : هو من لم يكمل دراسته بنجاح حتى
السنة الرابعة الابتدائية) .

وفى ضوء نتائج دراسة لاحدى قرى الريف المصرى القريبة من
المدينة ، اتضح ان تعرض الغالبية من الريفيين الذين تنتشر بينهم
الامية لاجهزة الاتصال الجماهيرى ومنها ، جهاز التليفزيون **منخفض**
فقد تبين ان نسبة من يمتلك جهاز التليفزيون من الآميين نحو ٣ر٢ ٪
ومن لايمتلك نحو ٩٦ر٧ ٪ ، اما من يمتلك هذا الجهاز من **غير الاميين**
فقد بلغت نسبتهم نحو ٦٦ر٧ ٪ ومن لايمتلكون نحو ٣٣ر٣ ٪ . وقد

يعود هذا الاختلاف الى الأوضاع الاقتصادية التى غالبا ما **ترتبط** بالحالة التعليمية لعضو المجتمع ، فضلا عن تباين الاهتمامات نحو الاتصال بالعالم الخارجى وسبل تحقيق ذلك ، والتى توجد بين الاميين وغير الاميين .

ولايعنى عدم امتلاك جهاز التليفزيون انه **يحرم** من لايمتلكونه من مشاهدة برامجه فى المقاهى أو الاندية الاجتماعية والثقافية (منظمات شغل أوقات الفراغ مثلا) . والملاحظ أن **المقاهى** على الرغم من وجود جهاز التليفزيون مثلا ، فاننا نجد عدم الاهتمام بمشاهدة برامجه الا أن يكون ضمنها «مباراة كرة قدم» أو مسلسل «ذو مغزى محبب» لدى رواد المقهى أو بعضهم .

وفى ضوء نتائج أحد البحوث الذى قمت باجرائه على بعض المشاهدين من الشباب لاحد «الافلام» المصرية المعروضة على شاشة جهاز التليفزيون . وكانوا فريقين : فريق كل أعضائه من الاميين (الذين لايعرفون القراءة والكتابة الابجدية) ، وأعضاء الفريق الثانى من طلبة المدارس الثانوية والفنية . وقد لاحظت **تضارب** أقوال الفريقين عن وقائع الفيلم المعروض . فالاميون الشبان كانوا يرون ما يتمنون أن يروه ، على عكس الشبان الآخرين من الطلبة ، فقد **استوعب الآخرون** مغزى الفيلم وأهدافه مع اختلاف فى بعض التفاصيل .

(انظر : سيد عويس ، « بحث غير منشور) .

ـ ٥ ـ

واذا كانت مشكلة الامية فى المجتمع المصرى المعاصر سواء كانت فى محيط أعضاء هذا المجتمع من الذكور أو فى محيط الأعضاء الاناث الموجودات فيه ، مشكلة خطيرة ، فقد أدهشنى حقا وفعلا ان نجد البعض من القادة الثقافيين المصريين إذ يعالجون هذه المشكلة الخطيرة أنهم يقتصرون هذه المعالجة على **احد ابعادها** الا وهو **المتلقى** أى الامى الفرد .

اننى اعترف بأن هذا البعد هام ما فى ذلك من شك ، ولكنى اعترف أيضا بأن المعلم وهو مصدر التلقى يعد آخر له نفس الاهمية ان لم تكن هذه الاهمية أكثر خطورة وخطرا . وبالاضافة الى هذين البعدين أرى واعتقد فيما أرى أن البيئة الثقافية التى تحيط بالمتلقى وامكاناتها المعنوية والمادية (المنهج والمكان اللائق والفترة الزمنية المناسبة والاثاث اللائق فضلا عن المرافق اللائقة) . هى كذلك بعد هام .

- ٦ -

والحاجة ماسة الى اجراء البحوث والدراسات العلمية الواقعية وليس كما يدعو البعض الى البحوث والدراسات الوصفية التحليلية من وجهة نظر أحد الابعاد التى ذكرتها من قبل . وذلك لأن الموضوع الذى أتحدث عنه موضوع خطير خطير . والحاجة ماسة أيضا ، اذا كان المسئولون جادين ، الى القيام باجراء البحوث تلو **البحوث الواقعية للابعاد الثلاثة** (المتلقى ومصدر التلقى والبيئة الثقافية جميعا) . اى ان الحاجة ماسة الى البحوث العلمية **الشاملة** قبل التنفيذ وبعده وفى اثنائه . وذلك لرفع مستوى الاداء وتعديله أو تغييره اذا دعت الضرورة الى ذلك .

واذ أتحدث عن القضاء على الامية فى المجتمع المصرى المعاصر فأننى أؤكد على أن **المقصود** هو «القضاء على الامية الوظيفية» . ومن حيث المنهج الذى ، كباحث علمى اجتماعى ، يجب ان يتبع فاننى أرى ان يؤخد فى الاعتبار أن تتضمن مفردات العينة التى تجرى عليها البحوث بيانات عن السن والنوع ومحل الاقامة . واننى احبذ جدا أن تكون العينة المختارة **ممثلة** وان تعذر ذلك لبعض العوامل ان يكون عدد مفرداتها **كبيرا بما فيه الكفاية** .

- ٧ -

واننى ادعو ملحا الى أن تكون «المدرسة» (من دار الحضانة الى

الجامعة والمعاهد العليا) «مؤسسة اجتماعية تربوية » **فعلا وحقا** .
وان تتعاون هذه المؤسسة (أقصد المدرسة بمراحلها المشار اليها) مع غيرها من الأجهزة التربوية الاخرى وبخاصة المؤسسة الأساسية التى اقصد بها «الاسرة» إن هدف اهداف المدرسة **بالمعنى** السابق لايمكن ان يكون مجرد التلقين ، بل يجب أن يتأكد هذا الهدف بتحقيق وظائفها الاخرى وأهمها الاسهام فى **تربية تلاميذها وطلابها** ، والملاحظ ان مفهوم «التربية» قد تعددت معانيه ودلالاته . وفى ضوء خبرة الكاتب فى ميدان الشباب منذ عام ١٩٣٩ ، يجب ان تفهم التربية على أنها « عملية تغيير» بواسطتها **ينمو عضو المجتمع ويزدهر وتتفتح ملكاته وقدراته** . وهو أى عضو المجتمع (وبخاصة الطفل والشاب) اذ يفعل ذلك فانه يكون نفسه ويتحول هو ذاته ، مع تكوينه وتحويله الآخرين والبيئة التى يعيش فيها . إن عملية التغيير هذه تهدف أولا وقبل كل شىء الى اعداد عضو المجتمع المصرى المعاصر لكى يستطيع أن يؤدى ادواره الاجتماعية التى يتوقعها منه هذا المجتمع ، اى المجتمع الذى ولد فيه ويعيش . انها عملية تكوين الشخصية ، اى جعل «الفرد» «شخصا» ، **أى فرد له شخصية اجتماعية** . أى يكون الشخص ذا اتجاهات فكرية نحو من يحيط من الناس . وقد تكون هذه الاتجاهات مما يفيد هذا المجتمع أو يضره ويضر جماعاته . وتكون فائدته للمجتمع وجماعاته فى ضوء قيمه ، ويكون ضرره فى نفس هذا الضوء . اى ان قيم المجتمع المصرى المعاصر وجماعاته قد تكون قيما ايجابية ، أى **قيم أهدافها بناءة** ، تكون من وراء أفكار أعضاء هذا المجتمع ومن وراء اتجاهاتهم ونظرتهم نحو الامور والاشياء والاشخاص ، اى نحو الحياة التى يعيشونها أو التى يصنعونها أو التى يحاولون صنعها على السواء . وهى قيم أهدافها بناءة لأنها تدعو الى الخير ولاتدعو الى الشر . واننى اعنى بمفهوم الخير هنا كل ما يعين على العمل الصالح من أجل الآخرين ، اى كل ما يعين على التغيير الى الافضل والى الاقوى والى الاعظم .
ومن ثم فهى قيم أهدافها حميدة تدعم الروح المعنوية فى صفوف أعضاء المجتمع ، وترتفع بهذه الروح وتثبتها وتقويها .

- ٨ -

واذا كانت المدرسة ، بكل مراحلها ، مؤسسة اجتماعية تربوية . فاننا نتوقع بالضرورة أن يكون قادتها (المشرفون والمشرفات) راشدين ، وان تكون برامجها متعددة وان توجد فيها المرافق الضرورية التى تيسر تطبيق هذه البرامج . وفى هذا الضوء نتوقع أنها تستطيع ان تغرس فى نفوس تلاميذها وطلابها القيم التى تكون أهدافها ايجابية . والملاحظ أنه لايمكن ان تفعل ذلك الا باتاحة الفرصة لمن تشرف عليهم من التلاميذ والطلاب لكى يعيشوا الخبرات والمواقف التى تؤدى الى صياغة شخصياتهم صياغة تحقق أهداف المجتمع المصرى المعاصر فى المستقبل المشرق . اى أن تسهم فعلا وحقا فى تربيتهم ، اى ان تسهم فى عملية التغيير التى بواسطتها ينمو تلاميذها وطلابها ويزدهرون وتتفتح ملكاتهم وقدراتهم ، ومن ثم يصبحون اشخاصا يعرفون ما عليهم من واجبات وما لهم من حقوق .

- ٩ -

واختيار المشرفين والمشرفات وبخاصة من يعملون فى دور الحضانة والمدارس الابتدائية ، يجب ان يتحدد فى بعض الامور هى :

- أن يكونوا من العاملين المهنيين .
- أن يكونوا أصحاء النفس والبدن .
- أن يكونوا من المهتمين بالعمل مع الجماعات سواء أكان أعضاؤها من الأطفال أم الفتيان والفتيات أم من الشباب .

والاختيار فى هذا الضوء ، وحده ، غير كاف . ولابد من التدريب النظرى والعلمى لكى يكون المشرفون والمشرفات على وعى تام بالمهام الملقاة على عاتقهم ، ولكى يكون لديهم من المهارات ما يعينهم على أداء هذه المهام على الوجه الاكمل ، واننى ارى أن يأخذوا حقوقهم كأعضاء مسئولين عن أسر أو حتى لو كانوا مجرد أعضاء فى أسر

ان تحدثت عنه ، ثم نشر كتابه «فى الصيف» فى عام ١٩٢٣ ، وفى نفس العام نشر كتاب «حافظ وشوقى» وفى عام ١٩٣٣ أيضا نشر الجزء الاول من كتاب « على هامش السيرة» . ثم انتقل الى نوع آخر من الكتابة حيث بدأ فى كتابة القصة بمعناها المعروف اى ليس كما كتب «الايام» و «فى الصيف» ، وهذه القصة هى «دعاء الكروان» ، وفى عام ١٩٣٥ اصدر كتابه «من بعيد» وهو كتاب قد جمع بين أدب الرحلات وادب الأفكار ، وفى نفس العام أى فى عام ١٩٣٥ يصدر كتابه الثانى وهو «أديب» ، والكتاب الثالث الذئ صدر فى نفس العام أيضا كان كتاب «الحياة الادبية فى جريدة العرب» وهو المعروف حاليا بكتاب «الوان» ، وصدر كتاب رابع فى عام ١٩٣٥ أى فى نفس العام وهو «مع ابى العلاء فى سجنه » . وفى عام ١٩٣٦ صدر كتاب «من حديث الشعر والنثر» ثم صدر كتاب «القصر المسحور» فى عام ١٩٣٧ وقد جمع هذا الكتاب بين «طه حسين» و «توفيق الحكيم» حيث شاءت الاقدار أن يجتمع المؤلفان فى احدى القرى الصغيرة فى حضن جبال الالب . وفى عام ١٩٣٧ صدر كتاب «مع المتنبى » وفى العام الذى يليه اى فى عام ١٩٣٨ قدم «طه حسين» قصته الثانية وهى « الحب الضائع» وفى عام ١٩٣٨ نشر كتاب **مستقبل الثقافة فى مصر** (سأعود الى هذا الكتاب لاهميته لكى أناقش قضاياه فيما بعد) . ثم ظهر فى المكتبة العربية الجزء الثانى من كتاب «الايام» فى عام ١٩٣٩ . وفى عام ١٩٤٢ صدر كتاب «لحظات» وهو يضم القصص التى لخصها «طه حسين» من عيون الادب الغربى . وعلى سنتين متتاليتين هما ١٩٤٢ و ١٩٤٣ ، صدر الجزءان الاخيران من كتاب «على هامش السيرة» (نشر الجزء الأول من هذا الكتاب فى عام ١٩٣٣ كما سبق ان ذكرت) ، ثم نشر فى عام ١٩٤٣ كتابين آخرين وكان الكتاب الاول هو «صوت باريس» اما الكتاب الثانى فهو «أحلام شهرزاد» . وفى عام ١٩٤٤ يعود «طه حسين» الى عالم القصة بنشره «شجرة البؤس» **(لعل الاستاذ نجيب محفوظ قد كتب ثلاثيته**

المشهورة متأثرا بهذه القصة التى تضم أجيالا اى تضم فى ضوء النظرية الاجتماعية اسرة ممتدة) . وفى عام ١٩٤٥ نشر « طه حسين » ثلاثة كتب كان أولها « جنة الشوك» ، اما الكتاب الثانى فقد كان «فصول فى الادب والنقد » ، والكتاب الثالث هو «صوت أبى العلاء» . وفى عام ١٩٤٧ نشر الجزء الأول من المؤلف العظيم « الفتنة الكبرى» وهو خاص بالخليفة «عثمان بن عفان» ثم يعود «الدكتور طه حسين» مرة بعد مرة الى نشر الرسائل التى كان يكتبها من اوروبا ، ففى عام ١٩٤٨ ينشر كتاب «رحلة الربيع» وقد أضاف اليه كتابه « فى الصيف » ونشر الكتاب فى مجلد واحد فى عام ١٩٥٧ . وفى عام ١٩٤٩ نشر كتاب «المعذبون فى الارض» ، وكان نغمة هذا الكتاب **ثورية**. وهذا لايتوقع الا من «طه حسين» فى ضوء ظروف حياته وكفاحه ومواجهة الظلم والعنف سواء كان ذلك فى طفولته أو فى صباه أو فى شبابه أو فى رجولته ، فلم يكن بد إلا أن يعبر عن الناس الذين يعيش فى وسطهم ، ولم يكن بدا أيضا الا **ان يعبر عن آمالهم و آلامهم وهمومهم** . وفى نفس العام نراه ينشر كتاب «مرآة الضمير الحديث» الذى نشر أيضا بعنوان «نفوس للبيع» ، والقارىء لهذا الكتاب يدرك أن «طه حسين» يحاول **ان يلائم بين الحياة العقلية والحياة العملية** . ففى هذا الكتاب نجده يقول :

« ان تغيير الأشياء لايكون بالكلام الذى يقال عن اخلاص أو تكلف ، وعن تفكير أو اندفاع وانما يكون بالعمل الذى ينقل الأشياء من طور الى طور .. العمل وحده هو الذى يستطيع ان يرضى القلب الذكى ، ويقنع النفس الكبيرة ، ويزيد البصيرة نفوذا الى نفوذ » .

وفى عام ١٩٥٠ صدر كتاب «الوعد الحق» ويؤكد «طه حسين» فيه **الانتصار للحرية والكرامة الانسانية وذلك فى ضوء تعاليم الدين الاسلامى** . وضرب فى هذا الكتاب الأمثلة إذ يصور نفوس الاحرار كل من «عمار بن ياسر» و «بلال» و «صهيب» . وفى نفس العام نشر كتاب «جنة الحيوان» يعرض فيه «طه حسين» نماذج بشرية من خلال صورة أقرب الحيوانات الى خلقها ، اى ان هذا الكتاب **يمكن ان يندرج تحت**

الشعر الجاهلى» كما ذكرت ذلك من قبل .

وكان رد الفعل عند «طه حسين» الصبى أن يثير من حوله ضجة يسمع الناس فى القرى المجاورة أنباءها . كان فى نظرهم طفلا . ولكنه لم يأبه لهم ولا لغيرهم وأخذ يجادل ويناقش ويصر على أن يكون له رأى فى كل شىء ! فهو ينقد كتاب بالقرية وسيدنا والعريف ويطلق لسانه فيهما اطلاقا ملحوظا ، ويظهر من عيوبهما ما خفى على القرية زمنا طويلا .

وهو حين يختار من المجالس ، فانه يختار مجالس العلماء المعروفين فى الريف ككاتب المحكمة الشرعية ، وامام المسجد ، وثالث مهتم بالعلم .. فيتقدم ويلقبهم بالعلماء الرسميين ، وغيرهم علماء منبثون بين الريفيين . ولم يكونوا أقل من هؤلاء تأثيرا فى دهاء الناس وتسلطاً على عقولهم منهم «الحاج الخياط» ، ومنهم هذا الشيخ الذى أجمع الناس بأنه آكل لاموال اليتامى ، ومنهم هذا الشيخ الذى لم يكن يقرأ ولايكتب ولايحسن حتى قراءة الفاتحة وكان رغم ذلك يفتى الناس .. ومنهم الفقهاء الذين يقرءون القرآن ويسمون «حملة كتاب الله » وكانوا يأخذون علمهم من القرآن مباشرة ويفهمونه كما يستطيعون لا كما ينبغى ان يفهم .

ولا جدال فى ان «طه حسين» الصبى كان نابغة وقد ظهر هذا النبوغ مبكرا بشكل ميزه عن اترابه واقرانه بل وبقية اخوته فى القرية .. ولم يكن غريبا ان يفكر ابوه فى الحاقه بالازهر الشريف فى القاهرة مع اخيه الأكبر الذى كان مجاورا ، ولكن ذلك لم يحدث فى التو واللحظة بل تأجل المرة تلو المرة .

كان سن «طه حسين» عندما غادر قريته الى القاهرة طلبا للعلم فى الازهر الشريف **لايعدو الثلاثة عشر عاما** ، واجتاز اختبار القبول ولكنه ، وهو ذو الحس المرهف ، **وجد ان كل شىء قد تغير من حوله** : **المكان والصحبة وحتى الزمان** . وأصبح يعيش مع أخيه الأكبر الذى يكاد أن يضيق عليه الخناق ، فهو يجلس فى مجلسه الذى **اختاره له** الأخ الاكبر ولا يبرحه » .

« ... وعن قرب يجلس هذا الأخ الاكبر ومعه زملاؤه المجاورون فى الازهر يتندرون ويتناظرون ويدرسون وفوق ذلك يشربون الشاى ! وهو كما هو لايستطيع ان يطلب من أخيه الاذن بأن يحضر مجلسهم أو يستمتع بما يستمتعون به » (انظر طه حسين : حياته وأعماله » (مرجع سابق) صفحة ٨ .

وذهابه الى الازهر الشريف جاء « **بفرمان**» من أبيه الذى قال له :

« اما فى هذه المرة فستذهب الى القاهرة مع أخيك ، وستصبح مجاورا ، وستجتهد فى طلب العلم ، وأنا أرجو أن أعيش حتى أرى أخاك قاضيا ، وأراك من علماء الازهر ، قد جلست الى احد أعمدته ومن حولك حلقة واسعة بعيدة المدى » (انظر «الايام : الجزء الأول» ، (مرجع سابق) ، صفحة ١٣٨) .

والمتتبع لانتاج «طه حسين» يجده انتاجا غزيرا ، فقد بدأ بأول كتاب «ذكرى ابى العلاء» وقدمه للمكتبة العربية فى عام ١٩١٥ ، وكان كتابه الثانى «فلسفة ابن خلدون» كان قد كتبه « طه حسين» باللغة الفرنسية فى عام ١٩١٨ حيث كان رسالة الدكتوراه من «جامعة السربون» وترجمة «الاستاذ محمد عبد الله عنان» فى عام ١٩٢٥ ، وكان الكتاب التالى عبارة عن «محاضرات فى التاريخ القديم فى الجامعة المصرية» ، وتلاه كتاب «آلهة اليونان» أو «الظاهرة الدينية عند اليونان وتطور الآلهة وأثرها فى المدنية» ويوالى «طه حسين» **اهتمامه بالتاريخ** والادب اليونانى ويظهر ذلك جليا فى مؤلفين نشرا فى عام ١٩١٩ ، ويوجه «طه حسين» اهتمامه مرة أخرى بالتاريخ والادب اليونانى ويظهر ذلك جليا فى مؤلفين نشر الأول فى عام ١٩٢٠ تحت عنوان «صحف مختارة من الشعر التمثيلى عند اليونان» ونشر الثانى فى عام ١٩٢٥ تحت عنوان «قادة الفكر» ، وفى نفس العام بدأ فى نشر الاجزاء الثلاثة من كتابه «حديث الاربعاء» وهى (الأجزاء الثلاثة) عبارة عن الفصول التى كان ينشرها فى جريدة السياسة ، وفى عام ١٩٢٦ نشر كتابه « فى الشعر الجاهلى » وتغير اسمه (بسبب المعركة التى قامت حوله) الى «فى الادب الجاهلى» الذى نشر فى العام التالى اى فى عام ١٩٢٧ . ونشر بعد ذلك كتابه «الايام» الجزء الأول الذى سبق

ما كان لصبى فى مثل سنه ، فتراه يذكر فى «الايام» :

« .. من ذلك الوقت تقيدت حركاته بشىء **من الرزانة والاشفاق والحياء لاحد له** . ومن ذلك الوقت حرم على نفسه ألوانا من الطعام لم تبح له الا بعد ان جاوز الخامسة والعشرين . حرم على نفسه الحساء والارز وكل الالوان التى تؤكل بالملاعق ، لانه كان يعرف انه لايحسن اصطناع الملعقة ، وكان يكره ان يضحك اخوته ، أو تبكى أمه ، أو يعلمه ابوه فى هدوء حزين .

و « ... كان قليل الاكل لا لأنه كان قليل الميل الى الطعام . بل لانه كان يخشى أن يوصف بالشره أو أن يتغامز عليه اخوته ، وقد آلمه ذلك أول الامر ، ولكنه لم يلبث ان تعوده حتى أصبح من العسير عليه أن يأكل كما يأكل الناس . كان يسرف فى تصغير اللقمة ، وكان له عم يغيظه منه كلما رآه فيغضب وينهره ويلح عليه فى تكبير اللقمة ، فيضحك اخوته . وكان ذلك سببا فى أن كره عمه كرها شديدا . كان يستحى ان يشرب على المائدة مخافة ان يضطرب القدح من يده ، أو ألا يحسن تناوله حين يقدم اليه . فكان طعامه جافا ما جلس على المائدة ، حتى اذا نهض منها ليغسل يديه من حنفية كانت هناك شرب من مائها ما شاء الله ان يشرب . ولم يكن هذا الماء نقيا دائما ، ولم يكن هذا النوع من رى الظمأ ملائما للصحة ، فانتهى به الامر الى أن أصبح محمودا وما استطاع أحد ان يعرف لذلك سببا ..» (انظر : كتاب طه حسين » الايام : الجزء الأول ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٦ ، صفحات : ١٨ و٢٠ و ٢٣ ـ ٢٤) .

ولم يكن بد مما ليس منه بد أن تؤثر هذه المواقف فى وجدان «طه حسين» وتبقى فى قرارة نفسه ويستمر بقاؤها . ولكنه مع صغر سنه ورجاحة عقله المبكرة استطاع ان يستمع لمن يقص القصص والاحاديث وتعلم من ذلك حسن الاستماع . كان يستمع لانشاد الشاعر وأحاديث الرجال الى أبيه والنساء الى أمه . وكان من حسن حظه أن أباه وطائفة من اصحابه كانوا يحبون القصص حبا جما فاستمع لقصص الغزوات والفتوح ، وعرف ضمن ما عرف اخبار عنترة والظاهر بيبرس ، وأخبار الانبياء والنساك والصالحين . كان «طه حسين» :

يستمع لكل هذه الامور والذين يقولون أو ينشدون عنه غافلون : ولم يفته الاستماع الى اخواته وهن يتغنين ، وأمه وهى تعدد . وكان تعديد أمه يهزه هزا عنيفا وكثيرا ما كان يبكيه . والاوراد لم يفته الاستماع لها . فقد كان له جد ضرير يتلوها اذا أصبح أو أمسى . وكان الصبى ينام فى حجرة مجاورة لحجرة جده الشيخ ، فكان يسمعه وهو يتلو حتى حفظ من الأوراد والادعية شيئا كثيرا .

« ولم يبلغ التاسعة من عمره حتى كان قد وعى الاغانى والتعديد والقصص وشعر الهلاليين والزناتيين والأوراد والادعية وأناشيد الصوفية جملة صالحة ـ وحفظ الى ذلك كله القرآن (المرجع السابق : صفحات ٢٤ ـ ٢٧) .

واذا كان انصراف «طه حسين» ابن التاسعة من عمره عن اللعب بيده مع اخوته أو اقرانه فانه كان يشاركهم اللعب بعقله . ولعل انصرافه عن اللعب والعبث حبب الى نفسه أمورا أخرى كانت لها الاثر الكبير أو الآثار الكبيرة فى تحويل مجرى حياته من شيخ معمم ربما كان مصيره تلاوة القرآن على المقابر الى عميد الادب العربى . بل كانت لها الاثر الكبير أو الآثار الكبيرة فى غرس قيم العزيمة والشجاعة والمثابرة والجد والاجتهاد فى نفوس قراء كتاب «الايام» .

وفى ضوء خبرات «طه حسين» حتى بلوغه هذه السن لاحظ أهل قريته ، وبخاصة بعد أن حفظ القرآن الكريم ، انه توقع أن يلبس الجبة والقفطان ويتخذ العمامة غطاء لرأسه . فقد كان الجميع يلقبونه «بالشيخ» حتى أهل بيته . كان ينتظر أن يكون شيخا حقا .

« وكان من العسير اقناعه بأنه أصغر من أن يحمتل العمة ، ومن أن يدخل فى القفطان وكيف السبيل الى اقناعه بذلك وهو شيخ قد حفظ القرآن ! وكيف يكون الصغير شيخا ! وكيف يكون من حفظ القرآن صغيرا . **هو اذن الظلم** ... وأى ظلم أشد أن يحال بينه وبين حقه فى العمة والجبة والقفطان « نفس المرجع : صفحتا ٣٧ ـ ٣٨) .

وكان هذا الاحساس بالظلم المبكر عند «طه حسين» له شأن وأى شأن فى تمرده على الظلم وفى ثورته على الظالمين فى المستقبل وبخاصة وقد عانى فى خلال هذا المستقبل العناء تلو العناء سواء عندما كان يتلقى العلم فى الازهر الشريف أو عندما كتب كتابه «فى

سخطه وحركه الى الكفاح . ثم رأى عند «المعرى» مثل هذا السخط ومثل هذا الكفاح ، فارتبطت بين الاديبين أواصر الحب والفهم وتعارفا وتفاهما . وقد انتقلت عند طه حسين بعد ذلك ، بؤرة المعركة من ميدان الازهر الى ميدان السياسة المصرية . ولكن اتجاهه الأول لم ينحرف (انظر كتاب) « تربية سلامه موسى » القاهرة ، دار الكاتب المصرى ، ١٩٤٧ ، صفحتا ٨ و٩) .

والملاحظ ان كتاب «فى الشعر الجاهلى» قد الف للرد عليه حوالى أربعين كتابا ، وأنه نوقش فى «البرلمان» ومثل مؤلفه أمام القضاء وداخل الجامعة ولم تنته المعركة حول هذا الكتاب الا بعد ان حذفت منه الجمل والصفحات المعترض عليها وأضيفت اليه صفحات جديدة وتغير اسمه من «فى الشعر الجاهلى» الى «فى الادب الجاهلى»؟ الذى نشر فى العام التالى اى فى عام ١٩٢٧ .

والملاحظ أيضا أن مضمون الجمل التى حذفت تتعلق «بأن الكثرة المطلقة مما يسمى شعرا جاهليا ليست من الجاهلية فى شىء وانما هى منتحلة مختلفة بعد ظهور الإسلام ، فهى اسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهلين» .

وذكر «طه حسين» **فى شجاعة فى كتابه** «فى الشعر الجاهلى» قائلا : « انه لايكفى ، لكى تثبت من الوجهة العلمية وجود ابراهيم وابنه اسماعيل فى التاريخ ان يكون اسماها قد ذكر فى التوراه والقرآن (انظر : سامح كريم ، «طه حسين : وأعماله » ، ملحق مجلة الاذاعة والتليفزيون ، عدد ٢٠٦٩ ، تاريخ ٩ من شهر نوفمبر عام ١٩٧٤ صفحة ٣٠) .

ودلالة هذه الجملة ان «طه حسين» المجدد كان فى الواقع ، أيضا ، علميا فى نظرته ، ويدل على ذلك ان قوله لايعنى ، بالضرورة ، ان «ابراهيم» لم يوجد قط كما نسب اليه . ولكنه لم يسلم من الخصومات التى لاجدوى منها والتى كان استعمالها ليس فقط ضد «طه حسين» ولكن ضد المنهج العلمى الذى استعمله فى الفترة الزمنية التى عاشها بين جنبات مصرنا الخالدة منذ طفولته ، حيث كانت أول بوادر الثورة

والتمرد على الأوضاع ، وعندما شب ، كما ذكرت سابقا ، وعندما التحق بالازهر الشريف ، ثم التحق بالجامعة المصرية الاهلية ، وافسحت له «الجريدة» التى كان يرأس تحريرها «لطفى السيد» الصفحة الأولى لمقالاته التى كانت تشع التمرد الثائر أو الثورة المتمردة سواء كان ذلك ضد المشايخ الازهريين الذين كان يراهم من الرجعيين وبخاصة الذين تلقى دروسا بين ايديهم أو الذين امتحنوه وغيرهم من خارج الازهر الشريف وبخاصة الذين اتهموه بالكفر بالله وتكذيب الاديان .

ولا أخفى على القارىء الكريم اننى عندما اشتريت نسخة من «كتاب الايام» التى كانت الطبعة الأولى بعد الاعلان عنه فى المجلات الادبية وغيرها . ذهبت ماشيا من حى الخليفة الى العتبة الخضراء لكى أوفر ثمن تذكرة «الترامواى» . وكانت فرحتى عندما وجدت النقود التى فى جيبى توازى الثمن الذى يجب علىّ دفعه . وأخذت الكتاب ووضعته فى يدى تحت أبطى ورجعت الى بيتى مسرعا لكى أقرأه ، ماشيا كذلك ، وكأننى كنت أطير على بساط الريح . لم أشعر بالوقت أقصد بمروره حتى ذهبت الى مسكنى وبدأت أقرأه . قرأته مرات ، وكنت بعد مرور الايام والأسابيع والشهور والسنين أعود فأقرأه .

كان «كتاب الايام» ومازال بلسما لنفسى عندما كنت أواجه الصعوبات والعوائق حتى أكمل تعليمى وحتى حصلت على «درجة الدكتوراه فى علم الاجتماع» ، عندما بلغ عمرى ثلاثة واربعين عاما ! ولا غرور ! فقد كان «طه حسين» مثالا يقتدى . واجه الصعوبات وصمد لها وتمرد على مكانته وانتصر . ويبدو لى الآن ان طفولة طه حسين اتاحت له هذا التمرد الذى ثبت فى وجدانه عندما كبر . كانت امه تحنو عليه وترثى لحاله وتبكى أحيانا وكان أبوه يقدر ظروفه ، ولكن اخوته وكانوا ثلاثة عشر من أبناء أبيه وترتيبه بينهم السابع ، وكان ترتيبه الخامس من بين أحد عشر من أشقته . وكان يشعر أن له مكانا يمتاز من مكان إخوته وأخواته ومع ذلك فقد كانوا يسخرون فى بعض الاحيان من تصرفاته ويحتاطون فى تحدثهم اليه ومعاملتهم له أحيانا أخرى .

وعندما بدأ «الطفل» طه حسين يتنبه على عاهته ، اخذ نفسه بشدة

فى دروسه ، ولا هو يثبت الحقيقة الخيالية ولايترك الحقيقة الثابتة ، واراد ان يسلب أهل العلم ما يعلمونه كما يسلبك اللص ما تملك بالجرأة لا بالحق ، وبالحيلة لا بالاقناع ، وعن غفلة لا عن بينة . وما يضحكنى الا أن أرى هذا الأستاذ واثنين أو ثلاثة من أشباهه يريدون أن يكونوا ثورة فى الأدب العربى ، ونسوا أنهم انما يريدون ذلك لأنهم خلقوا لذلك ، فكان «طه» فى الجامعة كالممثل : انما وسيلته ان يتصنع ويجترىء ويزور ، فلما نزعنا عنه ثوب الرواية . نزعنا فى الثوب الحادث والرواية والممثل جميعا ، ورجع طه حسين وهو طه حسين . واين هو أو مثله من وسائل القدرة ، وما وسائلها الا القلم الذى لايجارى ، والفكر الذى لاينقض ، والخيال الذى لايلحق ، والقوة المستحصدة ، والطبع المستجيب ، فالكلام الذى تراه حيا ساميا فتحسبه ينبع من موضع يد الله فى النفس الانسانية ..

انظر كتاب مصطفى صادق الرافعى : «تحت راية القرآن : المعركة بين القديم والجديد» ، صحح اصوله محمد سعيد العريان ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٩٧٤ ، صفحتا ٧ و٨) .

× × × × × × ×

لعل القارىء الكريم ان عرف وجهة نظر المغفور له « الاستاذ مصطفى صادق الرافعى» فى «طه حسين» وفى كتابه «فى الشعر الجاهلى» . وقد صدمنى ما قرأت عن وجهة النظر هذه ، وذلك لاننى كنت فى صباى اشترى «مجلة الرسالة» لكى اقرأ مقال الرافعى ، وكنت اقرأ ضمن ما اقرأ مقالات الأساتذة الآخرين مثل «الأستاذ ابراهيم المازنى» و «الاستاذ عباس محمود العقاد» فضلا عن «الاستاذ أحمد أمين» و «الأستاذ الدكتور زكى مبارك» و «الأستاذ الدكتور محمد حسين هيكل» و «الأستاذ محمد عبد الله عنان» و «الأستاذ سلامه موسى» وغيرهم وغيرهم ، كنت اقرأ لهؤلاء فى «مجلة الرسالة» وفى «مجلة الثقافة» وفى «السياسة الاسبوعية» و «فى المجلة الجديدة» ، كما كنت أقتنى كتبهم التى يصدرونها أو أقرؤها فى «مكتبة دار الكتب» .

وإذ أذكر ذلك فاننى رأيت أن اعرض وجهة نظر أخرى هى وجهة نظر «الأستاذ سلامة موسى» فى « طه حسين» موضوع الدراسة الحالية اذ يقول فى كتابه «تربية سلامة موسى» الذى صدر أول ما صدر فى عام ١٩٤٧ :

« وحوالى تلك السنين (يقصد قبل الحرب الكبرى الأولى) ، أو قبل ذلك بقليل ، بزغ طه حسين ، وكان أزهريا معمما ، ويكره الازهر ، ويعربد على صفحات «الجريدة» ، والتحق بالجامعة المصرية ونال دكتوريته (يقصد درجة الدكتوراه) فى الأدب ، وكان الفرح عاما بين الشباب الجديد لهذا الازهرى الناجح . وكنت اصدر مجلة «المستقبل» الاسبوعية فى الدعوة الى القرن العشرين ومابعده . فنشرت صورته وهو بالجبة والقفطان . وراج العدد بين القراء الذين رغبوا فى اقتناء الصورة . وكان لنجاح طه حسين قيمة رمزية **هى أن مصر العتيقة تستطيع أن تتجدد** . وقد وجد طه حسين من لطفى السيد المراعاة ، بل أحيانا المحاباة ، حتى كانت مقالاته تتحيز المكان الأول فى «الجريدة» على الدوام . والواقع ان انتقال طه حسين من الازهر الى الجامعة المصرية ، ثم الى السوربون ، مع أنه ضرير ، وهو مفخرة . ولكن ثم معجزة أخرى هى أنه اتخذ مكانا **أماميا ثوريا مستقبليا فى الادب** . مع ان الانسان كان يتوقع ، بعد اعتبار ماضيه ، ان يتخذ مكانا تقليديا حيث يراعى «قواعد النحو والصرف» فى الادب والاجتماع والسياسة . وقد يقال ان «المعرى» قد أثر فيه ، وبعث فى نفسه كراهية لقواعد «النحو والصرف» فى أسلوب الحياة . ولكن يبقى عندئذ سؤال هو : لماذا اختار طه حسين المعرى كى يكتب عنه ويسهب فى الكشف عن عقله وقلبه ؟ ولا عبرة بأن يقال إن الاشتراك فى العاهة باعث مقنع للقوة الجذبية التى وجدها طه حسين فى «المعرى» . لان هناك أدباء وشعراء كثيرين بهم هذه العاهة ولكنهم لم يجذبوه . وظنى ان عاهة العمى لم يك لها الا أقل الأثر فى التفات الاديب المصرى الى أديب المعرة . وانما الاثر الاكبر أنهما يشتركان فى الثورة على المشايخ . فقد رأى طه حسين فى الازهر ما بعث

و - واجبنا الرياضى بعد المعاهدة .

و - واجبنا الزراعى بعد المعاهدة .

وغيرها من المحاضرات . وقد بدأت أول محاضرة فى يوم ٥ من شهر ديسمبر عام ١٩٣٦ . وكانت تعقد هذه المحاضرات فى قاعة «يورت» بالجامعة الاميريكية .

ولايمكن ان انسى ما تركته هذه المحاضرات فى نفسى من آثار . فانا اذكر الآن ، ولابد ان من كانوا حاضرين يذكرون ، بعض ما قاله « طه حسين » .

« يسألوننى عن واجبنا الأدبى بعد المعاهدة . وأقول لكم واجبنا الأول والثانى والثالث والأخير هو ان نكون احرارا .

ثم يستطرد «طه حسين» قائلا :

« اذا كنا فى عصر جديد قوامه النهضة والنشاط والحرية فلا أقل من ان يعلن المظلومون ما تجيش به نفوسهم من الخواطر والآلام .

وما ان سمع الحاضرون ، وكنت واحدا منهم ، الا وقد علا هتافهم وضجت القاعة بصوت تصفيقهم المتواصل .

ولا اخفى على القارىء الكريم اننى تأثرت كمواطن مصرى بما سمعت لدرجة اننى اذكر اننى حفظت ما قاله «طه حسين » فى هذه المناسبة ، التى مر عليها أكثر من خمسين عاما ، عن ظهر قلب (انظر كتاب : سيد عويس « نشأة مهنة الخدمة الاجتماعية فى مصر : تاريخ شخصى » ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٧٣ ، صفحة ٦٦) .

ولا أخفى أيضا على القارىء الكريم اننى اقتنيت كل أو معظم ما نشره «طه حسين» من كتب . وقد قرأتها وبخاصة كتاب «الايام» (الجزء الأول) وانا مبهور . ولعل مضمون هذا الكتاب قد أثر على حياتى ووجهنى وانا «ابن الحارة» فى حى الخليفة الى ان أكمل تعليمى العالى وان أسافر الى الخارج لاحصل على درجة الدكتوراه فى علم الاجتماع ، تماما كما اصر «طه حسين» على الرغم من محدداته التكوينية ومحدداته الاجتماعية والثقافية ومحدداته العقلية والنفسية التى واجه الحياة بها منذ طفولته وصباه .

وأول كتاب قرأته «لطه حسين» كان كتابه الذى نشر فى عام ١٩٢٥ تحت عنوان «قادة الفكر» وزعته على الطلبة ادارة مدرسة الخديوية

الثانوية التى كنت طالبا بها فى الفترة من عام ٢٦ ـ ١٩٣٠ .

وكان هذا الكتاب يقدم فكرة متكاملة فى تاريخ الحضارة ، ونهلت من مضمون هذا الكتاب الذى تعرفت منه عن «هوميروس» و «سقراط» و «افلاطون» و «أرسطو» و«الاسكندر المقدونى» و «يوليوس قيصر» من خلال منبتهم وتمثيلهم لعصرهم وبيئتهم . أى ان «طه حسين» فى هذا الكتاب حاول أن يؤكد على ان الانسان ، القائد الفكرى وغير القائد « قد صنعه مجتمعه . وان المجتمع كما يصنع الانسان فالانسان يصنع مجتمعه » .

وجاء عام ١٩٢٦ ، عندما أصبح «طه حسين» استاذ للأدب العربى فظهر كتابه « فى الشعر الجاهلى » ، واثار ضجة كبرى بين الأدباء والمفكرين وقت صدور هذا الكتاب ، كانت أصداؤها تأتى الى آذاننا نحن الطلبة . وكان البعض منا يعرف عوامل هذه الضجة الكبرى ، وكان البعض الآخر ، وانا منهم ، لم يعرف الكثير عن هذه العوامل .

وعندما اشتد عودى وبدأت اقرأ للمغفور له «الأستاذ مصطفى صادق الرافعى» ، فى كتبه ، أحيانا ، وفى المجلات الادبية ومنها مجلة الرسالة التى كان يصدرها المغفور له «الاستاذ محمد حسن الزيات» ، واشتريت كتاب الرافعى « تحت راية القرآن» ومن خلال سطوره لاحظت ان مؤلفه اى الرافعى كان خصما عنيدا ، وكان خصوم كتاب «طه حسين» فى «الشعر الجاهلى» كثيرين وكان «الرافعى» على رأسهم .

وقد نعى «الرافعى» فى كتابه «تحت رآية القرآن» من كانوا يسمون بالمفكرين المجددين وكان «طه حسين» على رأسهم . فتراه يقول فى كتابه المذكور :

« ... ولقد كان أشدهم عراما وشراسة وحمقا هذا الدكتور» طه حسين» استاذ الآداب العربية فى الجامعة المصرية ، فكانت دروسه الأولى «فى الشعر الجاهلى » كفرا بالله وسخرية بالناس ، فكذب الاديان وسفه التواريخ وكثر خلطه وجهله ، فلم تكن فى الطبيعة قوة تعينه على حمل كل ذلك والقيام به الا المكابرة واللجاجة ، فمر يهذى

يطمحون فى تكوين أسر . فالظروف الاقتصادية التى تواجه المجتمع المصرى المعاصر ظروف غير مواتية . ومن حق الذين يرفعون عن كاهل هذا المجتمع عبء ظاهرة الامية التى ينمو حجمها ويزداد بزيادة عدد السكان فى هذا المجتمع ، وان بدا ان معدلها فى انخفاض ، ان يكرموا وان يحيوا حياتهم بشرف .

- ١٠ -

ولن أكرر ما سبق أن ذكرته عن العقبات التى تقف فى سبيل القضاء على ظاهرة الامية فى المجتمع المصرى المعاصر . ولكننى أود أن أعلن أن معدل هذه الظاهرة أعلى من معدلها فى بعض البلاد الشقيقة . واننى أرجو ان يكون هذا الاعلان حافزا للسادة المسئولين على التعليم فى بلادنا من أجل العمل بالمقترحات التى ذكرتها فى هذه الدراسة وبخاصة ونحن فى ضوء الحقائق العلمية التى تسيطر على تطبيق نتائجها البلاد المتقدمة فى عصرنا الحالى حقائق مذهلة . ولن نعرف الكثير ولا القليل من هذه الحقائق الا اذا كانت ظاهرة الامية قد انقشعت من المناخ الثقافى الاجتماعى الذى يخيم على المجتمع المصرى المعاصر .

٨ ـ طه حسين والثورة العقلية

المقـــدمة :

فى ضوء تخصصى أكتب هذه الدراسة ، فقد عرفت «طه حسين» فى مؤلفاته العديدة سواء أكانت كتبا أم مقالات كتبت فى المجلات أم فى الصحافة اليومية أم الأسبوعية .

وقولى فى ضوء تخصصى يعنى فى ضوء كونى باحثا اجتماعيا علميا ، اى أننى لا ادعى اننى اديب وان أحببت الادب الذى ملك على نفسى منذ شبابى بل منذ صباى ولكنى أحاول أن أدعو كما كان يدعو « طه حسين » ، وبخاصة بعد أن أمضيت معاهدة عام ١٩٣٦ فى لندن ، الى ثورة عقلية ـ وكان ذلك فى كلية الآداب بعد أن أمضيت هذه المعاهدة فى ٢٦ شهر اغسطس من تلك السنة ، واذا «بطه حسين» يرفع صوته عاليا ويدعو الى هذه الثورة العقلية فى يوم ١٧ من شهر أكتوبر عام ١٩٣٦ .

ولن أنسى ما حييت ما قامت به «لجنة أسبوع المعاهدة» التى تكونت في كلية الحقوق وكان ذلك فى يوم ٢١ من شهر نوفمبر عام ١٩٣٦ حيث دعت هذه اللجنة لكى تنظم سلسلة من المحاضرات . وقد حضرت هذه المحاضرات جميعا . وقد تضمنت محاضرات عن :

- واجب الشباب بعد المعاهدة .
- و ـ واجبنا الحربى بعد المعاهدة .
- و ـ واجبنا الصحى بعد المعاهدة .
- و ـ واجبنا الأدبى بعد المعاهدة .

باب النقد الاجتماعى لجوانب كثيرة من الحياة بصراحة ودونما وهن أو تردد . وفى عام ١٩٥٢ جمع بعض المقالات التى نشرها فى كتاب «بين بين» قدم فيه وجهة نظره فى بعض القضايا والمواقف . ثم نشر «طه حسين» الجزء الثانى من «الفتنة الكبرى» فى عام ١٩٥٣ وعنوانه «على وبنوه» . وفى عام ١٩٥٥ نشر كتاب «خصام ونقد» ، وفى عام ١٩٥٦ نشر كتاب «نقد واصلاح» ، ثم فى عام ١٩٥٨ نشر كتاب «من ادبنا المعاصر» وفيه يتناول ناقدا قصة رفيق حياته «محمد حسين هيكل» ، وفيه يتناول قصة «بين القصرين» لنجيب محفوظ ويؤكد **انها قصة رائعة** ثم صدر كتاب «**مرآة الاسلام**» فى عام ١٩٥٩ ، وفى نفس العام كتاب «من لغو الصيف» وكتاب «احاديث» وكتاب «من أدب التمثيل الغربى» . وفى عام ١٩٦٠ صدر كتاب «الشيخان» (الصديق ابو بكر والفاروق عمر) . وانتهى «طه حسين» بكتاب «الايام» (الجزء الثالث) الذى صدر فى عام ١٩٧٢ .

ولـ «طه حسين» نشاطات أخرى عديدة غير الكتب التى قام بتأليفها . فهناك الكتب المترجمة والأخرى المحققة . فضلا عن اشترامه مع أخرين فى تأليف كتب ، ومراجعة وتقديم كتب أخرى ، وغير ذلك من الاعمال وعلى الاخص الاحاديث الصحفية والاذاعية والتليفزيونية التى أبرزت زوايا عديدة من تفكيره وأفكاره .

وفى شهر أكتوبر عام ١٩٧٢ توفى «طه حسين» وبقيت أعماله شامخة خالدة ، كما بقيت دعواته التى اراد لها أن تمهد السبيل لرفعة مصرنا الخالدة وترنو الى المستقبل المشرق المجيد (انظر : « طه حسين ، حياته وأعماله » (مرجع سابق) صفحات ٢٦ ـ ٤٧ وانظر ايضا «الايام» الجزء الأول (مرجع سابق) صفحة ١٣٨ . وانظر كذلك «طه حسين» : «شجرة البؤس» القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨١) .

× × × × × × × × × × × ×

واذ أحلل الانتاج الغزير ل « طه حسين» ، أجد أنه يضم أنواعا شتى من الادب . فهو يضم المؤلفات التى كتبت خصيصا والمحاضرات التى جمعت فى كتب والمقالات التى جمعت أيضا فى كتب ، كما يضم القصص بمعناها المعروف وكتب السيرة الذاتية ،

وتضمن انتاجه كتبه فى التاريخ ، وفى النقد الادبى الرفيع ، وفى الشعر والشعراء (مع المتنبى مثلا) ، واليونانيات ، وفى الفلسفة الادبية وأدب الفلسفة ، كما تضمن انتاجه الظلم والمظلومين والمعذبين فى الارض ، والاسلاميات التى توجد فى عدة كتب فى هذا الانتاج وربما كان من اهمها الكتب الثلاثة بعنوان «على هامش السيرة» ، وكتبه عن «الفتنة الكبرى» : عثمان بن عفان وعلى وبنوه ثم الشيخان .

ولم يفت «طه حسين» أن يدلى بدلوه فيكتب كتابا عن «مستقبل الثقافة فى مصر» ويتضمن هذا الكتاب كما يذكر «سامح كريم» :

«تصويرا دقيقا للكثير من مشاكل الثقافة فى الشرق العربى ، ولأطوار التفكير واطوار التعليم فى اتجاهاتها المختلفة ، وهذا ما عرض اليه الدكتور طه حسين بكثير من التوسع وبكثير من الوعى والمعرفة وخرج من بحوثه بخطط ونظريات جريئة يمكن ان يتطور على أساسها التعليم تمهيدا لخلق جيل جديد يتماشى مع التيارات الحديثة فى تطوراتها المتدافقة .

وانتشرت بين جزئى الكتاب الكثير من الآراء التى تمس النواحى الثقافية واسس التعليم مباشرة ، والتى يضيق هذا المجال عن حصرها ولكن لعلنا نتعرض الى الفكرة الاساسية من الكتاب وهى ان مصر ذات التاريخ الثقافى القديم يجب - فى رأى الدكتور طه - ان لاتبقى فى معزل عن هذا التطور الذى يهز العالم بل «يجب ان تندفع مع التيار التقدمى لتحفظ هذا التوازن بين ماضيها وحاضرها . فمستقبل الثقافة فى مصر مرتبط بماضيها . والعقل المصرى مرتبط منذ القدم بشعوب بحر الروم ، وقد خالط الفكر اليونانى فتأثر به وأثر فيه ، ويذهب الى ان مصر غير شرقية ، ولكن لايكاد ان يجردها من شرقيتها حتى يعود ليؤكد مصريتها .. فمصر فى نظره بعيدة كل البعد عن الهند والصين واليابان ويثبت بكثير من الحجج والبراهين أن العقل المصرى القديم لم يتأثر بالشرق الاقصى ولا بالشرق البعيد . وانما نشأ مصريا برغم ما مر به من فتوحات وحضارات .

وينتهى فى هذا الكتاب الى تحديد لموقف مصر الثقافى فى

الماضى وحمايتها للعقل الانسانى على مر العصور ، ويؤكد على صفحات الكتاب ان لافرق بين المصرى والاوروبى فى العقلية ، وفى هذه المثل العليا التى يتجه اليها الغرب» (انظر «طه حسين» : حياته واعماله (مرجع سابق) صفحتا : ٣٦ ـ ٣٧) .

ويلاحظ ان مفهوم «الثقافة» ومفهوم «التعليم» ، كما يبدو ، عند «طه حسين» صنوان . وان معنى مفهوم الثقافة يعنى عنده كما يعنى المفهوم العام للثقافة . وهو يرى ، بحق ، ان مصر ذات التاريخ الثقافى القديم يجب ان لاتبقى فى معزل عن هذا التطور **الذى يهز العالم** . وذلك ـ كما أرى ان الحضارة الانسانية هى اليوم حضارة عالمية . و «طه حسين» محق فى ان مصر قد اثرت فى الفكر اليونانى وبخاصة عندما جاء «افلاطون» و «طاليس المالطى» و «فيثاغورس» وغيرهم الى مصر فى عهد «قمبيز» (٥٢٥ ق . م) لكى يعبوا من العلم المقدس فى جامعات «أون» و «طيبة» و «منف» على أيدى الكهان الذين كانوا فى ذلك الوقت هم العلماء والحكماء واصحاب الكلمة العليا فى البلاد ان اليونانيين كانوا تجارا فلم تكن لديهم الفرصة لكى تتيح للفكر ان يزدهر . و «سقراط» المعلم الاول الذى نادى بالمقولة «اعرف نفسك» لم تكن هذه المقولة من بنات افكاره ، فهى مكتوبة على معابد المصريين الاقدمين . وحتى «ارسطو» الذى كان تلميذا لـ «افلاطون» يتعلم الفلسفة تحت اشرافه لمدة عشرين عاما ، ثم أصبح استاذا لـ «الاسكندر المقدونى» الذى فتح مصر فى عام ٣٣٣ ق . م ، قد جاء الى مصر أو أرسل تلاميذه اليها فنهبوا الكتب التى كانت فى مكتبات جامعات مصر القديمة (لم اجد مرجعا يؤكد مرافقة أرسطو «لتلميذه» «الاسكندر المقدونى» عند فتح مصر ، ولم اعرف عن هذا الفيلسوف اول ما عرفت الا فى كتاب «طه حسين» (قادة الفكر) .

والمعلوم ان الفضائل الاربعة التى ذكرها «افلاطون» فى جمهوريته ، كان مصدرها «كتاب الموتى» المصرى ، أقصد فضائل : الحصافة والعدل والاعتدال (ضبط النفس) والجلد .

والمعلوم أيضا ان الفلاسفة اليونانيين لم يرحب بهم فى بلادهم

وبدأوا يحضرون الى مصر للدراسة منذ عهد قمبيز (٥٢٥ ق . م) كما ذكرت من قبل (انظر كتاب Gearge M.james ^stalan logocg¨, son Froncisck colifornio U.S.A. published j, richordsan Assaciotes,1976, PP.1-6 and 83 -130

ويقول «طه حسين» انه لافرق بين المصرى والاوروبى فى العقلية ، وفى هذه المثل العليا التى يتجه اليها الغرب . واذ اوافقه على ذلك فاننى ارى ان الثقافة اقصد سمات الثقافة المصرية فى الوقت الراهن غير سمات الثقافة فى البلاد الغربية

وقد عاصرت «طه حسين» ولا ادعى ذلك . وان أنس لا أنسى مواقفه فى الجامعة وحرصه الشديد على قداستها ، فلم يكن ليسمح لاحد من الطلبة ان يعلو صوته أو ان يدخن «سيجارة» فى شهر رمضان أو أن لايكون فى حجرة الدراسة قبل أن يأخذ المحاضر مكانه . وموقفه امام السلطة والسلطان لاينسى ، كان ذلك فى عام ١٩٣٣ عندما رفض طلب الحكومة من الجامعة ان تمنح الدكتوراه الفخرية من كلية الآداب لبعض السياسيين . رفض «طه حسين »هذا الطلب حفاظا على مكانة الجامعة وقدسيتها . واصر على موقفه . وتقرر نقله الى وزارة المعارف فنفذ النقل ولكنه رفض العمل ، وتابع الحملة فى الصحف ، واحيل الى التقاعد بعد شهر من نقله . ثم كتب فى جريدة «السياسة» ثم فى جريدة «كوكب الشرق» واشترى امتياز جريدة «الوادى» وتولى رئاسة تحريرها . ولم يفتنى عدد من هذه الجرائد وبخاصة الجريدة الأخيرة التى كنت أشتريها حرصا على قراءة مقال «طه حسين» .

وفى عام ١٩٤٢ عاد حزب الوفد الى الحكم فعينه وزير المعارف «أحمد نجيب الهلالى» مستشارا فنيا لوزارة المعارف . ثم انتدب مديرا لجامعة الاسكندرية فى شهر أكتوبر من نفس العام . ووقف صامدا ، كعادته ، لاى استفزاز أو بما يحاك ضده فى الخفاء . ثم يتحقق أمل الملايين حين اختير «طه حسين» وزيرا للمعارف فى عام ١٩٥٠ لان هؤلاء الملايين كانت تعلم جيدا ان الثائر القديم الجديد سيحدث حتما ثورة فى التعليم ، ثورة عقلية تنشر التعليم بين طبقات الشعب ، ثورة عقلية تنقل هذا التعليم الى المحرومين فى القرى والكفور والنجوع والاكواخ ، ثورة عقلية تدعو الى ان «العلم كالماء والهواء ينبغى ان ينال منه الجميع حقوقهم» .

٩ ـ بحث علمى اجتماعى لبندر اسوان

فى يوم ٢٣ من شهر ديسمبر عام ١٩٥٩ قدمت لادارة المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية تقريرا عن «مشروع دراسة اجتماعية لمنطقة اسوان : دواعى اجراء الدراسة وطبيعتها» وكان يتضمن هذا التقرير مايلى :

١ ـ ان المجتمعات ـ كل المجتمعات لاتثبت على حال بل تحدث فيها تغيرات مختلفة مستمرة ذات سرعة متباينة . وتتوقف هذه السرعة عادة على طرق استغلال المواد الطبيعية وحاجيات المجتمع نفسه وتقدم العلوم والاكتشافات ، أو سرعة انتشار العناصر الثقافية من مجتمع الى اخر ، ودرجة تقبل المجتمعات لهذه العناصر الجديدة .

٢ ـ ومجتمع منطقة اسوان ـ فى الوقت الحاضر ـ فى طريقه الى التغير . وذلك نتيجة لاستغلال موارد المنطقة الطبيعية ، عن طريق توليد الكهرباء وصناعة السماد واستخراج خامات الحديد والفوسفات وانشاء «السد العالى » ، فضلا عما يستتبع ذلك من انتشار بعض العناصر الثقافية الجديدة فيه . ولاشك انه سيترتب على كل ذلك بعض الآثار الاجتماعية فى مجتمع منطقة اسوان .

٣ ـ وهذه الآثار الاجتماعية ستؤدى حتما الى بعض التغيرات فى البنيان الاجتماعى والوظائف الاجتماعية لمجتمع منطقة اسوان . وهذا ما يعبر عنه بظاهرة «التغير الاجتماعى » .

٤ ـ ومن أهم مظاهر ظاهرة التغير الاجتماعى النمو السكانى وما يصاحب ذلك من التغير النوعى للسكان ، وتقدم تطبيق العلوم وارتفاع المستوى التكنولوجى ، ويضاف الى ذلك مظهر تراكم أو ازدياد العناصر الثقافية .

٥ ـ ويصاحب ظاهرة التغير الاجتماعى حتما ظاهرة أخرى يعبر عنها بظاهرة الانحلال الاجتماعى أو التفكك الاجتماعى .

٦ ـ ومن أهم مظاهر ظاهرة الانحلال الاجتماعى وجود تناقض أو صراع بين المعايير الثقافية فى المجتمع ، وضعف سلطان القواعد أو المعايير السلوكية فيه ، فضلا عن عدم وجود تعاريف عامة متفق عليها للمواقف الاجتماعية المختلفة ، وظهور ما يعبر عنه بالتخلف الثقافى ، وظهور تصدع فى وسائل التفاهم بين أعضاء المجتمع ، وكذلك تصدع فى الجماعات .

٧ ـ ويجب أن نحذر من الخلط بين العملية العامة لظاهرة الانحلال الاجتماعى وبين اعراضها ومن هذه الاعراض الجريمة والجناح والطلاق ..

٨ ـ وقد استرعى انتباه المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ما يحدث الآن فى «منطقة اسوان» من تغير اجتماعى سريع وما يتوقع ان يصاحبه من انحلال اجتماعى . وقد لفتت هذه السرعة نظر المسئولين عن المركز . واوجب هذا التفكير فى مواجهة هذه السرعة فى التغير والعمل على الوصول الى تحويل هذا التغير ليكون تغيرا مخططا اى ليكون تغييرا مقصودا يتفق ما نوجوه ليصبح تطورا سويا واستقرارا نسبيا . فضلا عن انتهاز الفرصة والقيام بدراسة ظاهرتى التغير الاجتماعى والانحلال الاجتماعى فى نطاق المجتمع فى الاقليم المصرى (كان يطلق على «المجتمع المصرى» مجتمع الاقليم المصرى» عندما اتحدت مصر وسوريا وأصبح يطلق عليهما فى ذلك الحين «الجمهورية العربية المتحدة») .

وهذا يتفق مع أغراض المركز وهى النهوض بالبحوث العلمية التى تتناول المسائل الاجتماعية المتصلة بسائر مقومات المجتمع العربى والمشاكل التى يعانيها لوضع الأسس اللازمة لسياسة اجتماعية وقائية وعلاجية وجزائية تتفق وأحوال البلاد .

وأرجو أن يلاحظ القارىء الكريم ان التقرير المذكور لم يكتب من فراغ فقد تمت زيارة الى منطقة اسوان من قبل فى خلال الفترة من يوم ١٦ من شهر ديسمبر ١٩٥٩ الى يوم ١٨ من شهر ديسمبر عام

١٩٥٩ : وفكرة القيام باجراء هذا البحث استمدت من بحوث اجريت على «منطقة ديتروت» بالولايات المتحدة الاميريكية التى كانت وثائقها ضمن ما أملك من كتب ووثائق ، وقد قامت باجراء بحوث منطقة ديتروت «جامعة شيكاجو» وأصدرت نتائج هذه البحوث فى اعوام ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ ، وكان الهدف من هذه البحوث التعرف على بعض الملامح الاجتماعية لمنطقة ديتروت من حيث السمات الاساسية لسكانها ونشاطاتهم فى محيط الكنائس والمنظمات الاجتماعية والاندية فضلا عن نشاطاتهم السياسية وحياتهم العادية والاسر التى تضمها المنطقة وأنواعها ومستويات دخولها ووجود أجهزة «التليفزيون» ضمن أثاث البيت من عدمه ، وأهم الاتجاهات الاجتماعية فى محيط السكان وأساليب الاهتمام بتربية الاطفال .

وبالاضافة الى كل ذلك كانت هذه البحوث تهتم بالعمالة والهجرة ومصادرها ، كما ركزت على العلاقات القرابية فى محيط السكان وغيرها من الحقائق الاجتماعية .

وقد دونت نتائج الزيارة المشار اليها فى تقرير يتضمن مايلى :
تقرير عن الزيارات الاستطلاعية لمنطقة اسوان
فى خلال المدة من ١٦/١٢/١٩٥٩ الى ١٨/١٢/١٩٥٩

١ - أهداف الزيارة :

كان لزيارة منطقة اسوان فى ذلك الوقت هدفان :
الأول : بعض الملاحظات على المنطقة «على الطبيعة» .
الثانى : انشاء علاقات مهنية مع المسئولين عن المنطقة .
وقد نجحت الزيارة اذ حققت هذين الهدفين .

٢ - بعض الملاحظات على المنطقة على الطبيعة :

لقد بدأت زيارة منطقة السد العالى ، بجولة فى نهر النيل الخالد ، ولاحظت بعض الجماعات تعيش فى جزائر ، ورأيت «مشروع شركة كيما ومشروع توليد الكهرباء من خزان اسوان » وقد جبت فى أحياء بندر أسوان فى الاحياء القديمة وفى الاحياء الجديدة . ولاحظت الاهتمام بتوسيع بعض الشوارع فى البندر .

وكان عدد سكان بندر اسوان فى ذلك الحين ٢٥٠٠٠ نسمة . وكانوا خليطا من النوبيين والجعافرة والعبابدة وبعض أهالى الصعيد وبعض الأجانب . ونسبة المسيحيين كانت تبلغ نحو عشرة فى المائة .
ومعظم العمال فى المشروعات القائمة ان لم يكن كلهم من أهالى الصعيد الوافدين الى المنطقة للعمل عن طريق بعض المقاولين . ولايقوم أهل المنطقة بالعمل فى هذه المشروعات . ويقال ان السبب فى ذلك ان أهالى المنطقة لايميلون الى العمل العنيف وهم يفضلون - خصوصا الذكور منهم - أعمال السفرجى والبواب والخدامين على غيرهم من الاعمال .

ويلاحظ ان السكان المسيحيين يعملون فى بعض الصناعات الفنية مثل صناعة الترزية وأعمال الكهرباء والراديو ، ويعملون كذلك فى التجارة .

وقد علمت ان معظم اهالى المنطقة يحافظون على أساليب معينة من الحياة فهم ذوو عصبية وهم لايتزوجون من خارج أسرهم " المتعلمون منهم وغير المتعلمين " والذكور يعملون فى خارج المنطقة فى القاهرة أو فى الاسكندرية - مثلا - فى أعمال السفرجية والبوابين ويتركون نساءهم من ورائهم .. وهم يعيشون على الكفاف ويرسلون مايزيد على حاجتهم الى أهليهم باستمرار .

وقد علمت أيضا ان سكان المنطقة من النوبيين يتحدثون ببعض أنواع من اللغات غير العربية " فادجة ماتوكى " وهم يحرصون على الابقاء على هذه اللغات حية بينهم ، ومع النوبيين يعيش السكان الاصليون وهم من الجعافرة والعبابدة ويتكلمون اللغة العربية فقط .

ويقبل أهالى المنطقة على التعليم ، ولكن النوبيين منهم يجدون صعوبة ، حيث انهم لايبدأون تعلم اللغة العربية الا عند بدء التحاقهم بالمدرسة لاول مرة .

وببندر أسوان مدارس اعدادية وثانوية وصناعية للجنسين .. وقد بدأ شبان المنطقة يلتحقون بالمدارس الصناعية ، ويفضلونها على

الالتحاق بالجامعة .. ويتوقع فى القريب ان يكون خريجو المدارس الصناعية النواة الأولى للعمال المهرة من اهالى المنطقة .. وقد لاحظت ان الاهالى من النوبيين قد بدأوا فى تعليم البنات وذلك لكى يَكُنَّ أهلا للزواج من الذكور المتعلمين منهم .

وبندر أسوان مقسم الى ثمانى شياخات لكل شياخة شيخ مسئول .. كما هو المتبع فى المدن الأخرى .. اما سكان الجزائر ، فقيل لى إنهم يسكنون فى **جزيرتين** وتوجد فى كل جزيرة مائة بيت .. ومعظم السكان من النساء والأطفال والرجال كبار السن ، ويشرف على هاتين الجزيرتين " عمدة " .

والعمال الذين وفدوا الى أسوان وقت الزيارة يعيشون فى خيام ، ولايوجد نظام خاص ينظم هجرتهم ، فهم يتركون وشأنهم فى يد المقاولين .. ويتدخل " مكتب العمال " فقط اذا مانشب نزاع تعلق بالعمل أو شروطه .

ولاحظت ان عدد الجمعيات فى بندر اسوان قليل جدا .. والحركة العمالية فى المنطقة ضعيفة وليس لها تنظيم خاص حتى وقت الزيارة .. ولكنى لاحظت وجود نقابة الحديد والصلب .

اما **جرائم** المنطقة فهى قليلة نسبيا .. وأنواعها غير عنيفة .. واكثرها عددا جرائم هتك العرض ضد الذكور .. وقد علمت ان بعض الاهالى **يدمنون** تعاطى الخمر والحقن بحقن " السيكونال " وان هذه الحقن تهرب وتباع عن طريق غير طريق الصيدليات ، واذا ضبط تهريبها تقيد الواقعة " جنحة " .

وقد تبين ان بعض جرائم السرقة قد بدأت تكثر منذ وفود العمال من خارج منطقة أسوان .. وعلى الرغم من وجود " **عصبيات** " فى المنطقة ، فان " ظاهرة الاخذ بالثأر " ليس لها وجود .. ويقال إن من عوامل عدم وجودها أن الاهالى **لايعملون فى الزراعة** ، ومن ثم لاتوجد أراضى تكون محل نزاع بينهم .

ويسود منطقة أسوان " وقت الزيارة " غلاء أسعار السلع الضرورية مثل اللحوم والخضار وغيرها ، وذلك **لكثرة الطلب** " بازدياد عدد الوافدين على المنطقة من الموظفين والعمال وغيرهم " وقلة العرض .

٣ ـ انشاء علاقات مهنية مع المسئولين عن المنطقة :

لقد نجحت الزيارة فى انشاء علاقات مهنية مع السيد المشرف على مشروع السد العالى ، والسيد مدير أسوان ، والسيد ضابط مباحث السكة الحديد ، وقد تفضل الجميع باداء استعدادهم للتعاون مع " الهيئة المشرفة على البحث " من حيث امدادهم بالمعلومات الأساسية ، ومن حيث اتاحة الفرصة لمن يعملون فى الميدان منهم للنزول فى " استراحات الحكومة " .

٤ ـ كلمة ختامية :

ومهما يكن من الامر فانه من الصعب الوصول الى صورة حقيقية ـ عن طريق زيارة استطلاعية قصيرة المدى ـ عن منطقة كمنطقة اسوان .. فالحياة فى هذه المنطقة وقت الزيارة كانت **معقدة** .. وستكون بعد زمن قليل اكثر تعقيدا .. فهى تتضمن أنواعا كثيرة من الناس ومن المؤسسات الاجتماعية ومن الجامعات ، كما تتضمن مدى واسعا من أوجه النشاط الانسانى المتخلفة .. ولايمكن ان يجدى فى ابراز كل ذلك التحليل البسيط أو انطباعات شخصية .

واذا كان هدفنا ابراز السمات الاجتماعية للمنطقة وتصويرها ، فان خير وسيلة هى تطبيق الاساليب الحديثة المستخدمة فى العلوم الاجتماعية .. ولايمكن تحقيق ذلك الا بالعمل المتقن المستمر **على مدى معين من السنين** .

★ ★ ★

وفى ضوء موافقة ادارة المركز شكلت لجنة من السادة الزملاء " مكرم سمعان " والمغفور له " سمير الجنزورى " و" حسن الكاشف " ومنى وقمت بالاشتراك معهم بوضع " اطار " العمل الميدانى فى منطقة اسوان .. وقد انتهزنا فرصة قيام الدولة بالتعداد

العام فى عام ١٩٦٠ ونجحنا فى نسخ اسماء وعناوين اقامة الاسر التى تسكن بندر أسوان وكل مايتعلق باتاحة الفرص المواتية للقيام بالبحث الميدانى .. وكان الزميل مكرم سمعان الذى سافر مع المغفور له الزميل سمير الجنزورى والزميل حسن الكاشف الى أسوان هو المشرف المحلى للعمل الميدانى .. وقد قمت بمساعدة الزملاء الثلاثة بوضع صحيفة لجمع البيانات الضرورية وكانت تتضمن :

(أ) بيانات التعداد العادية .

(ب) بيانات اجتماعية واقتصادية رأينا فى ضوء أهداف البحث أنها غاية فى الاهمية .. فقد كنا نحاول أن نتعرف على الاعمار من سنة فأقل الى أكثر من ٦٥ سنة .

وكانت سن السابعة وسن الثالثة عشرة وسن الحادية والعشرين محل اهتمامنا .. وذلك لان التعداد العام لم يكن يسجلها أو يهتم بها .

(جـ) ولما كان التعداد العام لايهتم بتسجيل علاقات الزوج بالزوجة العربية ولم يكن يهتم أيضا بتسجيل وجود بعض الاجهزة التى توجد فى بعض البيوت مثل وجود " تليفون أو سخان ، بوتاجاز ، أو راديو ، أو ثلاجة ، أو مياه جارية من عدمه أو نوع موارد المياه وصرفها " فقد كانت موضوعا لاهتماماتنا كحقائق اجتماعية من الضرورة ان نتعرف عليها .

وقد اشترك معنا « الاستاذ محمود السيد » الخبير الاحصائى ليس فقط فى اعداد صحيفة جمع البيانات ولكن ايضا فى الأشراف على التفريغ اليدوى لما جمع من بيانات .

كنا أقصد الزملاء وأنا معهم نخطط على أساس أن **يعاد البحث** مرة ثانية وثالثة .. **كل عشر سنوات** لكى نرصد ظاهرة التغير الاجتماعى المقصود فى المنطقة التى نجرى البحث فيها . ومن ثم يمكننا أن **نسهم** فى التراث الاجتماعى اسهاما فعالا . وهأنذا أقدم التقرير (الأول) فى الكتاب الحالى وقد مر على القيام باجرائه حوالى ثمانية وعشرين عاما . وكان بودى أن اقدمه فى الوقت المناسب عندما تطوعت للقيام بهذه المسئولية فى خلال شهر اتفرغ لكتابته ولكن ادارة

المركز لسبب غير مفهوم رفضت ان تتيح لى هذه الفرصة . ومهما يكن من الأمر فانه اذا كانت هذه الادارة قد شجعت إجراء هذا البحث الخطير وصرفت الأموال بسخاء وسمحت للعاملين العلميين بالمركز بالوقت الكافى ، واذا كانت هذه الادارة لم تحظ بالثمرة المرجوة فى حينها ، فان العاملين العلميين بالمركز قد أفادوا إفادة علمية لاتقدر بثمن .

وفى ضوء البيانات المجموعة بعد جدولتها وتحليلها اتضح ان نتائج البحث مايلى :

أولا : نتائج عامة متعلقة بالتركيب السكانى لبندر اسوان .
ثانيا : نتائج عامة متعلقة بظاهرة الهجرة .
ثالثا : نتائج عامة متعلقة بالحالة الاجتماعية .
رابعا : نتائج عامة متعلقة بحجم الاسرة وأنماطها .
خامسا : نتائج عامة متعلقة بالحالة الاقتصادية .
سادسا : نتائج عامة متعلقة بحالة الاسكان

أولا ـ نتائج عامة متعلقة بالتركيب السكانى لبندر اسوان

١ ـ يصل عدد سكان البندر الى ٤٤ر٤٧٩ شخص ، منهم ٢٢ر٧٥٤ ذكور ، و٢١ر٧٢٥ أناث وبتوزيع الذكور والاناث وفقا لفئات السن المختلفة نجد أن عدد الذكور وعدد الاناث يكاد يتساوى فى جميع فئات السن ماعدا الفئات ١٨ ـ ٢١ حيث يزيد عدد الاناث ، ٣٥ ـ ٤٥ ، ٤٥ ـ ٦٠ حيث يزيد عدد الرجال زيادة واضحة .

٢ ـ اذا اعتبرنا الاشخاص المنتجين فى المجتمع هم الذين تتراوح اعمارهم بين ٢٠ ـ ٦٠ عاما فان الاكثرية من افراد المجتمع (٥٧٪) تصبح من غير المنتجين .

٣ ـ الغالبية العظمى من مجتمع بند أسوان من أصل عربى مصرى ، فتبلغ نسبتهم نحو ٩٨ر٥٪ من جملة السكان . أما الأشخاص الذين ينتمون الى جنسيات اخرى فبعضهم من أصل عربى

والبعض الآخر من اصل اوربى ، والعناصر الأجنبية عن البندر اكثرها من الالمانيين يليهم السودانيون ثم الروس فاليونانيون .

٤ ـ نسبة الذكور فى مجتمع اسوان سواء بين العرب المصريين أو بين أصحاب الجنسيات الأخرى تفوق نسبة الاناث .

٥ ـ يكون المسلمون الغالبية العظمى من مجتمع اسوان (٢ر٨٨٪) ، يليهم المسيحيون (٦ر١١٪) ثم نسبة ضئيلة جدا من أصحاب الديانات الأخرى .

٦ ـ نصف سكان البندر ـ الذين بلغوا من العمر عشر سنوات أو أكثر ـ أميون وترتفع نسبة الامية بين الاناث عنها بين الذكور ، فهى فى فئة الاناث تقترب من ٧٠٪ من جملة عدد الاناث ، بينما لاتزيد فى فئة الذكور عن ٣٦٪ من جملة عدد الذكور . ومعظم الجزء الباقى من السكان هم ممن يقرأون ويكتبون فقط حيث لاتزيد نسبة ذوى المؤهلات المتوسطة ومافوقها عن ١١٪ من جملة السكان . وأغلب المؤهلات المتوسطة والعالية وقف على الذكور دون الاناث ، أما شهادات الدبلوم الممتاز والماجستير والدكتوراه فكلها وقف على الذكور دون الاناث .

٧ ـ ينتمى اكثر من نصف سكان البندر الى قبائل ، فى حين ان من لاينتمون الى قبائل لايزيدون على ٣٠٪ من عدد السكان ، الأمر الذى يعنى ظهور الانتماء القبلى فى بندر اسوان .

ثانيا : نتائج عامة متعلقة بظاهرة الهجرة :

١ ـ ٦٣٪ من سكان البندر من مواليد اسوان ، واكثر من ٢٠٪ من السكان من مواليد محافظة قنا ـ أقرب المحافظات الى اسوان ـ ويقل نصيب باقى محافظات الجمهورية بالتدريج كلما بعدها عن اسوان باستثناء محافظتى القاهرة والاسكندرية فهما تحتلان المركزين الرابع والخامس بعد استبعاد القادمين من خارج الجمهورية .

٢ ـ تقل نسبة المهاجرين الى اسوان من محافظات كفر الشيخ ودمياط وسيناء والبحر الأحمر والصحراء الغربية .

٣ ـ يقيم نحو ثلثى البندر فى اسوان (٤ر٦٤٪) منذ عشر سنوات أو أكثر ، وليس من شك فى أن ثمة ارتباطا بين مدة الاقامة فى البندر وبين محل الميلاد اذ تتقارب النسبتان الى حد كبير .

٤ ـ يسود البندر نوع من الاستقرار السكانى ، اذ أن الذين أقاموا فى البندر فترة أقل من خمس سنوات لاتزيد نسبتهم عن ٧ر٢٢٪ فقط من مجموع السكان .

٥ ـ من مقارنة مدة الاقامة فى البندر بمتوسط عدد الأفراد فى الاسرة الواحدة يتبين أن متوسط عدد الأفراد فى الاسر حديثة الانتقال الى البندر أقل من متوسط عدد الافراد القديمة (٣ : ٥ أفراد) .

ثالثا : نتائج عامة متعلقة بالحالة الاجتماعية :

١ ـ أكثر من ٨٠٪ ممن بلغوا سن الزواج قد تزوجوا فعلا ، فى حين أن نحو ١٨٪ لم يتزوجوا أبدا ، ونسبة الذين لم يتزوجوا من بين الذكور أعلى بكثير من نسبة اللاتى لم تتزوجن من بين الاناث (٢٦٪ فى مقابل ٦ر٩٪)

٢ ـ معدل الطلاق منخفض الى حد كبير اذ يقل عن ٢٪ من جملة من هم فى سن الزواج ، وجملة المطلقات من النساء الى جملة الاناث فى سن الزواج اعلى من نسبة المطلقين من الرجال . ويدل ذلك على ان الرجال المطلقين يسهل عليهم الزواج بخلاف الاناث .

٣ ـ معدل الترمل بين الاناث أعلى منه بكثير بين الذكور . ونسبة الارامل من الاناث تكاد تصل الى ٩٠٪ من جملة الارامل من الجنسين وتصل الى عشرة أضعاف نظيرتها بين الرجال (٥٥ر١٦٪ ، ٤٥ر١٪) من جملة عدد الذكور وعدد الاناث فى سن الزواج مما قد يوحى بارتفاع نسبة العمر بين الاناث .

٤ ـ حوالى ٢٠٪ من المتزوجين تزوجوا فى سن أقل من ١٦ سنة

اغلب هؤلاء من الاناث الذين تبلغ نسبتهم نحو ٩٧٪ فى مقابل ٣ر٢٪ من الذكور .

٥ - تنخفض سن الزواج بين الاناث عنها بين الذكور ، فمعظم الاناث (٣٤ر٤٪) تزوجن فى سن أقل من ١٦ سنة فى حين أن أكبر نسبة من الذكور (٣٢ر٤٪) تزوجوا فيما بين ٢٥ - ٣٠ سنة ، كما أن نحو ٩٠٪ من زيجات الاناث تتم قبل سن الخامسة والعشرين فى مقابل ٤٩٪ من زيجات الذكور فى نفس المرحلة العمرية .

٦ - الغالبية العظمى من المسلمين (٩٣٪) يتزوجون بواحدة ، ولاتزيد نسبة المتزوجين من زوجتين كثيرا عن ٥٪ ولاتزيد نسبة المتزوجين بأربع زوجات عن ١ر٠٪ .

٧ - حوالى نصف الزيجات تتم بين أقرباء واغلب الزواج من القريبات يتم من بنات العم بنسبة ٣٣٪ يليه الزواج من بنات الخال بنسبة ٩ر١٧٪ ، على أنه لايجب ان تؤخذ كلمات بنت العم أو بنت الخال على مفهومها الحرفى ، فكثيرون فى النوبة والصعيد الأعلى يعتبرون كل أقارب الأب ابناء عم وكل أقارب الأم ابناء خال .

رابعا : نتائج عامة متعلقة بحجم الأسرة وانماطها :

١ - تبلغ جملة عدد الاسر فى بندر اسوان ٩٨٣٠ اسرة . وحوالى ثلث الاسر يقل عدد افرادها عن خمسة ، ٩ر٥٧٪ من الاسر يتراوح عدد افرادها بين خمسة وعشرة .

٢ - النمط الغالب للاسر (٦٠٪) هو الاسرة المفردة ، تلى ذلك الاسر الممتدة التى تكون ١٢٪ من مجموع اسر البندر وتضم نحو ١٧٪ من السكان .

٣ - تبلغ نسبة التجمعات السكنية التى لايربط افرادها صلة قرابة نحو ١٥٪ من مجموع الاسر وقد يرجع ذلك الى زيادة الهجرة الى اسوان فى الوقت الحالى ، وسكنى افراد لايرتبطون بصلة قرابة فى معيشة واحدة .

خامسا : نتائج عامة متعلقة بالحالة الاقتصادية

١ ـ تصل جملة المشتغلين من الذكور الذين تبلغ سنهم ١٥ سنة فأكثر الى ١١٢٠٧ وجملة المشتغلات من الاناث ٣٦٢ ، وبذلك تصبح نسبة المشتغلين من الذكور الى المشتغلات من الاناث ٣٠ : ١ .

٢ ـ يعمل الذكور فى المهن الاتية مرتبة حسب اهميتها وحسب نسبة المشتغلين بها الحرف والصناعة ، الخدمات ، وأعمال الانتاج والفعلة ، والمهن الفنية والعلمية ، النقل والمواصلات ، ثم تأتى بعد ذلك فئات الكتابيين والزراعيين والصيد والاداريين والتنفيذيين ثم المشتغلين بالمناجم والمحاجر .

٣ ـ يقبل الاناث على العمل فى المهن الفنية والعلمية ثم الخدمات ثم اعمال البيع وهذه المهن الثلاث تضم حوالى ٩٠٪ من جملة النساء المشتغلات ، وهناك مهن لايعمل فيها الاناث كالاشتغال بالمناجم والمحاجر واعمال النقل والمواصلات .

٤ ـ ينقسم مجتمع البندر الى مجموعتين غير متكافئتين : الأولى لاتعمل ولاتبحث عن عمل وتكون مايقرب من ثلثى سكان البندر الذين تصل اعمارهم الى ست سنوات أو أكثر ، والثانية وهى ثلث السكان فى نفس السن ويدخلون فى عداد القوى العاملة او القوى التى تبحث عن عمل ، أما فى حالة الاناث وحدهن فقد لانجد سوى فئة واحدة . وهن اللاتى لايعملن ولايبحثن عن عمل (٩٧٪ من الاناث) .

٥ ـ الصفة الغالبة على الحالة العملية هى الاشتغال بأجر نقدى (٢٥٪) وتلى هذه الفئة فى الأهمية من يعملون لحسابهم الخاص ويكونون ٥٪ من جملة السكان أو ١٥٪ من جملة من يعملون أو يبحثون عن عمل .

٦ ـ حالة الاجور العينية (أو العمل بدون اجر نقدى) لاتظهر بشكل واضح فى البندر فلاتزيد نسبة من تنطبق عليهم هذه الحالة عن ٥ر٪من السكان .

٧ – لاتزيد نسبة البطالة – من لايعملون ويبحثون عن عمل – عن ١٪ من جملة السكان وترتفع هذه النسبة بين الذكور لتصل الى نحو ٢٪ فى مقابل ٠٣ر٠٪ فى حالة الاناث .

٨ – يسود فى البندر نوع من الاستقرار فى المهنة ، فما يقرب من ٤٠٪ من المشتغلين قد أمضوا فى مهنهم الحالية ١٠ سنوات أو أكثر ، ونحو ٣٩٪ من العاملين امضوا فى مهنهم الحالية خمس سنوات .

٩ – يتراوح الدخل الشهرى لنحو ثلثى الأسر فى بندر أسوان بين خمسة وخمسة وعشرين جنيها شهريا ، ويدخل مايقرب من ١٣٪ من الاسر فى فئات الاجر الشهرى التى تقل عن خمسة جنيهات .

١٠ – يوجد مايقرب من ٢٧٠ اسرة او مايعادل حوالى ١/٢ ٢٪ من اسر البندر يزيد الدخل الشهرى لكل منها عن ٤٥ جنيها ، وتوجد ٦٠ اسرة أو ٦ر٪ من اسر البندر يصل دخلها الى مائة جنيه أو أكثر .

١١ – الاتجاه العام فى عدد افراد الاسرة هو زيادة العدد مع زيادة اجمالى الدخل حتى فئة ٦٥ جنيها ثم ينقص بعد ذلك .

١٢ – توجد خمس أسر يبلغ عدد أفرادها ٢٢ فردا لايوجد لديهم أى دخل و٧٧ أسرة معظمها أسر تتكون من فرد واحد يصل اجمالى دخل كل اسرة الى اقل من جنيه شهريا .

١٣ – يغلب على اسر البندر ظاهرة وجود ثلاثة متكسبين او اقل (٩٨٪ من الاسر) ومعظم هذه الاسر (٨١٪ من جملة الاسر) لايوجد لها سوى متكسب واحد .

١٤ – يتناسب عدد من يعولهم المتكسب الواحد تناسبا عكسيا مع عدد المتكسبين ، فيصل الى ثلاثة افراد فى الاسر التى ليس لها الا متكسب واحد وينخفض الى ٠٣ر فى الاسر التى يوجد بها عشرة متكسبين او أكثر .

١٥ – اكثر من نصف الاسر (حوالى ٥٥٪) تعول اقل من خمسة

افراد ، ٥ر٤١٪ من الاسر تعول مابين خمسة وعشرة افراد . واكبر الفئات هى التى تعول ثلاثة اشخاص ، تليها فئة الاسر التى تعول اربعة اشخاص ، ثم فئة الاسر التى تعول خمسة اشخاص ثم شخصين فستة اشخاص .

سادسا : نتائج عامة متعلقة بحالة الاسكان :

١ ـ الصفة الغالبة على حيازة السكن هى الايجار (٦٠٪) ، أما الذين يمتلكون الوحدات السكنية التى يقيمون بها فتبلغ نسبتهم نحو ٤٠٪ وهذه النسبة أيضا مرتفعة .

٢ ـ تقيم نحو ٦٠٪ من الاسر فى غرفتين أو ثلاثة ، كما أن نسبة كبيرة نسبيا من الاسر (٢٧٪) تقيم فى غرفة واحدة .

٣ ـ يتناسب متوسط كثافة السكن تناسبا عكسيا مع عدد الغرف . فبالنسبة للاسر التى تقيم فى غرفة واحدة ترتفع كثافة السكن لتصل الى ثلاثة فى المتوسط ، وتقل هذه النسبة لتصل الى اثنين بالنسبة للاسر التى تسكن فى غرفتين أو ثلاثة ، ثم تصل الى فرد واحد بالنسبة للأسر التى تسكن فى أربع غرف أو اكثر .

٤ ـ يقل متوسط عدد افراد الاسرة فى فئات السكن الصغيرة عنه فى فئات السكن الكبير .

٥ ـ فئة الايجار المنخفض هى السائدة فى بندر اسوان ، فنحو ٩٠٪ من السكان ـ يسكنون مجانا أو بايجار شهرى اقل من خمسة جنيهات .

٦ ـ من دراسة المنافع السكنية نجد ان المنافع التى لاتوجد بنسبة كبيرة اولها الحمام فما يقرب من ثلاثة ارباع الاسر فى البندر لاتملك حماما ، يليه المطبخ (٥٧٪) ثم الصرف (٥٠٪) ثم دورة المياه (٤٠٪)

٧ ـ من دراسة صفة الحيازة يتبين ان الحيازةالعامة أو المشتركة

بشكل واضح فى مصدر المياه ، (مايقرب من ٧٠٪ من الاسر) تعتمد على مصدر مياه مشترك . فى حين أن الحيازة الخاصة تظهر بنسبة اعلى فى حيازة دورة المياه (٥٠٪) ثم الصرف (٤٤٪) ثم المطبخ (٣٨٪) ثم مصدر المياه (٢٥٪) والحمام (٢١٪) ويلاحظ ان الحيازة الخاصة لهذه المرافق تتمثل بين الاسر الكبيرة (متوسط عدد افراد الاسرة خمسة اشخاص مقابل اربعة فقط فى حالة الحيازة العامة او الحالات التى لاتوجد فيها مرافق) .

٨ - الصفة الغالبة للمساكن فى بندر اسوان هى استخدامها للكيروسين فى الاضاءة . فثلاثة ارباع الاسر ماتزال تستخدم الكيروسين فى حين ان الربع فقط هو الذى يعتمد على الكهرباء .

٩ - لاتمتلك نحو ٨٠٪ من اسر البندر اجهزة راديو فى حين ان خمس الاسر فقط هى التى تمتلك اجهزة .

١٠ - يلاحظ ان الاسر التى تستخدم الكهرباء بدلا من الكيروسين ، والاسر التى تمتلك اجهزة راديو متوسط عدد افرادها اكبر من الاسر التى تستخدم الكيروسين والتى لاتمتلك اجهزة راديو .

١٠ بحث علمي اجتماعي سياسي عن الروح المعنوية لأعضاء القوات المسلحة

يلاحظ ان هذا البحث يتصل اتصالا وثيقا بعلم الاجتماع السياسي . ويقصد بهذا العلم « الدراسة العلمية المنظمة للظواهر السياسية الملموسة ـ فى تأثرها وتأثيرها فى باقى اجزاء البناء الاجتماعى والثقافة » وهذه الدراسة قديمة . « وجدير بالذكر ان علم الاجتماع السياسى يستخدم اليوم مناهج البحث السيولوجى ، مثل بحوث الاتجاه ، لدراسة المضمون الفعلى او الواقعى **للسلوك السياسى** فى الوقت الذى يدرس فيه التنظيم **والمؤسسات السياسية** الرسمية وغير الرسمية كما لو كانت جزءا اساسيا فى النسق الاجتماعى (انظر : قاموس علم الاجتماع . اعداد محمد عاطف غيث واخرين ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٩ ، صفحة ٣٣٥) .

ويلاحظ أيضا ان « القوات المسلحة » هى « مؤسسة رسمية » وان البحث الذى اعرضه هو بحث عن الروح المعنوية لاعضاء هذه المؤسسة الرسمية ويهدف الى التعرف على اتجاه اعضائها وذلك بالقيام ببحث « الروح المعنوية لاعضاء المؤسسة الرسمية المشار اليها التى تضم جماعات عديدة من بنى البشر ، والتعرف على العوامل الفردية (الشخصية) والظروف الاجتماعية المرتبطة بارتفاع الروح المعنوية او انخفاضها » كل ذلك للتخلص فى ضوء نتائجه من جوانب الضعف (ان وجدت) ودعم العوامل المساعدة على رفع الروح المعنوية وغرسها فى نفوسهم .

وكان الاطار الاساسى لهذا البحث كما طلب من « المركز القومى

للبحوث الاجتماعية والجنائية » هو لموضوع « سمات شخصية المقاتل المصرى » وعندما أسند الىّ الاشراف على هذا البحث وتم تكوين الهيئة المشرفة على اجرائه وهم السادة الزملاء « عبد الحليم محمود احمد » والزميل المغفور له « محمد على احمد » والزميل « محمد عبد الرزاق هويدى » ، وقد انضم الى هؤلاء عن ادارة التوجيه المعنوى للقوات المسلحة (قسم البحوث المعنوية) السادة « المقدم روفائيل يوسف جرجس » و« النقيب محمد حسنى عبد الفتاح » و« النقيب حسن احمد الخولى »

وبدأت الهيئة المشرفة على البحث بكامل اعضائها عملها فى يوم ١٩ /٢/ ١٩٧٠ ، وقد عقد فى ذلك اليوم أول اجتماع لها . واستمرت الهيئة تعقد اجتماعاتها بقصد اعداد خطة البحث ، واعداد ادوات البحث ، واختيار وتدريب باحثى الميدان ، واختيار عينة البحث ، وتم كل ذلك فى آخر شهر سبتمبر عام ١٩٧٠ عندما بدأت فى نفس التاريخ مرحلة العمل الميدانى لجمع البيانات من افراد عينة البحث حتى اخر شهر ديسمبر عام ١٩٧٠ . ومنذ اول شهر يناير عام ١٩٧١ حتى أخر شهر مايو عام ١٩٧٢ قامت الهيئة بوضع خطة التحليلات الاحصائية وتنفيذها واستخلاص النتائج ثم كتابة التقرير التالى .

وقبل ان اذكر شيئا عن هذا التقرير ارجو من القارىء الكريم ان يعلم ان هيئة البحث بكامل اعضائها قد عقدت فى خلال هذه الفترة ٧٥ اجتماعا ، كما عقدت اللجنة الفرعية المكونة من السادة الزملاء : عبد الحليم محمود ومحمد عبد الرزاق هويدى والنقيب محمد حسنى عبد الفتاح والنقيب حسن احمد الخولى ١٥٥ اجتماعا .

وقد تضمن التقرير الحالى الموضوعات الاتية :

١ - المقدمة .

٢ - منهج البحث .

٣ - عرض موجز للبيانات الاحصائية .

٤ ـ عرض لأهم نتائج الدراسة .

٥ ـ خاتمة .

وقد سار العمل منذ بدئه حتى الآن بروح الفريق ، الا أن العبء الأكبر فى الاشراف على العمل الميدانى والقيام بالتحليلات الاحصائية قد وقع على كاهل السادة أعضاء اللجنة الفرعية .

ويدل القيام بالبحث الحالى على أن استخدام الأسلوب العلمى فى توجيه سلوكنا وحل مشكلاتنا قد أصبح ضرورة ملحة فى نضالنا من أجل النصر ، كما يدل التعاون بين القوات المسلحة والمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية والهيئات العلمية المماثلة على بادرة طيبة تهدف إلى ترشيد العمل القومى العسكرى وتحقيق الأهداف المرجوة ، ولعل استمرار هذا التعاون أن يحقق كل ذلك وأكثر .

ولاغرو فان مثل هذا التعاون العلمى بين القوات المسلحة ومراكز البحث العلمى المدنية قد أخذت به دول عديدة فى الغرب والشرق على السواء ، ونذكر فى هذا الصدد سلسلة الدراسات والبحوث عن « المقاتل الأمريكى » التى تمت خلال الحرب العالمية الثانية . كما أن العدو الإسرائيلى قد أخذ بهذا التعاون منذ وقت بعيد ، ويكفى للتدليل على ذلك أن نذكر التعاون القائم بين القوات المسلحة الإسرائيلية وبين كل من « معهد العلوم الاجتماعية التطبيقية بالقدس » و« معهد التكنولوجيا بحيفا » و« قسم علم النفس بالجامعة العبرية بالقدس » و .. الخ .

وترجو هيئة البحث أن يساعد هذا التقرير القيادة العامة لقواتنا المسلحة على تفهم حالة الروح المعنوية لدى أفراد القوات المسلحة فى حدود مناطق البحث تفهما موضوعيا مما ييسر إتخاذ أنسب الإجراءات لرفع كفاءة العنصر الإنسانى فى قواتنا المسلحة . كما ترجو الهيئة أن يستمر مثل هذا التعاون العلمى البناء بين القوات المسلحة وبين المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

المشرف على البحث د / سيد عويس

محتويات التقرير

المقـدمـة

١ - موضوع البحث :

يهدف هذا البحث الى دراسة الروح المعنوية لدى افراد القوات المسلحة والعوامل الفردية والظروف الاجتماعية المرتبطة بارتفاع الروح المعنوية او انخفاضها للتخلص من جوانب الضعف ودعم العوامل المساعدة على رفع الروح المعنوية ، وتهيئة المناخ الانسانى المناسب لاعمال التدريب والقتال فى مختلف الظروف .

٢ ـ طريقة اختيار الموضوع :

(١) كان الاطار الاساسى للبحث كما طلبته ادارة التوجيه المعنوى للقوات المسلحة هو « سمات شخصية المقاتل المصرى » .

(٢) بدأت هيئة البحث فى دراسة الموضوع المذكور واتضح انه يحتاج لسنوات طويلة لدراسته ، وانه يمكن الوصول لسمات المقاتل المصرى باجراء عدة بحوث ودراسات نفسية واجتماعية تسهم فى إلقاء الضوء على الموضوع الأصلى وتتم على مراحل وتحقق فوائد تطبيقية فى كل مرحلة ، وتتضافر فى النهاية لرسم صورة علمية دقيقة لسمات المقاتل المصرى .

(٣) قامت هيئة البحث بحصر أهم الجوانب النفسية والاجتماعية التى يمكن ان يبحث فى ظل الاطار العام المقترح . وبلغ عدد هذه الموضوعات احد عشر موضوعا .

(٤) وحرصا من هيئة البحث على اختيار الموضوع بصورة واقعية وموضوعية فقد تم اعداد استفتاء خاص لتطبيقه على عينة قوامها مائة من قادة القوات المسلحة (حتى مستوى قادة الفرق ومديرى الادارات) لاستطلاع رأيهم فى اكثر هذه الموضوعات اهمية والحاحا ، والذى يشعرون بضرورة دراسته اسرع من غيره من واقع خبراتهم العلمية فى القيادة حتى تتخذه هيئة البحث موضوعا للدراسة الحالية .

(٥) ومن شأن القيام بهذا الاستفتاء جعل موضوع البحث نابعا من القادة انفسهم مما يساعد على اهتمامهم به ودفعهم الى تنفيذ ماتوصى به نتائجه فيما بعد .

(٦) وقد ظهر من الاستفتاء ان موضوع « الروح المعنوية والعوامل المؤثرة عليها » هو أكثر الموضوعات اهمية والحاحا حيث حصل على نسبة ٣ر٧٠٪ من رغبات القادة .

٣ ـ **مبررات كتابة هذا التقرير الأولى :**

(١) تمر القوات المسلحة الان بمرحلة دقيقة مما يجعل من الضرورى وضع صورة واضحة عن حالة الروح المعنوية والعوامل المؤثرة عليها امام القيادة العامة للقوات المسلحة .

(٢) رأت هيئة البحث ان ترفع تقريرا اوليا (بعد أن انتهت من الدراسة التى قامت بها) تضمنه خلاصة النتائج التى من شأنها إلقاء الضوء على عوامل القوة والضعف فى الروح المعنوية فى قطاعات القوات المسلحة التى تناولتها الدراسة والعوامل المؤثرة عليها مما قد يساعد على اتخاذ الاجراءات الملائمة التى تزيد من كفاءة العنصر الانسانى فى قواتنا المسلحة فى مواجهة الاعداء .

(٣) سوف تقوم هيئة البحث بكتابة تقرير تفصيلى عن البحث ـ يستغرق بعض الوقت ـ ويتضمن بالتفصيل جميع مراحل الدراسة ، والمناهج التى اتبعت فيها ، والنتائج التفصيلية التى تم الوصول اليها .

منهج البحث

١ ـ **المفاهيم :**

مفهوم الروح المعنوية :

(١) عند دراستنا للروح المعنوية بالقوات المسلحة لابد من تصور انتماء الافراد الى جماعات او وحدات لكل منهم فيها مركز معين وادوار محددة (رسمية أو غير رسمية) ويتلقون فى هذه الجماعات انواعا من التربية العسكرية ، ويشتركون فى اداء اعمال من شأنها ان تكون عددا من الروابط والعلاقات بين الزملاء والرؤساء .

(٢) وباستمرار التفاعل بين الافراد فى الوحدات يتزايد التماسك بينهم وتتوحد اهدافهم ، وتتكون لديهم اتجاهات ايجابية نحو عملهم والظروف التى يتم فيها هذا العمل ، او يقل مستوى تماسكهم ووحدة اهدافهم حسب نوع التفاعل بينهم والظروف المحيطة بهذا التفاعل .

(٣) وعندما تتفق اهداف افراد الوحدة مع الأهداف الرسمية للعمل العسكرى المنتظر من الوحدة القيام به كما يرسمه لها القادة ، فانهم يندفعون بحماس بأقصى طاقاتهم نحو تنفيذ العمل المطلوب وهذا دليل على الروح المعنوية المرتفعة .

(٤) ومن هنا نستنتج التعريف الاجرائى للروح المعنوية كما استخد م في هذا البحث وهو انها ـ أى الروح المعنوية :

« مقدار حماس المقاتلين واتجاههم الايجابى نحو العمل العسكرى والظروف المحيطة به (قيادة ، معدات ، شئون ادارية و.. الخ) وينشأ هذا الحماس والاتجاه الايجابى نتيجة للتوحد والاتساق بين اهداف العمل العسكرى من ناحية ، وأهداف جماعة الافراد الذين يكونون الوحدة الفرعية الصغرى من ناحية اخرى ».

(٥) ومن شأن ارتفاع الروح المعنوية (بهذا المفهوم) ان يساعد الافراد على بذل اقصى جهد من اجل الصمود امام المواقف الصعبة وظروف المحن والخبرات القاسية التى قد يتعرضون لها فى خلال تأدية مهامهم .

٢ ـ أداة البحث :

استقر رأى هيئة البحث على ان اكثر الادوات ملاءمة لظروف البحث الحالى هى استمارة المقابلة الفردية ، وذلك نظرا لكبر حجم افراد عينة البحث ، وتفرقهم فى اماكن متباعدة مما يصعب معه اتباع اسلوب اخر كالملاحظة مثلا ، ولوجود افراد اميين بها ، وضمانا للحصول على بيانات موحدة ومكتملة من كل افراد البحث ، وقد صممت هذه الاستمارة بحيث تشتمل على كل من :

(١) مقياس للروح المعنوية .

(٢) اختبار للمعلومات العسكرية والقومية .

(٣) اختبار مختصر للذكاء .

(٤) بيانات شخصية واجتماعية .

وقد ضمنت الاستمارة المقاييس والبيانات (٢ ، ٣ ، ٤) من أجل القاء الضوء على الصفات الشخصية والظروف الاجتماعية المرتبطة بارتفاع الروح المعنوية او انخفاضها .

٣ - مكونات الروح المعنوية :

وسعيا لاحتواء مقياس الروح المعنوية على اهم ابعادها ومكوناتها تم من خلال الاطلاع على البحوث والدراسات المماثلة السابقة ، (ومن خلال مناقشة ظروف البحث الحالى) حصر اهم مكونات الروح المعنوية ، وتم تحديدها بشكل عام فى المكونات التالية :

(أ) التوحد مع الأهداف العامة للقوات المسلحة .

(ب) التوحد مع أهداف الوحدة التى يعمل بها الفرد .

(جـ) الثقة فى التدريب واهدافه .

(د) الثقة فى الكفاءة القتالية .

(هـ) الثقة فى الشئون الادارية والشعور برعاية القوات المسلحة للفرد ماديا واجتماعيا .

(و) الرضا عن العمل .

(ز) الثقة فى القيادة .

(حـ) الشعور بتماسك الجماعة .

(ط) الظروف الاجتماعية المحيطة بالعمل العسكرى (محليا وقوميا ودوليا) .

٤ - التحقق من صلاحية أداة البحث :

بعد أن تم حصر وصياغة الاسئلة الممثلة للمكونات المختلفة للروح المعنوية باللغة العامية حتى تفهم من جميع المستويات التعليمية ، وقد بلغ عددها فى البداية ١٧٣ سؤالا ، امكن التحقق من صلاحيتها كأداة علمية بالطرق التالية :

(أ) تطبيقها على عينة مماثلة للعينة التى ستطبق عليها لتجربة ملائمة صياغة اسئلتها .

(ب) التحقق من درجة تمييز الاسئلة بين الأفراد ذوى الدرجات المختلفة فى الروح المعنوية وذلك باستبعاد الاسئلة التى يجيب عليها بنفس الاجابة اكثر من ٩٠٪ من افراد عينة تجريبية تمثل ١٠٪ من العينة الكلية .

(جـ) حساب درجة ثباتها واتساق اجابات مجموعة من مائة فرد من افراد المجتمع العسكرى طبقت عليهم أداة البحث مرتين تفصل بين كل منهما فترة زمنية من اسبوعين الى ثلاثة اسابيع .

(د) حساب درجة صدق الاسئلة اى تمثيلها للروح المعنوية فعلا عن طريق اعتماد الاسئلة التى يقرها ٨٠٪ من محكمين مدنيين متخصصين فى علم النفس وعسكريين لهم خبرة بمجال البحث فى تمثيل كل سؤال من اسئلة مقياس الروح المعنوية لما يزمع قياسه .

(جـ) حساب درجة صدق الاسئلة ايضا عن طريق مقارنة اجابات الافراد عليها ، بمحك خارجى بحساب درجة التمييز او الفرق بين اجابات مجموعتين متعارضتين فى الروح المعونية (كل منهما مائة فرد) تم اختيارهما من مناطق مختلفة (بحكم شهادة القادة وخبرتهم بافراد هاتين المجموعتين) عند مستوى ثقة فى دقة الفرق بين المجموعتين = ٩٩٪ .

(و) وبعد استبعاد كل الاسئلة التى لاتتوفر فيها شروط الصلاحية

السابقة ، بلغ عدد اسئلة مقياس الروح المعنوية ٤٢ سؤالا .

٥ - طرق حساب الدرجات على المقاييس المستخدمة :

(أ) مقياس الروح المعنوية :

(١) بعد اجراء التجارب السابقة تم اعطاء درجة واحدة لكل سؤال تتفق اجابة الفرد فيه مع اتجاه الروح المعنوية **العالية** كما ثبتت من نتائج التجارب السابقة .

(٢) الدرجة الكلية التى يحصل عليها الفرد هى مجموع درجاته على كل اسئلة مقياس الروح المعنوية ، اى ان اقصى درجة يمكن ان يحصل عليها فرد تتفق اجاباته على جميع الاسئلة مع اتجاه الروح المعنوية العالية هى (٤٢ درجة)

(ب) اختبار المعلومات العسكرية والقومية :

(١) بلغ عدد اسئلة هذا المقياس ٩ اسئلة .

(٢) يصحح كل سؤال عن طريق اعطائه :

- « درجتان » للاجابة الكاملة .
- « درجة واحدة » للاجابة الناقصة .
- « صفر » للاجابة الخاطئة .

وذلك قياسا على نموذج وضع بمعرفة هيئة البحث .

(٣) الدرجة الكلية على الاختبار هى مجموع مايحصل عليه الفرد فى جميع الاسئلة اى ان اقصى درجة يمكن ان يحصل عليها فرد يجيب اجابة كاملة على كل الاسئلة هى (١٨ درجة)

(جـ) اختبار الذكاء :

(١) بلغ عدد اسئلة هذا الاختبار ١٢ سؤالا .

(٢)يصحح كل سؤال عن طريق اعطائه .

- « درجتان » للاجابة الكاملة .

- « درجة واحدة » للاجابة الناقصة .

- « صفر » للاجابة الخاطئة .

وذلك قياسا على النموذج الاصلى لهذا الاختبار .

(٣) الدرجة الكلية على هذا الاختبار هى مجموع مايحصل عليه الفرد فى جميع الاسئلة ، أى ان اقصى مايمكن ان يحصل عليه فرد يجيب اجابة كاملة على جميع الاسئلة هى (٢٤ درجة).

٦ ـ مجالات البحث :

(أ) روعى عند تحديد المناطق التى سيجرى عليها البحث تنوع درجة تعرض القوات المتمركزة بها لضغط العدو ، لذا تم اختيار عينة البحث بحيث تمثل مجتمع القوات المسلحة بافرعه الرئيسية فى المناطق التالية :

(١) منطقة الجيوش الميدانية بالقناة : وتمثل اكثر المناطق تعرضا لضغط العدو والتعامل اليوم معه .

(٢) المنطقة العسكرية الشمالية : وتمثل منطقة تبعد عن ضغط العدو والتعامل اليومى معه .

(٣) اختيرت عينة البحث بحيث تمثل كل من « الرتبة » (ضباط ودرجات اخرى) ، و« مستوى التعليم » بنسب وجودها بمناطق البحث بنسبة تحقق ثقة فى التمثيل للمجتمع الاصلى بافرع القوات الموجودة فى حدود (٩٥٪)

(٤) بلغ عدد افراد العينة الكلية للبحث وفقا للشروط السابقة ١٢٦٣ فردا .

(ب) اسلوب جمع البيانات :

(١) تم جمع البيانات عن طريق المقابلة الفردية التى كان يقوم بها باحثون متخصصون تم اختيارهم من افراد القوات المسلحة المتخصصين فى العلوم النفسية والاجتماعية ، وتم تدريبهم تدريبا خاصا تحت إشراف هيئة البحث .

(٢) وكان الباحثون ينتقلون مع هيئة الاشراف على البحث الى اماكن تمركز القوات الداخلة فى عينة البحث .

(٣) وقد روعى ان تتم المقابلة الفردية فى مكان بعيد عن اى ظروف من شأنها ان تؤثر على استجابات الافراد الذين يتم بحثهم .

(جـ) وقد تم جمع البيانات من افراد عينة البحث فى خلال اربعة شهور ابتداء من اول سبتمبر ١٩٧٠ وحتى نهاية شهر ديسمبر من نفس العام .

نتائج البحث

حدود هذه النتائج :

هذه النتائج التى حصلنا عليها بهذا البحث تمكننا من وصف الروح المعنوية **بالعينة الكلية واقسامها المختلفة** ومقارنتها ببعضها البعض من حيث :

أ - معرفة الظروف والعوامل الفردية والاجتماعية المرتبطة بارتفاع الروح المعنوية او انخفاضها فى العينة الكلية واقسامها .

ب - الفروق بين اقسام العينة فى مستوى الروح المعنوية وفى الظروف المرتبطة بارتفاعها او انخفاضها .

جـ - لايشير متوسط الدرجة على مقياس الروح المعنوية للعينة الكلية الى درجة مطلقة نستطيع على اساسها تقرير ارتفاع مستوى

الروح المعنوية بوجه عام عن فترة سابقة او انخفاضها مادام لم تجر نفس هذه الدراسة عن فترة سابقة .

وعلى هذا الاساس لايمكن التقرير ابتداء ان المتوسط الحسابى للعينة الكلية الذى حصلنا عليه وهو ٢ر٣٢ بانحراف معيارى = ٧ر٦ يمثل درجة مطلقة ـ مرتفعة او منخفضة ـ للروح المعنوية لاجمالى افراد القوات المسلحة عن فترة سابقة او تالية على البحث .

د ـ هذه النتائج مرتبطة الى حد كبير بظروف تطبيق أدواتها فى الفترة الزمنية التى تم فيها جمع البيانات من افراد العينة (الفترة من اول سبتمبر ١٩٧٠ وحتى اخر شهر ديسمبر من نفس العام) ، الا ان ادعاء عن اختلاف بعض نتائج هذه الدراسة فى فترة تالية لايمكن اثباته الا من خلال دراسة مماثلة بنفس الاداة والمنهج .

أهم النتائج :

بحساب المتوسط الحسابى والانحراف المعيارى لمجموع درجات اجمالى افراد العينة واجمالى كل قسم من اقسامها (بافرع القوات بالمناطق المختلفة) وحساب الفروق بين هذه المتوسطات الحسابية تبين التالى :

اولا : الفروق بين المناطق فى الروح المعنوية :

أ ـ تبين بمقارنة درجات الروح المعنوية للافراد بالمنطقة العسكرية الشمالية والجيشين الميدانيين ان مستوى الروح المعنوية بالمنطقة العسكرية الشمالية اعلى منها بالجيشين الميدانيين (عند مستوى ثقة فى دقة هذه النتيجة = ٩٥٪) .

ب ـ كذلك تبين ان الافراد بالمنطقة العسكرية الشمالية اكثر ارتفاعا من افراد الجيشين الميدانيين فى الجوانب التالية من الروح المعنوية (بعد حساب الفروق على مستوى اسئلة المقياس)

١ ـ التوحد مع الوحدات التى يعملون بها والاستعداد للتضحية فى

سبيلها (السؤال رقم (٥) من اسئلة الاستمارة) .

٢ ـ الثقة فى كفاءة القوات الجوية ومقدرتها على تقديم المعاونة للقوات البرية والبحرية اثناء القتال (السؤالان ٢٠ ، ٢١ من الاستمارة)

٣ ـ الشعور بالرضا عن افرع القوات والوحدات والاماكن التى يخدمون بها . (السؤال ٢ ، ٣ من اسئلة الاستمارة)

٤ ـ الشعور بالتماسك بين الافراد داخل الوحدة (السؤال رقم ٨)

جـ ـ وعلى العكس من ذلك تبين ان الافراد فى الجيشين الميدانيين اكثر (من زملائهم بالمنطقة العسكرية الشمالية) شعورا بالرضا عن رتبهم ومناسبتها لما يقومون به من اعمال (السؤال رقم ٢٨ من اسئلة الاستمارة) .

د ـ وبدراسة مجموعة من عينة البحث تمثل اعلى ٢٥٪ من مجموع افراد العينة الكلية فى مستوى الروح المعنوية ، ومقارنتها من حيث صفاتها وخصائصها بمجموعة اخرى تمثل ادنى ٢٥٪ من مجموع افراد العينة الكلية ايضا فى مستوى الروح المعنوية تبين ان نسبة الموجودين بالجبهة من مجموعة مرتفعى الروح المعنوية اقل من نسبة الموجودين بالجبهة من المجموعة المنخفضة ، وعلى العكس من ذلك فقد وجد ان نسبة الموجودين خارج الجبهة من مرتفعى الروح المعنوية اكثر من نسبة المنخفضين .

ثانيا : الفروق بين أفرع القوات فى الروح المعنوية :

أ ـ بمقارنة متوسط درجات الروح المعنوية للأفراد بجميع أفرع القوات المسلحة فى المنطقتين اللتين تمت فيهما الدراسة لم تسفر هذه النتيجة عن وجود فروق ذات دلالة احصائية سوى ارتفاع متوسط درجات الروح المعنوية لدى الأفراد بالقوات البرية بالمنطقة العسكرية الشمالية عن مثيلاتها بكل من :

(١) الجيش الثانى وحده (عند مستوى ثقة فى دقة النتيجة = ٩ر٩٩٪) .
(٢) الجيش الثالث وحده (عند مستوى ثقة فى دقة النتيجة = ٩ر٩٩٪) .
(٣) الجيشين الميدانيين مجتمعين (عند مستوى ثقة فى دقة النتيجة = ٩٥٪) .

ثالثا : الفروق بين الضباط والدرجات الاخرى فى الروح المعنوية :

أ - بحساب معامل الارتباط المستقيم بين كل من درجات الأفراد على مقياس الروح و« الرتبة » تبين وجود ارتباط سلبى بينهما (عند مستوى ثقة فى دلالته الاحصائية = ٩ر٩٩٪) بمعنى أنه كلما قلت الرتبة زادت الروح المعنوية ، والعكس بالعكس .

ب - وبحساب الفروق الاحصائية ذات الدلالة بين متوسطات درجات كل من الضباط والدرجات الأخرى على مقياس الروح المعنوية على مستوى المناطق تبين التالى :

(١) على مستوى جميع أفراد العينة الكلية : درجة الضباط أقل من درجة الصف والجنود (بدرجة ثقة فى دقة هذه النتيجة = ٩ر٩٩٪) .
(٢) على مستوى الجيش الثانى الميدانى : درجة الضباط أقل من درجة الصف والجنود (عند مستوى ثقة فى دقة النتيجة = ٩٩٪) .
(٣) الفروق بين الضباط والدرجات الأخرى فى الجيش الثالث والمنطقة العسكرية الشمالية كل على حده لها نفس الاتجاه السابق (الضباط أقل) ولكن النتائج لم تصل الى مستوى الدلالة الاحصائية .

ج - وبحساب نفس الفروق على مستوى الافرع الرئيسية للقوات تبين التالى :

(١) قوات الدفاع الجوى : تبين أن متوسط درجات الضباط أقل من متوسط درجات الصف والجنود (عند مستوى ثقة = ٩ر٩٩٪) .

(٢) القوات البحرية : متوسط درجات الضباط بها أقل من متوسط درجات الصف والجنود (عند مستوى ثقة = ٩٥٪) .
(٣) القوات البرية : الفرق بين متوسط درجات الضباط والصف والجنود فى نفس الاتجاه السابق (الضباط أقل : ولكن النتيجة لم تصل الى مستوى الدلالة الاحصائية .
(٤) القوات الجوية : الفرق بين متوسط درجات الروح المعنوية لدى الضباط والدرجات الأخرى لم يصل الى مستوى الدلالة الاحصائية ، وان كان اتجاه التمييز لصالح ارتفاع الروح المعنوية لدى الضباط .
د ـ وبمقارنة أعلى ٢٥٪ من أفراد العينة على مستوى الروح المعنوية بأدنى ٢٥٪ من حيث « الرتبة » تبين أن نسبة الضباط أعلى مجموعة فى الروح المعنوية أقل من نسبتهم داخل أقل مجموعة فى الروح المعنوية .

وعلى العكس من ذلك فان نسبة الدرجات الأخرى داخل أعلى مجموعة فى الروح المعنوية أكبر من نسبتهم داخل أدنى مجموعة فى الروح المعنوية (عند مستوى ثقة = ٩ر٩٩٪) ، كما أن هناك حقيقة أخرى تبرز بوضوح وهى أن الدرجات الصغرى أكبر تواجدا فى مجموعة مرتفعى الروح المعنوية عن مجموعة منخفضيها ، وأنه كلما ارتفعت الرتبة صحب هذا تحول الأفراد فى اتجاه المجموعة المنخفضة فى الروح المعنوية ، وهذا يتفق مع ماسبق أن اكده معامل الارتباط من انخفاض الروح المعنوية ، كلما زادت الرتبة .
هـ ـ وبمقارنة استجابات كل من الضباط والدرجات الاخرى على بند من بنود المقياس تبين أن الدرجات الاخرى أكثر ارتفاعا من الضباط فى الجوانب التالية من الروح المعنوية :
(١) " التوحد مع الأهداف العامة للقوات المسلحة والوحدة " (الاسئلة أرقام : ٦ ، ٧ ، ٣٤ من اسئلة الاستمارة) .
(٢) " الثقة فى التدريب والكفاءة القتالية " (الاسئلة أرقام : ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ من أسئلة الاستمارة) .
(٣) " الثقة فى كفاءة القيادة المباشرة " (الأسئلة أرقام : ١٤ ، ١٧ ، ٣٢ من أسئلة الاستمارة) .

(٤) فيما يتعلق " بالرضا عن العمل " اتضح أن الدرجات الأخرى أكثر شعورا بالرضا عن مناسبة مايقومون به من اعمال لقدراتهم الجسمية (السؤال رقم ٢٢) كما أنهم أقل شعورا بالرضا من الضباط عن الجوانب التالية :

(أ) الشعور بأن العمل الذى يقومون به يتيح لهم فرصة اظهار مهارتهم وما يتوافر لديهم من قدرات وخبرات خاصة .

(ب) الرضا عن أفرع القوات الذين يخدمون بها .

(جـ) الشعور بمناسبة الرتبة لما يقوم به الفرد من أعمال .

(د) الشعور بالرضا عما يقدم لهم من تعيينات - (الاسئلة أرقام : ٢ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ من أسئلة الاستمارة) .

(٥) وفيما يتعلق " بالرضا عن العلاقات الانسانية داخل الوحدة " وجد أن الدرجات الأخرى أكثر من الضباط شعورا بالرضا عن علاقاتهم بزملائهم وعن تقدير قادتهم لهم عندما يقومون بأعمال جيدة - (السؤالان ٨ ، ٣٥ من أسئلة الاستمارة) .

الا أن الضباط أكثر شعورا بالرضا عن " سهولة الاتصال بالأهل عند الحاجة " (السؤال رقم ٣٧ من الاستمارة) .

رابعا : نتائج متصلة بالخدمة العسكرية :

١ - نوع الخدمة :

أ - تبين من اختبار كا٢ ومعامل التوافق وجود علاقة ذات دلالة مرتفعة (تتجاوز ٩ر٩٩٪ فى مستوى الثقة فيها) بين " نوع الخدمة " وبين " الدرجة على مقياس الروح المعنوية " .

ب - وسعيا الى القاء مزيد من الضوء على نوع هذه العلاقة واتجاهها تمت المقارنة بين أعلى ٢٥٪ من أفراد العينة الكلية وأدنى ٢٥٪ منها على مقياس الروح المعنوية وذلك من حيث " نوع الخدمة " فتبين التالى :

(١) أن نسبة الضباط العاملين " داخل المجموعة مرتفعة الروح المعنوية أقل من نسبتهم داخل المجموعة منخفضة الروح المعنوية ، والفرق بين هاتين النسبتين من الناحية الاحصائية يشير الى أن الضباط العاملين ذوى الروح المعنوية المنخفضة أكثر من الضباط العاملين ذوى الروح المعنوية المرتفعة (عند مستوى ثقة = ٩ر٩٩٪) .

(٢) أن نسبة الضباط " الاحتياط " والمكلفين ، والفنيين داخل مجموعة منخفضى الروح المعنوية أكثر منها داخل مجموعة مرتفعى الروح المعنوية ، وان كانت الفروق بينهما لم تصل الى حد الدلالة الاحصائية .. وعلى العكس من ذلك بالنسبة للضباط " الشرفيين " فعند حساب متوسط درجاتهم على مقياس الروح المعنوية تبين أنها **أعلى** من متوسط باقى الضباط .

(٣) ان نسبة المجندين من الدرجات الأخرى فى مجموعة مرتفعى الروح المعنوية أعلى من نسبتهم فى المجموعة المنخفضة .

(٤) أن نسبة الدرجات الأخرى من الاحتياط المستبقين ومن المتطوعين أعلى داخل مجموعة مرتفعى الروح المعنوية منها داخل مجموعة منخفضة الروح المعنوية (وان كانت الفروق بين النستبين لم تصل الى حد الدلالة الاحصائية) .

٢ ـ السلاح :

(أ) تبين باستخدام الطرق الاحصائية للتحقق من وجود علاقة بين كل من " السلاح " و " الروح المعنوية " اثبات وجود هذه العلاقة بفرق ذى دلالة .

(ب) وسعيا الى القاء الضوء على نوع هذه العلاقة واتجاهها تمت المقارنة بين توزيع الافراد فى الاسلحة المختلفة داخل كل من مجموعة مرتفعى الروح المعنوية (أعلى ٢٥٪ من العينة الكلية) على مقياس الروح المعنوية ، ومنخفضى الروح المعنوية (أدنى ٢٥٪ من العينة الكلية) ولم توجد فروق ذات دلالة احصائية بين نسب الافراد داخل المجموعتين سوى بالنسبة لافراد " المشاة " حيث وجد أن نسبتهم

داخل المجموعة المنخفضة أعلى من نسبتهم داخل المجموعة المرتفعة (عند مستوى ثقة = ٩ر٩٩٪) .

٣ ـ مدة الخدمة بالوحدة الحالية :

بحساب معامل الارتباط بين كل من " مدة الخدمة بالوحدة الحالية " ، و " الدرجة على مقياس الروح المعنوية " تبين عدم وجود ارتباط بينهما ، ويعنى ذلك أن مدة الخدمة بالوحدة الحالية (فى ذاتها) لاعلاقة لها بارتفاع أو انخفاض الروح المعنوية .

خامسا : العلاقة بين الروح المعنوية وعدد من البيانات الشخصية والاجتماعية :

١ ـ التعليـم :

(أ) باختبار وجود علاقة بين الدرجة على مقياس الروح المعنوية " ومستوى التعليم " (عن طريق حساب كل من كا٢ ومعامل التوافق) ، تبين وجود علاقة ذات دلالة بينهما (بدلالة تتجاوز ٩ر٩٩٪ فى مستوى الثقة فيها) .

(ب) وسعيا الى القاء مزيد من الضوء على نوع هذه العلاقة واتجاهها تمت مقارنة أعلى ٢٥٪ من أفراد العينة الكلية فى مستوى الروح المعنوية بأدنى ٢٥٪ منها من حيث " التعليم " فتبين أن نسبة ذوى التعليم المرتفع (مؤهل عالى ومؤهل متوسط) داخل أعلى مجموعة فى الروح المعنوية أقل من نسبتهم داخل أقل مجموعة فى الروح المعنوية ، وعلى العكس من ذلك فان نسبة ذوى التعليم المنخفض (أمى ويقرأ ويكتب) داخل أعلى مجموعة فى الروح المعنوية أكبر من نسبتهم داخل أدنى مجموعة فى الروح المعنوية (بدرجة ثقة = ٩ر٩٩٪) .

(جـ) بمقارنة استجابات الأفراد ذوى المؤهلات العليا والمتوسطة باستجابات الأفراد ذوى المستويات التعليمية المنخفضة على كل بند من بنود مقياس الروح المعنوية تبين أن الافراد منخفضى التعليم (أمى ـ يقرأ ويكتب) اكثر ارتفاعا من الأفراد ذوى المؤهلات العليا والمتوسطة فى الجوانب التالية من مكونات الروح المعنوية :

(١) " التوحد مع الأهداف التى تسعى لتحقيقها القوات المسلحة والوحدة التى يعمل بها الفرد والتحمس لها والاستعداد لبذل اقصى الجهد باصرار لتحقيق هذه الأهداف مهما كانت الظروف التى يتعرض لها الافراد فى الوحدة (الاسئلة أرقام : ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٠ ، ٣٤) .

(٢) " الثقة فى كفاءة التدريب الذى يتلقاه الأفراد داخل الوحدة ، والشعور بكفاءة الوحدة ومقدرتها القتالية ، وأنها تستطيع تنفيذ مهامها بكفاءة عالية (الاسئلة أرقام : ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢١) .

(٣) " الثقة فى كفاءة القيادة المباشرة " والشعور بكفاءة القائد ومقدرته على قيادة الوحدة بنجاح (السؤالان ١٤ ، ٣٢) .

(٤) الرضا عن العمل داخل الوحدة : والرضا عن العمل الذى يقوم به الفرد ومناسبته لقدرته الشخصية ولرتبته ، والرضا عما يتقاضاه من أجور ومرتبات ومايقدم له من خدمات مادية واجتماعية (الاسئلة أرقام : ٣ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠) .

(٥) الرضا عن العلاقات الانسانية داخل الوحدة ويتضمن الرضا عن العلاقة بالزملاء ومعاملة القادة وإهتمامهم بالافراد وقيادتهم من النواحى الاجتماعية والانسانية (الاسئلة أرقام : ٨ ، ٩ ، ٢٣ ، ٣٥ ، ٣٧) .

(٦) الشعور بتقدير المدنيين للجهود التى تقوم بها القوات المسلحة (السؤال رقم ٤٢) .

٢ - مستوى الذكاء :

أ - بحساب معامل الارتباط المستقيم بين درجة الذكاء والدرجة على مقياس الروح المعنوية ، تبين وجود ارتباط سلبى بينهما (عند مستوى ثقة فى دلالته الاحصائية = ٩ر٩٩٪) بمعنى أنه كلما ارتفع مستوى ذكاء الفرد كلما قلت درجته على مقياس الروح المعنوية .

ب - وبمقارنه متوسط الذكاء لدى كل من المجموعتين المتطرفتين فى الروح المعنوية (أعلى ٢٥٪ وأدنى ٢٥٪ من العينة على مقياس الروح

المعنوية) تبين أن متوسط ذكاء المجموعة المرتفعة على مقياس المعنوية أقل من متوسط ذكاء المجموعة المنخفضة عليه (عند مستوى ثقة = ٩ر٩٩٪) .

٣ ـ المعلومات العسكرية والقومية :

(أ) بحساب معاول الارتباط بين " مقياس المعلومات العسكرية والقومية ، و " مقياس الذكاء " تبين وجود ارتباط ايجابى بينهما (عند مستوى ثقة فى دلالته الاحصائية = ٩ر٩٩٪) بمعنى أنه كلما زادت درجات الافراد على مقياس الذكاء كلما زادت معها حصيلتهم من المعلومات العسكرية والقومية (كما يقيسها الاختبار) .

(ب) بحساب معامل الارتباط بين مقياس المعلومات العسكرية والقومية ، وبين الدرجة على مقياس الروح المعنوية ، تبين وجود ارتباط سلبى بينهما (عند مستوى ثقة فى دلالته الاحصائية = ٩ر٩٩٪) بمعنى أنه كلما زادت حصيلة الفرد من المعلومات العسكرية والقومية ، كلما قلت درجته على مقياس الروح المعنوية .

(جـ) كذلك تبين أن منخفضى الروح المعنوية أكثر الماما بالمعلومات العسكرية والقومية (كما يقيسها اختبار المعلومات) عن المجموعة المرتفعة فى الروح المعنوية (بدرجة ثقة = ٩ر٩٩٪) .

٤ ـ العمر بالسنوات :

لم توجد علاقة بين العمر بالسنوات وبين الدرجة على مقياس الروح المعنوية .

٥ ـ الديانة :

تلاحظ عدم وجود فروق احصائية بين حالة الروح المعنوية لدى المسلمين والمسيحيين بالعينة الكلية وجميع أقسامها .

٦ ـ اجمالى الدخل :

تمت مقارنة مجموعة مرتفعى الروح المعنوية (أعلى ٢٥٪) بمجموعة منخفضى الروح المعنوية (ادنى ٢٥٪) على مقياس الروح

المعنوية على أساس اجمالى الدخل الشهرى لأفراد كل مجموعة فتبين مايلى :
(أ) ـ أن نسبة تواجد فئات الدخل المنخفض (من جنيه واحد ـ ٢٠ جنيها) داخل مجموعة مرتفعى الروح المعنوية أكبر من تواجدها داخل مجموعة منخفضى الروح المعنوية .
(ب) تزداد نسبة تواجد الافراد داخل مجموعة منخفضى الروح المعنوية ، كلما ارتفع مستوى دخلهم (أكثر من ٢٠ جنيها) .

وتتفق هذه النتيجة بوجه عام مع ماسبق أن حصلنا عليه من نتائج خاصة بالرتبة والتعليم .

٧ـ المهنـــة :
(أ) تبين من حساب كا^{2} ومعامل التوافق وجود علاقة بين المهنة والروح المعنوية .
(ب) وسعيا الى معرفة نوع هذه العلاقة واتجاهها تمت مقارنة أعلى ٢٥٪ من العينة الكلية بأدنى ٢٥٪ على مقياس الروح المعنوية على أساس المستوى المهنى لكل مجموعة فتبين أن المستويات المهنية الدنيا (العمال غير المهرة ـ العمال انصاف المهرة ـ والعمال المهرة) موجودة داخل المجموعة المرتفعة فى الروح المعنوية بنسبة أعلى من نسبة وجودها داخل المجموعة المنخفضة فى الروح المعنوية ، وعلى العكس من ذلك فان أصحاب المهن العليا يتواجدون داخل المجموعة المنخفضة فى الروح المعنوية بنسبة أعلى منها داخل المجموعة المرتفعة .

٨ ـ نوع الحياة الاسرية :
تبين بوجه عام أن الافراد الذين يعيشون حياة أسرية يغلب عليها طابع التكافل الاجتماعى تضم زوجاتهم وأولادهم والابوين أو الاخوة أو أحد الاقارب روحهم المعنوية مرتفعة عن غير المتزوجين والذين يعولهم أباؤهم والذين يعيشون بمفردهم أو مع زوجاتهم وأولادهم فقط .

٩ ـ مواطن النشأة ومحل الاقامة الحالى :

تبين أن الافراد ذوى الطابع الريفى (سواء من حيث مواطن النشأة أو محل الاقامة الحالى) أعلى فى مستوى الروح المعنوية من الافراد الذين يغلب عليهم طابع المدنية أو (الحضر) كما أن نسبة (الريفيين فى المجموعة مرتفعة الروح المعنوية أعلى منها فى المجموعة المنخفضة ، والعكس بالنسبة للحضريين .

سادسا : دوافع القتال :

١ ـ تبين من دراسة ترتيب دوافع القتال حسب أهميتها لدى الافراد على مستوى عينة البحث ان " **الجهاد فى سبيل الله** " هو الدافع الاول للقتال حيث بلغت نسبته (٣٨٪) من مجموع العينة الكلية يليه " **الرغبة فى تحرير الارض المحتلة** " بلغت نسبته (٣٤٪) ثم " **حماية العرض والشرف** " (١٨٪) ، ثم **اعطاء المثل والقدوة من القائد فى الاقدام على القتال** " (١٤٪) .

٢ ـ كما تبين أن " **فهم الافراد لمطامع العدو وأهدافه** " و " **رغبتهم فى حماية المكاسب التى حققها المجتمع** " لم تعتبر دوافع للقتال الا لدى (٣٪ ، ٢٪) فقط من أفراد العينة الكلية ؛ وقد يعكس هذا عدم الفهم الكافى من جانب الافراد لكل الجانبين الاخيرين مما أدى الى عدم ارتقائهما الى مستوى الدوافع الاخرى للقتال لدى الافراد .

٣ ـ لم يختلف الترتيب السابق لدوافع القتال حسب أهميتها لدى الأفراد على اختلاف فئاتهم بالعينة (من حيث التعليم والرتبة ونوع الخدمة .. الـخ) كما لم يختلف بين كل من مرتفعى الروح المعنوية ومنخفضيها .. ولعل ذلك أن يرجع الى أن ادراك الأفراد لترتيب أهم دوافع القتال فى رأيهم يتبع نمطا اجتماعيا شائعا فى المجتمع المصـرى بوجه عام ، مما لايعكس فى حد ذاته الظروف الفعلية التى تدفع الافراد الى بذل أقصى جهد فى أداء واجبهم من عدمه (فى ضوء النتائج السابقة) كما تبين لنا ـ مثلا ـ وجود فروق فى الروح المعنوية بين مستويات التعليم المختلفة أو مستوى الرتب المختلفة .

وقد يكشف هذا أيضا عن أن وسائل وأساليب تعبئة دوافع القتال المستخدمة حتى اجراء البحث لم تبرز أحد الدوافع - أو هدد من الدوافع - فى ادراك الفرد ووعيهم بصورة تجعله يؤثر فى ارتفاع الروح المعنوية ويميز بين مرتفعى الروح المعنوية ومنخفضيها ·

خاتمـــة

١ - التعليق على النتائج :

(أ) ان التجربة الرائدة المتمثلة فى اجراء هذا البحث والتعاون البناء الذى تم بين القوات المسلحة (متمثلة فى ادارة التوجيه المعنوى) والجهات العلمية فى الدولة (متمثلة فى المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية) تفتح الأمل لمزيد من البحث والدراسة للظروف التى من شأنها تفجير اكبر قدر من الطاقات الانسانية التى لدى أفراد قواتنا المسلحة فى مختلف الظروف من أجل تحقيق أكبر قدر من كفاءتها ، خاصة وأنه قد تبين من البحث أن الروح المعنوية تتمثل على حقيقتها فى عدد من الظروف الواقعية التى يعايشها ويلمسون أثرها مثل :

(١) الثقة فى كفاءة القيادة العسكرية على اختلاف مستوياتها ·
(٢) الثقة فى التدريب ·
(٣) ملاءمة العمل للقدرات الفردية ·
(٤) الرضا عن العلاقات الانسانية داخل الوحدة ·
(٥) اتساق السلوك الفعلى داخل الوحدة وعلى مستوى القوات المسلحة مع الأهداف الرسمية المحددة ·

(ب) وبقدر ارتفاع نصيب الأفراد من التعليم والذكاء والمعلومات القومية والعسكرية و .. الخ بقدر مانتوقع منهم أن يتفاعلوا مع الأهداف العامة اذا كانت متسقة مع الظروف الفعلية التى يعايشونها ويتفاعلون معها لأنهم اكثر ادراكا لمدى هذا الاتساق .. ولما كنا قد حصلنا من خلال دراستنا على نتائج تشير الى أن عددا من الصفات العسكرية والشخصية التى تعتبر أصحابها طاقات يمكن الانتفاع بها

فى تدعيم جوانب القوة فى المجتمع العسكرى مثل :

(١) الرتبة المرتفعة .

(٢) التعليم المرتفع .

(٣) الذكاء المرتفع .

(٤) الالمام بالمعلومات القومية والعسكرية .

(٥) العمل فى مهن ووظائف مرتفعة وقيادية .

(٦) النشأة أو الاقامة فى المجتمع الحضرى .

(٧) ارتفاع مستوى الدخل .

اتضح أنهم أكثر إنخفاضا فى الروح المعنوية .. مما يشير الى بعض جوانب اضعف التى يراها هؤلاء الأفراد أكثر من غيرهم ، الأمر الذى يتطلب اهتماما خاصا بهذه الجوانب .

٢ ـ المقترحات :

أنه فى ضوء نتائج البحث السابقة تقترح هيئة البحث دراسة المشكلات التالية دراسة علمية من أجل ايجاد الحلول الملائمة لها :

(أ) العوامل التى تؤدى الى جعل الروح المعنوية لأفراد القوات المسلحة بالجبهة أقل منها لدى القوات المتمركزة خارج الجبهة (وخاصة بالمنطقة الشمالية العسكرية) .

(ب) العوامل التى تجعل القوات البرية بالجيوش الميدانية أقل فى مستوى روحها المعنوية من باقى القوات البرية خارج الجبهة (وخاصة بالمنطقة الشمالية العسكرية) .

(جـ) العوامل التى تجعل الضباط بوجه عام ـ فيما عدا الشرفيين منهم ـ أقل فى روحهم المعنوية من الدرجات الأخرى .

(د) القاء الضوء على العوامل التى تخفيض من الروح المعنوية .. وتقلل من فعالية كل من ذوى الدرجات المرتفعة فى التعليم ، والمعلومات العسكرية والقومية ـ والذكاء ، والمهن المرتفعة ، والدخل المرتفع (٢٠ جنيها فأكثر) على الرغم مما يمكن أن تبذله هذه الفئات من جهد خلاق يعود على القوات المسلحة بأكبر الفوائد .

(هـ) العوامل التى من شأنها تعبئة دوافع للقتال بطريقة فعالة تجعلها

بارزة فى ادراك الأفراد ووعيهم بصورة تؤثر فى ارتفاع الروح المعنوية ، وتحفز على بذل أقصى جهد فى أداء الواجب .

٣ - صعوبات عطلت سير العمل بالبحث :

رغم أنه قد أمكن التغلب على الصعوبات التى واجهت سير العمل بالبحث ، الا انه سعيا الى عدم تكرار مثل هذه الصعوبات فى بحث تال يمكن أن يتم فى وقت أسرع ، نذكر أهم الصعوبات التالية :

أ - عدم تعاون بعض القادة والمسئولين فى بعض الوحدات .

ب - صعوبة الانتقال والحركة داخل الوحدات لجميع البيانات من أفراد العينة بسبب تفرقهم فى أماكن عديدة ومتباعدة من ناحية ، وعدم توفر وسائل للانتقال مع هيئة البحث فى معظم الظروف .

جـ - تعطيل الحصول على بعض البيانات الأساسية التى كانت لازمة لتحديد إطار عينة البحث .

د - صعوبة تفرغ عدد من الباحثين الميدانيين الذين اختيروا من بين المتخصصين فى الدراسات النفسية والاجتماعية من أفراد القوات المسلحة .

ولايسعنى وقد تم هذا التقرير الا أن أذكر أن اعضاء هيئة البحث كانوا يعملون متعاونين **فى صمت وسرية وفى استقلال** . لم يتدخل فى شئون أعمالهم احد من داخل المركز أو من خارجه . ومن ثم اتيحت الفرصة لى أن أقود **الهيئة كفريق** .

وعلى الرغم من كل الصعوبات التى ذكرت - والتى لم تذكر - فان هيئة البحث لايسعها الا أن تتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من عاونها على انجاز مهمتها على خير وجه ، وتلبية مطالبها بهذا القدر من الكفاءة التى ساعدت على اكتمال البحث بهذه الصورة .

١١ - الغيرة المهنية

لم أسمع عن مفهوم « الغيرة المهنية » إلا فى حجرات الدراسة . سواء كانت هذه الحجرات حجرات الدراسة العالية او الدراسة العليا : لم أع معناه إلا فى هذه الاماكن . فقد لاحظ أن المدرس أو الاستاذ يدخل بعد زميله ليلقى درسه أو محاضرته وتراه يقارن بينه وبين هذا الزميل دون ما مناسبة تقتضى هذه المقارنة ، وتراه يكاد أن يذم زميله ويمدح نفسه ، ونحن الطلبة والطالبات كنا نقف موقف المحايد عند سماع هذا الفعل الذميم خصوصا اذا كنا ندرس فى داخل البلاد ، واننى لا أعمم وذلك لان البعض منا كان يتقرب الى استاذ بعينه أو اساتذة بعينهم فينقل اليه أو اليهم مايذكر فى حقه أو فى حقهم من زميل لهم أو زملائهم الآخرين..

وبان لى بوضوح ، عندما كنت ادرس فى الخارج ، ان ابناء بلدى الذين لهم صلة اذ يتعاملون مع بعضهم ومعى تسود هذه المعاملة بعض الخلال . منها بل اهمها خلة « الفردية » كان ذلك منذ حوالى الاربعين عاما وقت كتابة هذه السطور . وكنت فى ذلك الحين أتساءل عن عوامل هذه الفردية بين أبناء بلدى « الغرباء » وقلت فى نفسى ربما ان يكون من عواملها مايسميه البعض « عقدة الخواجة » فنحن المصريين لكى ننال الخطوة عند « الخواجات » الذين نتعامل معهم كمطلب من المطالب الضرورية ، نسعى جاهدين فى سبيل ذلك ولو كان على حساب بعض القيم الجماعية ذات الاهداف الحميدة التى يزخر بها مناخ مجتمعنا المصرى الثقافى .

ومما شجعنى على الاخذ بهذا الرأى مالاحظته من سلوك هؤلاء الخراجات أنفسهم ومايهدف اليه هذا السلوك من هدم قيم التكافل والتعاون والتعاضد بين المصريين (الاجانب) والتعميم فى مثل هذه الموضوعات شىء لايقره العقل الرشيد . فالاستثناء كان مافى ذلك من شك قائما . وحتى خلة الفردية ككل شىء فى الدنيا ، كما يعلم القارىء ، لايمكن أن تكون شرا مطلقا . ان شرها يتوقف بالضرورة على مواقف اجتماعية معينة . وان خيرها يتوقف كذلك بالضرورة على مواقف إجتماعية أخرى . ولن يكون هذا الخير أبدا على حساب ماهو خير . اى ان المسألة هى فى حقيقة الامر مسألة نسبية . وعندما عشت فى احد المجتمعات العربية حيث يوجد مصريون وغيرهم من البشر ، وحيث كان الجميع يحاول ان يكسب من خيرات هذا المجتمع ما استطاع الى ذلك سبيلا لاحظت خلة الفردية فى صفوف معظمهم . أقصد الفردية التى تيسر سبيل الشر اكثر من سبيل الخير ، وتذكرت ماكان يحدث فى الماضى عندما كنت طالبا فى الخارج . وقارنت بين الموقفين . ان العقدة فى هذا المجتمع العربى لايمكن ان تكون عقدة الخواجة ، وانما هى عقدة أخرى .. عقدة صاحب العمل الثرى . والثراء كما معروف يمثل سلطانا معينا ، والخواجة فى ماضى حياتنا كان أيضا يمثل سلطانا أخر معينا . إذن المسألة هى مسألة الذى يمثله الاستعمار أو يمثله المال ، وأضيف الى ذلك السلطان الذى يمثله « المنصب » والملاحظ ان السلطان المادى أو المعنوى (اذا كان المنصب روحيا مثلا) من أهم عناصر المكانة الاجتماعية العالية فى مجتمعنا . ونحن فى ضوء الوان الظلم القائم الذى عانيناه فى الماضى ونعانيه فى الحاضر ، اقصد ماعاناه اجدادنا وأباؤنا والعديد من الكادحين المكافحين من أعضاء مجتمعنا فى الوقت الراهن ، نرهب السلطان ونخشاه ، ف « السلطان هو البعيد عن السلطان » و « ربنا مايحكمش على غلابة » و « اذا كان دراعك عسكرى اقطعه » و « الميه ماتجريش فى العالى » و « العين ماتعلاش على الحاجب » كلها امثال تعيش فى مناخ مجتمعنا المصرى لاتزال وهى اذ تؤكد الرهبة أو الخشية فى نفوس الاغلبية من اعضاء مجتمعنا ، تشجع فى الوقت

نفسه محاولة الاستفادة منها لصالح هؤلاء الاعضاء الشخصى . والصالح الشخصى كهدف لهم يعنى ان يتقوا شرور السلطان أو يعنى محاولة نيل الخطوة عنده ولو كان ذلك على حساب بعض القيم الجماعية ذات الاهداف الحميدة التى يزخر بها مناخ مجتمعنا العصرى الثقافى ، ويصبح الواحد منهم فى مثل هذه المواقف يرى نفسه ، حتى لو كانت هذه الرؤية زيفا وبهتانا ، سلطانا !

كان يدور فى ذهنى كل هذه الافكار كلما حدث مالم اكن أتوقعه من شر فى المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . فالمركز ماهو الا جزء من المجتمع المصرى عند انشائه وبعد انشائه وحتى الآن أى وقت كتابة هذه السطور . وقد علمتنى الحياة منذ أن واجهتها وحدى أى منذ وفاة أبى فى شهر يناير عام ١٩٣٠ ، أى لما ابلغ سن السابعة عشرة من عمرى وأنا أدير « الوكالة » ثم وانا اعمل فى « مصلحة الحدود » ثم وأنا أدير « مؤسسة الزفاف الملكى » ثم وأنا أدير « معسكر الاطفال » بكوم امبو ثم عندما أصبحت مديرا ل « مكتب الخدمة الاجتماعية لمحكمة الأحداث » ثم وانا أعمل ب « مصلحة الخدمات » بوزارة الشئون الاجتماعية . ثم عندما انتدبت لأعمل كخبير اجتماعى كل الوقت فى مجلس الوزراء ثم عندما انتبدت لاعمل بعض الوقت ب « جمعية الخدمات الاجتماعية بحى بولاق » وحتى عندما كنت أسافر الى الخارج فى صحبة بعض الزملاء لحضور مؤتمرات - علمتنى الحياة ، وقد سبق أن ذكرت ذلك واعتذر للتكرار ، ان الصراع بين الخير والشر موجود مادامت الحياة . وقد اكد المركز فى ضوء العلم هذه الحقيقة ، ومن ثم كنت ومعى زميلاتى وزملائى المخلصون العاملون بالمركز نعيش فى التفاؤل ويعيش فينا التفاؤل كلما اتاحت الظروف غير المواتية بالمركز للشر أن يبدو منتصرا كان باب الامل فى القضاء على هذا الشر مفتوحا دائما .

وقد تأكد لدى ان « كل ابن ادم خطاء » كما تأكد أيضا عندى « أن أعقل الناس أعذرهم للناس » فقد نالنى من زميلاتى وزملائى رذاذ البغض ربما الحقد أحيانا . وأنا لا أبرىء نفسى وأدعى النقاء ، ولكنى

ادعى أننى إذا أخطأت فلم يكن خطئى أبدا عن عمد . وكنت أتسامح اذا أهاننى أحد منهم . ولن أنسى أحدهم وكان ومازال يؤدى دور الذين يلبسون مسوح الرهبان ويلتحف سترة الذين يعملون الصالحات . وقد أتقن هذا الدور والحق يقال ولكن :

ومهما تكن عند أمرىء من خليقة ..
وان خالها تخفى على الناس تعلم

كان هذا الرجل ، كما تقول عنه زوجتى انه يمارس النميمة مثل « الستات » لاتقول له شيئا الا ونقله لصاحب الشأن تقربا وزلفى . كان لايرعوى أن يقول شيئا لكى يعرف أشياء ، لكى كما كان يتصور يرتفع الى أعلى . كان يدعى العلم ولا علم لديه سوى القشور التى يفيدها من غيره ممن يستقطبهم من الزميلات والزملاء الذين يعلمون اكثر وأفضل . والزميل الآخر الذى انتهز فرصة وجود قلة من الزملاء فى بيته ليحدثنى تليفونيا وينهال على بالشتائم التى لا أول لها ولا آخر ولم اكن لأرد عليه فقد كان يحدثنى وانا فى منزلى وأتشرف بوجود ضيوف أغراب عندى . وأغلقت التليفون وكأن الطالب قد أخطأ الرقم . وأننى اذكر أننى عندما ذهبت فى اليوم التالى الى المركز وجلست فى حجرتى لفت نظرى واحد من الذين كانوا يسمعون ويشاهدون مافعله هذا الزميل . كان هذا الواحد يسير أمام حجرتى وكان بابها مفتوحا كما تعودت أن يكون كذلك . كان يسير جيئة وذهابا وكأنه كان يقول لى انه حضر واقعة قذائف الشتم التى وجهت لى من الزميل المذكور ، وعندما ناديته أقر بذلك وذكر أسماء من كانوا من الحاضرين .

ولعلنى أذكر احد الزملاء الذى ساعدته ما استطعت بكتبى وبوقتى لكى يكمل درجتى الماجستير والدكتوراه . فلما أكملهما وأصبح يلقب بـ « الدكتور » وجدته شخصا آخر . وذلك لانه عندما قام بترجمة مقال باللغة الانجليزية إلى اللغة العربية ، وكان قد وقع كاتب المقال باسم « استاذ مجهول » (Ananymous Professor) فما كان من

الزميل (الدكتور) الا أن ختم مقاله المترجم إلى اللغة العربية على ان كاتبه يدعى « برفسور انونيمى » فلما وجهت نظره الى هذا الخطأ أبى الا ان يقاطعنى الى الدرجة التى كنت اذا قابلته وانا فى طريقى الى حجرتى وألقيت عليه التحية فلا يرد تحيتى .

وهل أنسى زميلتى التى لم أكن قد قابلتها منذ فترة غير قصيرة ، فلما قابلتها انشرح صدرى وابتسمت بأخوة وبمحبة ابتسامة عريضة ، ثم مددت لأسلم عليها فامتنعت عن السلام . وياويلى عندما حدث ذلك كبت مشاعرى وعجبت من سلوك هذه السيدة التى كنت الوساطة الوحيدة لتتزوج من زميل بالمركز وكنت الشخص الوحيد الذى دعى الى حفلة خطبتها . وساءلت نفسى عن السبب أو الاسباب التى جعلتها تفعل مافعلت ، فلم اجد اجابة مقنعة فى ذلك الحين وحتى كتابة هذه السطور .

ولن أنسى ماحييت البحث الذى أشرفت عليه منذ يوم الثلاثاء ٢٣ من شهر نوفمبر عام ١٩٦٥ عندما عقد اول اجتماع له . كان موضوعه من اختيارى ووافقت ادارة المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية مشكورة على ان اشرف عليه . وكنا زميلاتى وزملائى وانا نعقد اجتماعات هذا البحث اسبوعيا فى المساء ، وكنت أشرف على هذا البحث منذ تاريخ البدء فيه حتى يوم السبت ١٤ من شهر سبتمبر عام ١٩٦٨ ، وتركت الاشراف لسفرى خارج البلاد ، ثم عدت فماذا وجدت ؟ اشرف على هذا البحث أحد اعضائه الذى ضممته الى هيئة البحث فى يوم الاربعاء من شهر اكتوبر عام ١٩٦٧ . ورأيته قد استولى عليه وكأنه اصبح ملكا له . وكنت مريضا لاننى عدت من الخارج مريضا فلم آبه لما فعل . ومع ذلك فقد جاءنى هذا الزميل الذى أصبح مشرفا على بحث بدأته وكان موضوعه من اختيارى وكان من البحوث الرائدة ، جاءنى يلتمس معونتى لوضع خطة لكتابة التقرير النهائى لان همى الاول أن يخرج البحث الى النور ، وتم وضع الخطة التى تضمنت كتابة الجزء المتعلق بمنهج البحث الذى كان من نصيبى أن أتولى كتابته .

ولم أتول شيئا لان المشرف الجديد لم يطلب منى شيئا بل فاجأ هيئة البحث بالتقرير النهائى مكتوبا وشجعته ادارة المركز بأن اجزلت له العطاء مكافأة له ، وكانت تعلم علم اليقين بأنه قد استغرقت مدة أشرافه على البحث أقل من عام واحد ، وكانت مدة اشرافى عليه أكثر من ثلاثة أعوام .

وفعل نفس الشيء أو ربما أسوأ منه زميل آخر . فقد كنت المشرف على أحد البحوث ولم أغادر القاهرة الى الخارج أو الى المصيف فى فترة الاجازات السنوية . وحضرت كل اجتماع عقد لهذا البحث ، ووضعت خطة كتابة تقريره النهائى ، وعندما كتبه الزميل فى ضوء هذه الخطة أشرفت على نسخه بعد تصحيحه لغويا وهجائيا . ثم كتبت كمشرف على البحث التقديم وذكرت الجهود الذى بذلها الزميلات والزملاء ومنهم الزميل المذكور فماذا حدث؟ اعتبر الزميل ، على الرغم من أنه كتب التقرير تحت اشرافى الدقيق المستمر منذ اللحظة الأولى حتى طبعه ، ان البحث بحثه وأنه قام به وحده . لم ير الا ذاته ونسى جهود الآخرين . ولم ألق بالا بكل مافعل لان احدى الزميلات فى اليوبيل الفضى للمركز (شهر مارس عام ١٩٨٢) كانت عندها الامانة العلمية لتعطى كل ذى حقه . ومن حسن حظ مهنة البحث العلمى الاجتماعى أن ترك الزميل (السابق) المركز ليعمل بالجامعة وبقيت الزميلة ترحب بها مهنة البحث العلمى وتهنئها وترجو لها التوفيق والسداد .

وليعذرنى القارىء الكريم اذ أضطر الى أن أتذكر أبناء « مؤسسة الزفاف الملكى » أو أبناء « معسكر كوم امبو » كنت قد عملت معهم وبهم ولهم فترة حوالى خمسة أعوام (مايو عام ١٩٣٩ - ديسمبر عام ١٩٤٣) فقط . وكانت هذه الفترة حاسمة فى حياتى . لم أكن أملك عطاء لهم سوى الحب والاحترام . تماما كما كنت لا أملك عطاء لزميلاتى وزملائى أعضاء « المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية » الذى كان « المعهد للبحوث الجنائية » سوى الحب والاحترام . ولكن شتان مابين ردود فعل الفريقين أو معظم أعضاء الفريقين . كانت قيمة الوفاء بارزة بروزا واضحا عند الفريق الاول

اقصد فريق أبناء المؤسسة والمعسكر اذا مررت فى أحد الشوارع اجد من يجرى ورائى وهو يلهث لكى يتفضل على بالتحية . واذا كنت أجلس فى مقهى أجد « الساقى » يطلب منى أن أختار « مشروبا » على حساب أحد الجالسين الذى يلبس « البذلة العسكرية » التى تدل على أنه ضابط فى الجيش المصرى وعندما أراه أتذكر ملامح وجهه وان كنت قد نسيت اسمه فنتقابل ويذكر لى اسمه بصوت خافت فاذا بذاكرتى ترجع الى الوراء سنينا طوالا وأراه فى مواقفه العديدة التى كان عليها فى المؤسسة أو فى معسكر كوم امبو . وتجد الواحد من هؤلاء يزورنى فى منزلى فى الاعياد وأعيش معه حياته التى يعيشها . وقد يصحب آخر فى زيارته لى معه ابنا له أو ابنة أو زوجة أو صديقا ، وتجد آخر يتذكر يوم عيد ميلادى فيرسل لى مجرد « كارت معايدة » يكتب فيه كلمات كريمة صادقة وان كانت تبدو ساذجة ، على عكس من يرسل من بعض أبناء المركز « كرتات معايدة » سطورها تلمع بعبارات يطل من بينها الزيف والبهتان .

وأقصد بمفهوم « الوفاء » النفور من الغدر والبعد كل من أن تداس الفضائل فى سبيل المنفعة العاجلة . أى صفاء النفس والمعاملة بالجميل ، ومن ثم لاتنطوى دخائل الناس على هذه النيات المغشوشة .

كان ابناء المؤسسة ومعسكر كوم امبو من أبناء مصر المحرومين . وكان بعضهم من الذين ارتكبوا صورا من الجرائم التى ينص عليها قانون العقوبات المصرى . على عكس أبناء المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، فقد كانوا من المؤهلين الذين يحاولون ، ان كانوا صادقين ، أن يواجهوا محاولة القضاء على وجود هؤلاء وتنقية المجتمع المصرى منهم . ولكن هذه هى الحياة بحلوها ومرها وبمن فيها من أخيار ومن أشرار .

وقد علمت منذ فترة أن أحد زملائى العلميين من المستوى الاعلى قد أرسل الى جهات الأمن المسئولة المذكرة تلو المذكرة يتقول علىّ فيها الاقاويل وكان منها ان اعضاء المركز العلميين من المستوى الاقل

يلتفون حولى . واننى احاول أن استقطبهم وأنفث فى صدورهم الافكار المستوردة التى تناهض الحكومة فى ذلك الحين . وكان يستشهد على ذلك بأن أحد أقربائى كان مسجونا سياسيا ، وأننى كنت أستقبل الصحفيين من أصحاب الشبهات وغير ذلك من الاقاويل التى لم تستند الا على الحقد أو على الوهم والزيف . ودهشت كثيرا لسلوك هذا الرجل عندما علمت عن سيل المذكرات التى كان يرسلها الى جهات الأمن المسئولة وتذكرت ماكان يحدث بيننا من مناقشات . كنت أقول لهذا الزميل اذا اختلف معى على رأى ما أو اختلف مع غيرى على وجهة نظر معينة : ان من حق كل انسان ان يختلف مع الآخرين ، وان المركز قد علمنا قبل ان تعين ادارته أحد خبرائه أن نختلف ، ولكن العبرة ان يكون اختلافنا فى الدرجة وليس فى النوع . وكنت اتمسك بهذا الرأى . أما صاحبنا فقد كانت تأخذه العزة بالاثم ، ومن ثم لم يرعو عن ارسال المذكرة تلو المذكرة ضدى دون ذنب اقترفته أو جريمة ارتكبتها . ومن العجيب وليس هذا عجيبا ان هذا الزميل اذا بحثت عنه فى « المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية » اليوم لن تجد له أثرا . فقد كان لايرى أحدا فى المرآة ، كما يقال الا نفسه ، وكانت « مهنة » البحث العلمى الاجتماعى فى غنى عنه وعن من يقتفون أثره .

وانا اكرر أننى لم اكن ملاكا ولا أنا الآن ملاك ولن اكون . ولكنى أذكر بعض المواقف التى واجهتها وبعض أنماط السلوك التى صدرت عن الآخرين من الزميلات والزملاء ولن استمر فى تعدادهم ابدا فالمواقف عديدة وأنماط السلوك الشائنة كانت انماطا عديدة أيضا . ولعل لهم من ملاحظات على أنماط فى ضوء بعض المواقف أو الكثير من المواقف .

فكل له غرض يسعى ليدركه ..

والحر يجعل ادراك المعالى له غرضا

لعل هؤلاء الزميلات والزملاء أن يكونوا قد عرفوا عنى بعض ما أعرفه عن نفسى أو ربما كله . أى انهم كانوا قد عرفوا عن طفولتى وعن

أيام شبابى . ولعل ضباط المباحث الذين كانوا يعملون معنا بالمركز نقلوا اليهم أو الى بعضهم عن أقاربى البسطاء . عندما كان هؤلاء الضباط يتحرون عنى توطئة للعمل بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية الذى كان « المعهد القومى للبحوث الجنائية » كان من هؤلاء الاقارب البسطاء . البقال وبائع الخردوات والشباشبى والحلاق والفطاطرى والمنجد ، وكان منهم الفران وخادم المسجد والعامل اليدوى . وقد ضمت عائلتى بالاضافة الى هؤلاء اربعة مدرسين منهم سيدة ، وقد مات منهم اثنان والاخير احيل على المعاش ، وكانوا كلهم من مدرسى المرحلة الاولية . وفى كنف هؤلاء عشت طفولتى وشبابى . واذا كانت لى طفولة فاننى لم أحظ بالعيش السعيد فى مرحلة الشباب . كانت مرحلة معاناة حقا ، وجدت فى خلالها ، بعد ذلك ، نفسى وحدى أواجه الحياة بحلوها ومرها وتواجهنى الحياة بحولها ومرها . وعلى الرغم من أننى ثرت على حياتى الماضية ثورة عارمة ، فاننى ، كما يبدو ، مازلت فى ثورة عارمة فى حياتى بعد ذلك . كانت ثورتى على حياتى الماضية تعنى ثورة على الاوضاع الثقافية والاجتماعية والاقتصادية جميعا . كانت ثورة شخص واحد ضد طبقة بأسرها بمفاهيمها وقيمها وتقاليدها وعاداتها ومثلها العليا فضلا عن مستواها الاقتصادى جميعا . كنت وحدى أحارب فى جبهات عديدة . وعندما بدا لى اننى انتصرت لاحظت بحق اننى مازلت أحارب ومازلت أعانى رأنا اكافح الطبقة التى وضعت نفسى أو وضعنى المجتمع فيها فى الفترة التى وجدت نفسى بين زميلاتى وزملائى بالمركز ، الطبقة الاعلى - وكنت أحس بالقلق الى درجة الضياع أو شبه الضياع أحيانا . وحاولت جاهدا أن أعرف عوامل ذلك . وبدا لى أن رائحة شخصيتى وطعمها واهدافها هى على الرغم من كل شىء لاتزال رائحة شخصيتى وطعمها واهدافها التى كونتها الطبقة الاولى ، وانها بلا تحفظ وباستمرار تشى بى فى كل المواقف التى اواجهها مع أعضاء الطبقة الثانية . هؤلاء الاعضاء الذين كان معظمهم من « البرجوازيين » الذين لايرون الا مقدراتهم ومستقبلهم وسلطانهم الا من اكرمهم الله فاحاطهم بان اعظم شىء فى هذه الحياة هو اعظم مفاخرها . أى هو الانتماء للانسان

والمعاناة من أجله لكي ينتصر على نفسه ومن ثم يدخل هذه الحياة فى طاعته ، وذلك بازاحة ترهاتها وعقباتها من سبيله .

ومهما يكن من الامر فان التعميم هنا ليس من حقى . فعندما بلغت سن الستين فى خلال شهر فبراير عام ١٩٧٣ . واجهت موقفا صعبا . لم يكن هذا الموقف الصعب هو بلوغى سن المعاش وحده ، انما كان لاننى لم اجد موضوعا للبحث يضمه كتابى المقبل أيضا . ان الموضوعات عندى كانت عديدة عديدة . ولكن المشكلة كانت فى اختيار الموضوع الذى أتحمس له وأسعد بالغناء فى الكتابة عنه . ان موضوعاتى المفضلة كلها أو يجب أن تكون كلها عن مصرنا الخالدة : عن تراثها ، عن ثقافاتها ، عن اتجاهات ابنائها ، عن بعض مشاكلها . وانا عندى من هذه الموضوعات الكثير . ولكن يبدو أننى لم اكن أتحمس لأى منها . وكنت أقول لنفسى وتقول نفسى لى . لماذا لا أتحمس يارب ؟ لم اكن أدرى . ولكن سرعان ماسرى الحماس فى كل ذرة من ذرات كيانى عندما سلمنى الاخ الزميل الاستاذ الدكتور محمد الجوهرى كتابا ألفه مع الزميلة زوجته الاستاذة الدكتورة علياء شكرى والزميل الاستاذ الدكتور السيد محمد الحسينى والزميل الاستاذ الدكتور المغفور له محمد على محمد وموضوعه « دراسات فى التنمية الاجتماعية » وقد أهدوه الى بمناسبة بلوغى سن الستين راجين ان يبارك الله فى عمرى ... الخ . ولم يكن واحد منهم يعمل بالمركز فى ذلك الحين . كانت سعادتى بهذه اللفتة الكريمة لاتقدر وقد طبع هذا الكتاب مرات ومازال يحتفظ بالاهتداء .

وقد زاد من حماسى أن بادر الاستاذ الدكتور احمد محمد خليفة وكان فى ذلك الحين رئيس مجلس ادارة المركز باصدار قرارا بالاحتفاظ بى فى المركز لمدة محدودة تجددت مع مر الايام حتى يوم ١٧ من شهر فبراير عام ١٩٨٨ .

وكان يزورنى الاستاذ الدكتور الرئيس أحيانا فى مكتبى ، وعندئذ كنت أجد الكثير من اعضاء المركز يهتمون بطلباتى المحدودة اهتماما

اكبر ، وكان يحاول بعض العاملين أن يغالوا فى احترامى . ويستمر ذلك أياما معدودات ثم تعود الحال على ماكانت عليه. أى الى أن الاهتمام يقل والمغالاة تخفت وتنعدم . ولن أنسى أبدا يوم ان حضر « اللواء محمد النبوى » الى المركز فى احدى المناسبات وكان فى ذلك الحين يشغل منصب « نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير وزارة الداخلية » ويبدو أن الحنان الى الماضى (كان أحد زملاء الشرطة الذين كانوا يعملون بالمركز بعض الوقت فى الفترة الاولى من انشاء المعهد القومى للبحوث الجنائية الذى اصبح المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية) دفعه الى أن يزورنى فى مكتبى . وكانت هذه الزيارة مفاجأة لى لم أكن أتوقعها وبخاصة عندما عانقنى وعانقته على مرأى من بعض العاملين بالمركز . كان اللواء النبوى فى ذلك الحين فى أوج سلطانه واذ يأتى لزيارتى ويعانقنى أمام الآخرين يسر لى ذلك المعاملة الحسنة لمدة تزيد على عشرة ايام . وانا اقصد بالمعاملة الحسنة المغالاة فى الاهتمام باجابة طلباتى المحدودة او المغالاة فى القيام بالطقوس الشكلية المتعلقة باحترامى . وكنت اضحك فى سرى . ولم اكن أهتم أبدا بهذه الالوان من النفاق . فقد عشت فى قاع الحياة المصرية كما عشت فى قمتها . وأصبحت فى ضوء ما لاقيت من صروف هذه الحياة ، حلوها ومرها ، لا أبالى بكل ماهو زيف أو بكل لون من ألوان النفاق .

وانى لهؤلاء الزميلات والزملاء أن يعلموا عن ذلك شيئا وهم لم يعرفوا رجلا مثل « عم ابراهيم » الذى كان يلقبه أهل « الحتة » التى كنت أعيش فيها طفولتى بلقب « أبو فانوس مطفى » وذلك لان عم ابراهيم كان قد فقد احدى عينيه واصبحت له عينان واحدة عادية سليمة والثانية من زجاج . كان هذا الرجل من أصدقائى . واننى أذكر أننى عندما سألته عن سنه فى خلال صحبتى له فى الاربعينيات . فاجأنى بقوله انه من « السواقط » ولكنه ولد فى عام ١٩٠٢ . وكنت اهتم بسؤاله عن احواله واتجاهاته وعن حياته وتفاصيلها ان تيسر ذلك . كان يقول لى « انا ماقلتشى لمراتى على سر أبدا . النسوان مالهمش أمان . أنا دارسهم وعارف صنفهم . مش مراتى اللى معاى ؟

ومخلفة منى خمسة . لكن أنا لا آمن لها أبدا ... أمى اللى ولدتنى لا أمن لها .... ثم يستطرد ناصحا : « عينك وعافيتك والقرش اللى فى جيبك هم اللى يخلوا اللى يسوى يسوى . ربنا يكفينا شر قلتهم ... لا مرة ولا عيل ولا حدن تخلق ينفعك .. عينك وعافيتك والقرش اللى فى جيبك .. هم بس » واذكر اننى سألته عن أصدقائه أو أعدائه اقصد الذين لايريدون صحبته فقال لى صائحا انه ليس له اصدقاء وانه لم يدخل فى بيته احد من رجال أو نساء « الحتة » ثم اذا به يزمجر قائلا : « هم دول ناس .. دول بهايم .. طور الله فى برسيمه .. دى المرة هنا بتضرب الراجل على قفاه . اخص على دى حته وعلىّ دول ناس » .. وعندما اعترضت على هذه الاوصاف . قاطعنى بانفعال وهو يقول : « دول ناس ماعندهمش تربية .. أنا متربى فى بيوت باشاوات وبهوات وأفهم الاصول وأعرف الذوق ... صحيح انا معرفش لا أقرأ ولا أكتب ولا أكتب ولكن التربية والذوق حاجة ثانية » . وعندما سألته عن الظروف التى أوجدته فى بيوت البشوات والبهوات .. تخاذل قليلا وقال وكأنه يعتذر : « شقاوة .. أصلها شقاوة .. أصل أنا يتيم واللى ربانى أخويا الكبير .. ولما زعلت من آخويا وكنت لسه شباب غاوونى اصحاب ونزلت معاهم اشتغل طباخ » . وعندما سألته لماذا يناديك بعض الناس ب « ابراهيم افندى » وليس ب « الاسطى ابراهيم » فاننى اذكر ان وجهه قد ملأه الاحمرار وفجأة سال العرق من جبينه ، ولعل حلقه قد جف فقد رأيته يبلع لعابه ثم أجاب وكأنه غاضب : ـ « والافندى أحسن منى فى ايه ؟ هو راجل وانا راجل .. لكنه بيلبس بدلة يعنى ؟ ما انا راخر بلبس جاكته على الجلبية وفى رجلى جوز جزمة معتبر .. والنبى ومن نبى النبى نبى أنا لو أنى ماعرفش أقرأ ولا أكتب لكن عندى مفهومية اكثر من مليون افندى .. أصل حظى وحش وتربيت يتيم ... »

وقد عرف اهل « الحتة » اتجاه عم ابراهيم ورأيه فيهم فلم يرحموه . نبذوه كما نبذهم ، وعزلوه خارج نطاقهم . لم يجدوا فى عمله مطعنا فهو عامل مثلهم ، ولا فى بيته شائبة فزوجته واولاده منهم ولهم . وبحثوا

واهتدوا الى جسمه ووجدوا غايتهم . واصبح عم ابراهيم عند اهل الحتة كبارهم وصغارهم « أبو فانوس مطفى » وقد تحاشى ان يسمع هذا اللقب اللعين ما امكنه ذلك ، فقد كان سماعه يثير سخطه وحقده ويهز أعصابه ويثيرها . لم يفكر فى الانتقال الى حى أخر ، لان التفكير .. مجرد التفكير فى هذا الموضوع كان غير ذى موضوع . فهو يسكن أقصد أسرته فى شقة من حجرتين و « فسحه » ايجار قديم ، وايراده منذ عشرين سنة مازال « على قده » وكان عم ابراهيم يقول وكأنه يعزى نفسه : « طول عمرنا عايشين فى الحتة .. دى مسقط راسنا وراس اللى خلفونا » أو يقول « مانساش مدد الشيخ عبدالله .. شى الله ياسيدى » أو يقول « مادمنا فى حالنا محدش يدوس لنا على طرف » ومع كل الحيطة التى اتخذها عم ابراهيم فانه لم يسلم احيانا من التجريح والمواقف الحرجة . فقد كان يجلس مع « شلة » من صغار الموظفين الذين يسكنون فى الحى المجاور ، كان يتحدث معهم فى السياسة وفى الدين وفى تربية الابناء واحيانا كان الحديث يدور حول الزراعة وبعض الامور الاقتصادية ! وكان يفخر ويزهو ويظن انه سعيد لان قبول هذه « الشلة » جلوسه معهم له دلالة محببة الى نفسه . لقد صار واحدا منهم ، اى انه قد ارتفع درجة على ابناء طبقته الذين ولد بينهم ونشأ فيهم ويعيش معهم . وفجأة تحدث الطامة ! فقد يسأله أحدهم عما اذا كان قد تخرج فى الجامعة . وتجده لايستطيع الاجابة ثم ينسحب من جلتهم ويذهب ولايعود . لقد سقط من حالق وأن له أن يعيش فترة أخرى ، قد تطول أو تقصر ، على هامش الحياة . وفى احدى فترات الإنتخابات سألته من ستنتخب ياعم ابراهيم ؟ فرد على بحزم قائلا : حانتخب الفقير اللى زيى .. أو الرجل اللى يفهم فقرى ويقدره .. وعندما سأله احدهم عما اذا كان مايقال انه اول من اسرع الى الذهاب ليطلب « الاسعاف » تليفونيا عندما وجدوا أحد الاطفال يصرخ باكيا لأن « عقربا لدغته » رد عم ابراهيم بالايجاب قائلا وهو راض عن نفسه فى زهو : « صحيح ولاد الحتة مش سايبنى فى حالى بس الضفر مايطلعشى من اللحم وهم برضه ولاد حتتى » ثم زمجر وهو يقول : « جاتهم الهم .. وهو انا لم ضربت التليفون للاسعاف ضربته

علشان خاطرهم .. أبدا .. أصل الواد ابننا برضه وامه ستهم بنتنا وفجأة مات « ابو فانوس مطفى » وترك أرملة وصغارا ضعافا . وحرص جميع أهل الحى من النساء والرجال والشباب والاطفال أن يشيعو جنازته . وكنت تسمع الهمسات وبعض الاصوات الخافتة تقول :

« كان غلبان .. طول عمره شقيان زى حالتنا »
و « لا مش متكبر .. بس كان مخه وسخ »
و « ماتجوزشى عليه الا الرحمة » !

وعم ابراهيم كان واحدا من مئات من الذين عرفتهم وصادقتهم وعشت فى ظل مناخهم الثقافى الاجتماعى للمجتمع المحلى الذى كانوا ، وكنت معهم ، يعيشون فيه . وقد تركت صحبة هؤلاء والظروف التى واجهوها بصمات ما فى ذلك من شك على شخصيتى . وفى الواقع اننى كنت أعيش بين شقى رحى . فقد عرفت من المصريين الذين وهبوا حياتهم تقربا لمصرنا الخالدة عن وعى الكثيرين أيضا . كانوا يرون أن الفداء لمصر لكى تعيش الحياة الكريمة فريضة . وكان منهم من أعرفهم شخصيا وتعاملت معهم عن قرب . وكان منهم من عرفتهم عن طريق مادفعوا من ثمن غال فى سبيل الحفاظ على مبادئهم . وكان من الأخيرين العزيز الشهيد « زكى مراد » عرفته شخصيا بعد ان قضى فى ظلام السجون والمعتقلات احدى عشرة سنة . وكان ذلك فى ظل ثورة يوليو واثناء حكم جمال عبدالناصر .

فقد حكم على زكى مراد فى عام ١٩٥٣ بالسجن ثمانى سنوات . وبعد أن أنهى مدة عقوبته فى عام ١٩٦١ أبى أن يكتب مايفيد تراجعه عن المبادىء التى دخل من أجلها السجن . ثم اعيد عنوة فى ظل قانون الطوارىء الى غياهب السجن وظلماته لمدة ثلاث سنوات أخرى . وبعد إن خرج من المعتقل فى عام ١٩٦٤ قابلته وجها لوجه . كان انسانا تشع من عينيه الطيبة والاصرار والمحبة والفكر الحر جميعا . كان مرحا . وكنت أراه بعد ذلك مرحا دائما . ويؤكد ذلك ماكتبه عنه الاستاذ

« مصطفى طيبة » فى كتابه « رسائل سجين سياسى الى حبيبته » (الجزء الاول عام ١٩٧٨) وذلك عندما نقل الشهيد زكى مع زملائه الى سجن « جناح » بالواحات الخارجة . واذ يحتفل « النزلاء » السياسيين بفك القيود الحديدية التى كانت تضغط على عظام اجسادهم الواهنة فى اثناء الرحلة بالقطار وهم « مرحلون » الى سجن الواحات الخارجة ، تجد ان اهم عناصر الاحتفال كان الغناء . وكان كل واحد يغنى الاغنية التى يعرفها ويردد الآخرون من ورائه . ويكتب الاستاذ مصطفى طيبة :

« ويرتفع صوت المرحوم « خليل قاسم » بأغنية نوبيه يرقص عليها هو « وزكى مراد » لوحة راقصة نوبية لم تشهدها من قبل وتشد انظارنا واسماعنا . نصفق بأيدينا ونردد كلمات اغنية لانفهم معناها ولكن يطربنا ايقاعها .. » ..

وقد سجن زكى مراد واعتقل على الرغم من انه عندما قامت الثورة فى يوم ٢٣ من شهر يوليو عام ١٩٥٢ كان هو وزملاؤه من أوائل من أعلنوا تأييدهم ومساندتهم لها .. ودافعوا عنها ضد أعدائها الذين تربصوا بها . لكن الشهيد زكى عارض وزملاؤه الاجراءات المعادية للديمقراطية من الغاء للأحزاب واعتقال القوى الوطنية والتقدمية باسم مكافحة الشيوعية واعدام « خميس والبقرى » العاملين المناضلين فى كفر الدوار ، وذلك رغم تأييدهم كل الاجراءات التقدمية التى اتخذتها ثورة ٢٣ يوليو مثل طرد الملك وقانون الاصلاح الزراعى والغاء الالقاب ...... الخ وقد حدد الشهيد زكى مراد فى بعض كتاباته فى الخمسينيات أن ثورة يوليو هى حلقة من حلقات الثورة الوطنية الديمقراطية وأنه لانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية لابد وان تنعطف الثورة اكثر فاكثر نحو الدفاع عن مصالح الجماهير العاملة ، وان تلعب هذه الجماهير وعلى رأسها الطبقة العاملة الدور الحاسم والقيادى فى تحديد المسار الثورى والرقابة على التطبيق ومتابعته . (انظر : التقديم بقلم « محمد الجندى » لكتاب « ثورة يوليو : قضايا فكرية » لمؤلفه زكى مراد عام ١٩٨٢)

ولم يكن الشهيد زكى مراد يتكلم فقط لكى يبدو أمام المستمعين مفكرا وقائدا ثقافيا فقط ، ولكنه كان يعمل بما كان يقول به ويدعو اليه . انظر اليه وهو فى السجن عندما وقع الاعتداء الثلاثى فى يوم ٢٩ من شهر اكتوبر عام ١٩٥٦ إذ يقول الاستاذ مصطفى طيبة فى كتابه المذكور آنفا :

وتصل اخبار حمل الشعب للسلاح فى مدن القناة وفى القاهرة ليقاوم الغزاة . دماؤنا تغلى ، وأعصابنا لم تعد تحتمل . هذه أرضنا ونحن أخلص ابناءها أيدينا التى يكبلها الحكام يجب أن تحمل السلاح مع الشعب فى وجه المعتدين الغزاة . وأصحب زكى مراد فى صباح اليوم التالى للعدوان على بلادنا ونذهب الى المأمور ، فى الطريق الى مكتبه نتفق على كل شىء دون أى مقدمات يقول زكى مراد :

- نرجو ان تبلغ القاهرة مايأتى : اذا لم يصدر قرار الافراج عنا فى ظرف ٤٨ ساعة من الآن فعليهم أن يتحملوا مسئولية مايحدث هنا .

ويلاحظ المأمور الانفعالات على وجهنا فيقول بصوت ودود :

- ياجماعة اصبروا .. الحكومة عارفه موقفكم الوطنى العظيم ..

واقول بغضب ..

- لم يعد شرف معرفتها لموقفنا له أى أهمية ..

ويحاول المأمور تلطيف الموقف :

- ده برضه يساعدنى فى مسألة الافراج .. لا أحد يملك منع مواطن من شرف الدفاع عن أرضه .. انتو عارفين - الرئيس مشغول فى المعركة .

- ونحن .. ألسنا جزءا من هذه المعركة ؟

- يعنى .. المسألة تحتاج لبعض الاجراءات .

ويقول زكى مراد بغضب :

- اجراءات ايه ؟ دى كلمة يقولها .....

واكمل ..

- ولابد ان يقولها ... والا ....

ويقول المأمور ..

- طيب ادونى فرصة كافية ..

ونقول بحسم :

- ٤٨ ساعة من الآن ... ليس اكثر .

- وانا فى ايدى ايه ؟

- فى ايدك ان تتصل باللاسلكى بالقاهرة .. الآن

- سأفعل .

- واذا مضت ٤٨ ساعة ولم نخرج من السجن فسيكون هناك تصرف آخر .

- زى إيه مثلا ؟

ويقول زكى مراد :

- سننتظم جميعا أمام بوابة السجن ونطلب من سيادتك السماح لنا بالخروج والذهاب الى القاهرة لحمل السلاح ضد الغزاة والمستعمرين .

ويقاطعه المأمور :

- وأنت عارف أننى لا أملك هذا ..

- طبعا نعرف هذا ..

- اذن ما الذى تنتظره منى ؟

وأرد عليه :

- أن تقوم بتنفيذ ما يمليه عليك واجبك .

ويسأل المأمور :

- واجبى الوظيفى .. أو الوطنى ؟
- نتمنى أن يكون الواجب الوطنى ..
- وأكل عيشى ؟
- هذه ظروف استثنائية ..
- لكننى موظف أولا ..
- فى مثل هذه الظروف أنت وطنى أولا ..
- ونلمح الدموع تتجمع فى عيون الرجل الوطنى .
- لا أستطيع ألا أنحنى احتراما لكم .. لكن أرجو أن تقدروا موقفى .
ويقول زكى مراد :
- نحن نقدر موقفك تماما حتى لو تغلب واجبك الوظيفى على الواجب الوطنى .
- وهل تعرفون نتائج القيام بواجب الوظيفة ؟
واقول :
- نعرفه جيدا .. ستطلقون علينا الرصاص عند خروجنا من السجن ..
- وهل أنتم مستعدون لذلك ؟
ويرد زكى بحسم :
- كل الاستعداد .
وترتسم علامات الدهشة ممزوجة بالاعجاب والتقدير على وجه المأمور .
- سيسقط منكم ضحايا .. والباقى لن يخرج ..
- لا سنخرج جميعا من بوابة السجن .. أحياء أو أمواتا .
ويتساءل المأمور :
- وما الذى تجنونه من وراء ذلك ؟
واقول ساخرا :
- حتى تصل المأساة الى ذروتها .
لحظة صمت تمر كأنها دهر ، نلاحظ خلالها وجه المأمور يجسد مافى داخله .
هؤلاء الناس اذا قالوا شيئا فعلوه .. خروجهم من باب السجن ليس

له سوى معنى واحد . هو محاولة الهروب . والقانون صارم ، اطلاق الرصاص على المسجون الذى يحاول الهروب . هؤلاء أول مسجونين يعلنون عن عزمهم على الهروب ويحددون له موعدا . وهم لايهربون من اجل ارتكاب جرائم وانما كى يموتوا فى ساحة الشرف .. عجبا لهم من بشر .. يهربون للموت وليس للحياة .

وفجأة يسأل المأمور :

- هل أنتم مستعدون لتسجيل موقفكم هذا والتوقيع عليه ؟

ونقول فى نفس واحد :

- وفورا .

ويتناول زكى مراد الورقة - والقلم من المأمور ويسجل عليها مطلبنا . الأفراج عنا كى نموت فى ساحة القتال برصاص الغزاة خلال ٤٨ ساعة أو أستمرار سجننا والموت برصاص الحكومة الوطنية على باب السجن . ويوقع وأوقع بعده .

- واضح أن الحكاية جد خالص .
- عهدك بنا لانقول إلا الجد .
- اذاً اعطونى فرصة للتصرف .
- نرجو أن يكون بسرعة .
- سأذهب فورا الى المحافظ وأطلعه على مادار بيننا وعلى هذه الوثيقة . وأطلب منه أن يبلغ رئاسة الجمهورية بمضمونها . .
- نأمل أن نعرف النتيجة على وجه السرعة .

ويقول ضاحكا :

- ربما يحتاج الأمر إطالة الانذار ٢٤ ساعة .

ويقول زكى مراد بحماس شديد :

- ولا ساعة واحدة ..

وأكمل :

- وهو ليس إنذاراً ..
- ماهو إذن ؟
- هو موقف .. والانسان موقف ..

يضمنى زكى مراد بحب ويقول :

- عنوان محاضرة نسمعها اليوم منك .
- ومطلع قصيدة تنشدها لنا اليوم أيضا ..

والشهيد زكى كان متعدد المواهب ، لم يكن فقط المناضل الواعى صاحب الفكر الحر ، ولم يكن أيضا الانسان الطيب المحب المرح . ولم يكن ذلك محبا للفن بصوره العديدة ، بل كان فوق ذلك أو مع كل ذلك شاعرا .

وخطف من بيننا الشهيد زكى فجأة . كان ذاهبا لأداء واجباته التى تعددت وبخاصة بعد أن مات جمال عبد الناصر . كانت وفاة الشهيد زكى على الطريق .. أصيب فى حادثة لم يعلم من أرتكبها حتى الآن ، أقصد وقت كتابة هذه السطور .. وأفتقدنا الشهيد زكى .. لما قرأت فى الصحف نعيه لم تبك عيناى ولكن قلبى كان الباكى . ولم أملك إلا أن أصمت صمت من فى القبور .. وقلت لنفسى وأنا صامت وكنت صادقا معها :

"إن العزيز زكى يعيش فى قلوب الملايين وفى عقولهم ابد الدهور" .

١٢ - الهيئات العلمية ودورها في إعداد المواطن الصالح

كان "**مفهوم العلم**" منذ عهد غير بعيد جزءا من الشعار الذى رفعته الدولة فى جمهورية مصر العربية ، ويبدو أنها لاتزال ترفعه ، ألا وهو شعار "**العلم والايمان**" . والاهتمام بهذا المفهوم بمعنى أنه "الخبرات الانسامية المنتظمة" ، مرجعه الى أننا نوجد فى عصر أصبح فيه العلم **وسيلة مباشرة** من وسائل الانتاج . أى أنه أصبح **يتغلغل** فى كل أمور الحياة : حياة الانسان فى عصرنا الراهن .

ومن حق هذا العلم فى هذا الضوء أن ينفرد بالحكم فى شئون الفكر ، ومجتمعنا المصرى كمجتمع "متميز" يحتاج الى العلم العصرى حاجته الى الحياة . ويجب أن لايقف فى سبيل تحقيق ذلك محاولة **تزييف** معنى مفهوم العلم ، أو المقارنة بين العلوم المادية والعلوم الانسانية ، أو محاولة تزييف نتائج العلم فى بعض المجتمعات .

فالمعروف إنه ليس كل متعلم عالما ، وأن كان العالم يكون بالضرورة متعلما . فالعلم خبرات انسانية ولكنها خبرات انسانية **منتظمة** يحصل عليها العالم عن طريق منهج معين هو **المنهج العلمى** . ومعلومات المتعلم هى خبرات انسانية **أيضا** ، قد تكون خبرات منتظمة أو خبرات غير منتظمة يحصل عليها المتعلم بالتلقين والحفظ **أحيانا" أو بالممارسة أحيانا أخرى** . وشتان ما بين **عالم الذرة وعالم الدين** : عالم **الأزهر** الشريف مثلا .

والمنهج العلمى ، على عكس الحفظ والتلقين ، يواجه ظواهر الطبيعة أو ظواهر المجتمع مواجهة **موضوعية** وهو إذ يفعل ذلك يكون دائما مهتديا **بالشعار** القائل "لاشىء يأتى من لاشىء" . وهو يحاول دائما أن يكون منهجا لفهم الحياة **بقصد بغييرها** . ويسعى دائما الى الاجابة عن السؤالين : كيف ؟ ولماذا ؟ أى التعرف **على العوامل** التى تكون من وراء وجود هذه الظواهر وعلى القوانين التى تحكمها ، مع ملاحظة أنه كمنهج لايبحث **أبدا** ولا يهمه أن يبحث **أبدا** عن الاجابة عن السؤال لماذا ؟ **على وجه الاطلاق** . بل هو فى بساطة يدرس الظواهر المادية والانسانية دراسة واقعية ، أى يقوم بدراسة العلاقات بين الاشياء وقوانين حركتها الداخلية ، فى ضوء الطبيعة والمجتمع ، وليس فى ضوء المبادىء المنطقية والعمليات العقلية **فحسب** .

والملاحظ أن "البحث العلمى" بمعناه الحديث ، وبخاصة فى ميادين العلوم الاجتماعية ومجالاتها فى مصر حتى أوائل القرن الحالى كان مقصورا على العلماء **الاجانب** ، فقد أهتم هؤلاء العلماء بدراسة المجتمع المصرى دراسة موضوعية **لعوامل سياسية** فى معظم الاحوال . وذلك بقصد فهم هذا المجتمع للاستفادة من إمكاناته ولاستغلال أبنائه .

ولعل المبعوثين المصريين الأوائل قد عرفوا الكثير عن المجتمع المصرى فى أثناء دراساتهم فى أوروبا ثم فى أمريكا (الولايات الأميريكية المتحدة) من بحوث ودراسات قام بها علماء أجانب أو من كتب تضم هذه البحوث والدراسات .

والملاحظ أيضا أن أهتمام المفكرين المصريين فى تلك الأونة قد أقتصر على الدراسات **النظرية** الدينية والفلسفية والادبية فى معظم الاحوال . ولم يتغير هذا الاهتمام إلا بعد الحرب العالمية الأولى حين أنشئت الجامعة المصرية فى عام١٩٢٥ التى خلقت نمطا من المناخ الثقافى الاجتماعى أتاح لعدد قليل من المفكرين المصريين الاهتمام بالدراسات النظرية النفسية ثم بالدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية . وكان معظم الجهد المبذول فى هذا المجال هو **جهد**

ترجمة بعض الكتب التى تتضمن هذه الموضوعات الى اللغة العربية . وقد أنشىء فى كلية الآداب بالجامعة فى ذلك الحين قسم مستقل لتدريس علم الاجتماع الذى سار على نهج المدرسة الاجتماعية **الفرنسية** التى بدأها "أوجست كونت" فى النصف الأول من القرن التاسع عشر وأرسى قواعدها "أميل دوركايم" فى أواخر ذلك القرن وفى أوائل القرن الحالى . وقد أثرت هذه المدرسة فى طابع الدراسة فى هذا القسم .

ومنذ أنشاء الجامعة المصرية وحتى عام ١٩٣٦ لم يتغير اتجاه المفكرين المصريين نحو الدراسات **النظرية** لعلوم النفس والتربية والاجتماع والانثروبولوجيا الى الدراسات **الواقعية** الى تهدف الى دراسة المجتمع المصرى إلا قليلا فقد **شذ** عدد قليل منهم وأجروا بحوثا واقعية عن موضوعات تتعلق بهذه العلوم . منها دراسات اسماعيل القبانى فى علم التربية وعلم النفس ودراسات يعقوب فام فى علم التربية ، ودراسات مصطفى عامر عن بعض مشاكل السكان فى مصر ، ودراسات الأب عيروط اليسوعى عن الفلاحين المصريين التى نشرها بالفرنسية وترجمت الى اللغة العربية فى أوائل الأربعينيات .

ولم تبدأ الجهود **الجماعية** التى كرست للبحث العلمى الواقعى فى ميادين العلوم الاجتماعية ومجالاتها فى مصر الا بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، عندما أنشئت الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية "ولعل القلق الذى كان يستحوذ على قوى المجتمع الخلاقة ، ولعل وطأة الحاجة الى ايجاد بعض الحلول فى سبيل مواجهة المشاكل الاجتماعية الصارخة فى ذلك الحين ، فضلا عن توقيع المعاهدة .. لعل كل ذلك قد أتاح الفرصة لبعض المفكرين المصريين لانشاء هذه الجمعية ، **وكان لسان حالهم** كان يقول : "إن قوى الشعب المصرى الخلاقة قد استنفذت كلها فى ميدان السياسة ، أما وقد حصلت البلاد على الاستقلال ! فقد آن الأوان أن توجه هذه القوى نحو القضاء على المشاكل الاجتماعية القائمة" .

واتجهت أهداف الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية نحو حل المشاكل الاجتماعية فى الريف وفى محيط العمال وفى محيط جناح الاحداث على هدى نتائج البحوث العلمية الواقعية فى هذه الميادين .. واستخدمت فى سبيل ذلك أنماطا كثيرة من البحوث سواء كانت بحوثا **طويلة** الأمد أو بحوثا **قصيرة** الأمد ومن هذه البحوث نجد البحوث **المسحية كبحث** "مشكلة الفقر فى مصر عام ١٩٣٨" ، ومنها بحوث العمل الاجتماعى **Social Action Research كبحث مشاكل الريف** فى عام ١٩٣٩ ، فضلا عن **بحوث دراسة الحالة كدراسة حالات الاحداث الجانحين** التى كانت تعرض على محكمة الاحداث بالقاهرة فى عام ١٩٤٠ . مع ملاحظة أن البحوث والدراسات التى أجريت فى ذلك الحين قد تم إجراؤها على هدى الاتجاهات الغربية التى كانت سائدة وأهمها الاتجاهات الوضعية التى قصد بها البرهنة على **أبدية** الرأسمالية وتبرير وجودها .

وكانت الدعوة الى الاصلاح الاجتماعى فى ذلك الحين دعوة ملحة ! على أن تكون الجهود نحو هذا الاصلاح الاجتماعى ، لكى تؤتى ثمارها ، مبنية على دراسات متعمقة ودقيقة للظروف الاجتماعية كما هى موجودة فى المجتمع المصرى . أى أن هدف أهداف البحوث والدراسات كان اصلاح المجتمع المصرى ولم يكن تيسير فهم واقعه لكى يمكن تغييره الى الأفضل .

وفى عام ١٩٥٥ **ولدت مهنة البحث العلمى** ، بمعناه الحديث فى ميادين العلوم الاجتماعية ومجالاتها فى مصر ، حين أنشىء "المعهد القومى للبحوث الجنائية" ولأول مرة فى تاريخ البلاد أتيح للمصريين أن يمارسوا هذه المهنة فى ميادين العلوم الجنائية : علوم القانون والاجتماع والنفس والعقاب والكيمياء والطبيعة والطب ، فضلا عن العلوم الشرطية . ولأول مرة فى تاريخ البلاد وجدت الهيئة العلمية القومية التى تلم شعث الجهود المتفرقة التى كانت تمارس البحث العلمى فى ميادين هذه العلوم ومجالاتها قبل ذلك . وقد تطور هذا المعهد وأصبح "المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية" منذ عام ١٩٥٩ حتى الآن .

وقد اهتم "المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية" بموضوعات عديدة وكان منها موضوع "الشباب المصرى وقضاياه من وجهة نظر المثقفين المصريين" . وفى احدى الندوات الخاصة بهذا الموضوع فى عام ١٩٨٠ ، تبين من الحوار أربع مسائل رئيسية المتعلقة بالموقف المنهجى لدراسة الشباب :

أولا : ضرورة أن لانبدأ من فراغ .

ثانيا : ضرورة التأكيد على المنطلقات والمواقف النظرية التى لها صلة بالبحث فى إطار الشباب (التصورات النظرية التى تشتق منها الفروض مثلا) .

ثالثا : ضرورة تواجد الشباب موضوع الدراسة كعنصر فى تخطيط الدراسة وتنفيذها .. (ليس من المعقول أن تتم دراسة عن الشباب يقوم بها الشيوخ فى غيبة من الشباب مثلا) .

رابعا : ضرورة التركيز على التناول الكلى الشامل ، (شمولية مادة الدراسة بمعنى أن لايحدث تحيز لأى فئة من فئات الشباب كالطلبة ، وانما يجب تركيز البحث على عينة ممثلة لكافة الفئات الشبابية مثلا) .

وأرجو أن يعلم القارىء الكريم أن مفهوم "المواطن الصالح" مفهوم متغير . فهو فى المجتمع الاقطاعى غيره فى المجتمع الرأسمالى . وهو فى المجتمع الأخير غير فى المجتمع الاشتراكى . أى أن شخصيات المواطن الصالح فى كل مجتمع من هذه المجتمعات **متباينة** . ومن ثم تكون **أدوار** شخصية المواطن الصالح التى تتوقعها منه هذه المجتمعات متباينة **كذلك** . أى أن نظرته نحو الحياة وعلاقاته الاجتماعية واتجاهاته وأسلوب تفكيره تختلف بالضرورة **حسب المجتمع** الذى يعيش فيه .

والهيئات العلمية من واجبها لا أن تبحث بحوثا واقعية أو نظرية على الشباب فى مجتمعاتها ولكن عليها أن تضع الأستراتيجية التى تيسر تنشئة مواطنيها لكى يكونوا مواطنين صالحين .

ولاجدال فى أن التخطيط العلمى **يسبق عادة** الاستراتيجية وأن

البحوث الواقعية ضرورة ما فى ذلك من شك للتخطيط العلمى **وتسبقه** . فالهيئات العلمية وقد أصبحت عديدة "المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية وأكاديمية العلوم ومعهد التخطيط والمجالس القومية المتخصصة مثلا" يجب **أن تتضافر** فى ضوء المسائل الرئيسية الأربع المتعلقة بالموقف المنهج لدراسة الشباب التى ذكرتها آنفا .

والملاحظ أن الاستراتيجية التى توضع لشباب مجتمعنا لابد أن **تأخذ** فى الاعتبار أن هذا المجتمع مجتمع نام . وأنه أيضا مجتمع نام **متميز** فى ضوء المراحل التاريخية التى مر بها . ومع ذلك فإننى أكرر أن توضع هذه الأستراتيجية فى هذا الضوء .

وأننى أرى وأرجو أن يتفضل القارىء الكريم أن يرى ما أرى أن وضع الاستراتيجية بالاسلوب الذى أقترحته فى الفقرة السابقة يجب أن تتحدد أهدافها وأن ترصد لها الأموال الكافية التى تحقق هذه الأهداف .

والمقصود بالاهداف هو تكوين مواطنين صالحين فى ضوء الظروف التى يعيش أعضاء المجتمع المصرى المعاصر فى ظلها . ويلاحظ أننا على مشارف القرن الواحد والعشرين وأن العلم العصرى يخطو بخطى واسعة وأن تطبيقاته (التكنولوجيا) تتقدم يوما بعد يوم ، وأننا أصبحنا نعيش فى ظل **حضارة عالمية** وأن الأرض التى يعيش عليها أصبحت كأنها **القرية الصغيرة** فهى تتقلص يوما بعد يوم بل ساعة بعد ساعة وذلك لانها تعيش فى عصر الالكترونيات التى أصبحت ذاكرة الانسان وتفكر له أيضا . أى أن عصر البخار والكهرباء والطاقة النووية قد عفى الزمان عليها أو كاد .

والمعلوم أنه لكى يتكون المواطن الصالح فى ضوء أهداف الأستراتيجية المقترحة ، يجب علينا أن نفيد من أجهزة التنشئة الاجتماعية التى توجد فى كل المجتمعات ومنها بالضرورة المجتمع المصرى .

وأقصد بهذه الاجهزة الأسرة والجيرة والمدرسة والمنظمة الدينية ومنظمة شغل أوقات الفراغ والمنظمة السياسية (أن وجدت) فضلا عن أجهزة الاعلام والثقافة . واننى أرى بل أعتقد بأنه اذا أدت هذه الاجهزة فى ظل أستراتيجية محددة الاهداف والمعالم بانسجام وتوافق ، فإننا نستطيع أن نصل الى ما نأمل فيه .

ولايعنى تحديد سمات شخصية المواطن الصالح أو محاولة هذا التحديد أننا نهدف الى تحويل أعضاء المجتمع الى قوالب جماعية . أننا لانود أن نتعامل أبدا مع **قوالب جماعية** ، ولكن نود أن نتعامل مع أناس من البشر ، أناس متباينين ، أى أناس من حقهم أن يتباينوا وأن يختلفوا فى سبيل الصالح العام .. .

أن أهم أهتماماتنا هو أن يفسر لكل عضو من أعضاء المجتمع عن طريق ارتباطاته بجماعاته ، أن ينضج فى الاتجاه الذى يميزه عن غيره وأن يصبح ذاته الكاملة ، وأن يكون الاحساس بقيمته كشخص ليكون فعلا وحقا عضوا فى المجتمع أكثر نفعا وأكثر قيمة . أى ليكون مواطنا صالحا .

الخاتمة

أن موضوعات هذا الكتاب هى كما ذكرت فى المقدمة عبارة عن بحوث ودراسات علمية قمت باجرائها أو الأشراف على اجرائها ، ويلاحظ القارىء الكريم أنها قد أوحاها الى المجتمع المصرى المعاصر . ومن ثم فهى فى حقيقة الأمر متعلقة بهذا المجتمع . أى أن من يقرؤها دون أن يعرف اسم الكتاب يرى بعض مافى هذا المجتمع المتميز الفريد فى سماته وملامحه .

ورجائى الحار أن يقرأها القارىء الكريم ككل لايتجزأ وأن يتقبلها قبولا حسنا . فالملاحظ أننى وضعت هذه الموضوعات حيث تكمل البحوث والدراسات التى تتضمنها بعضها البعض . وقد بدأت بوضع دراسة علمية عن "نظرية المصالح" وهى دراسة فيها جرأة وجسارة . وقد يراها قارىء انها تحصيل حاصل ولم تأت بجديد ، وقد يرى آخر عكس ذلك . ومهما يكن من الأمر فإن ما فعلته هو مجرد اجتهاد ، وأننى لا ادعى الكمال ، فالكمال لايمكن أن نحصل عليه فى دنيا البشر .

والدراسات الأخرى تحاول أن توضح بعض المفاهيم التى تتعلق بالمجتمع المصرى ، كما تحاول أن توضح مضمون البيئة من منظور القيم الانسانية ، واقصد بالبيئة البيئة الشاملة سواء اكانت طبيعية أم ثقافية اجتماعية . ويلاحظ القارىء الكريم أن القيم الانسانية المشار اليها تتصل اتصالا وثيقا بكل من الدين المسيحى والدين الاسلامى بخاصة ، فهما الدينان الرئيسيان اللذان يسودان الاديان الأخرى فى هذا المجتمع .

والاساطير والخرافات والتفكير الخرافى كانت موضع اهتمامى فى الكتاب الحالى . فنحن المصريين فى مسيس الحاجة الى أن نطهر تراثنا والمناخ الثقافى الاجتماى الذى يظللنا من كل ماهو غث . سواء أكان هذا الغث ماديا أم معنويا . إننى فى كل الأحوال ادعو الى هذا التطهير كما أدعو أيضا الى الأخذ بالمنهج العلمى وخصوصا ونحن نواجه القرن الحادى والعشرين بعد اقل من عقد من الزمان :

وقد تعمدت أن أتحدث عن مفهوم التربية من المنظور الاسلامى العربى . لاننى أرى وأرجو من القارىء الكريم أن يرى ما أرى أننا فى حاجة ماسة الى إعادة تربيتنا فى ضوء مالدينا من عناصر تراثية . وأنا لا ادعى ولايمكن أن ادعى أن تاريخ المجتمع المصرى يبدأ فى عام ٦٤٠/٦٤١ ميلادية (بداية دخول الدين الاسلامى فيه) أو يبدأ فى عام ٦٤ ميلادية (بداية دخول الدين المسيحى فيه) . ولكن هذا المجتمع قديم قديم والكثير من تراثه الغث مازال مستمرا حتى وقتنا الراهن .

ويلاحظ القارىء اهتمامى الواضح بمكافحة "ظاهرة الأمية" سواء كانت امية ابجدية أو امية وظيفية . وقد تعمدت فى الكتاب الحالى أن تسبق ما كتبته عن "طه حسين" ودعوته الى الثورة العقلية فضلا عن تكريس حياته لكى يكون التعليم وتكون التربية كالماء والهواء للجميع . وذكرت بحق فى ضوء كفاحه العنيف لكى يتعلم وينال أعلى الدرجات العلمية اننى تأثرت بـ "طه حسين" الذى كان فى حقيقة الأمر نموذجا رائعا اهتديت به لكى اتعلم واحصل على أعلى الدرجات العلمية . كان هذا الرجل نبراسا لى فى كل امور حياتى وبخاصة اذا ما واجهت ماهو شرا وعندما أكون مضغة فى افواه ذوى الكبر والكبرياء أو غيرهم من الموتورين أو الساخرين .

ويلاحظ القارىء أن "طه حسين" لم يكن وحده النبراس الذى هدى حياتى الماضية ومازلت اهتدى به ، ولكن اذكر ايضا اساتذة اجلاء كان منهم المغفور لهم الاساتذة "ابراهيم عبدالقادر المازنى" و "احمد

أمين" و "احمد حسن الزيات" و "أحمد لطفى السيد" و "توفيق الحكيم" و "د . زكى مبارك" و "سلامة موسى" و "عباس محمود العقاد" و "فكرى اباظة" و "د . محمد حسين هيكل" و "محمد عبد الله عنان" و "مصطفى صادق الرافعى" .

كنت اعب من معرفتهم الرفيعة عبا ، وكنت أشترى كتبهم ، أو اقرأ لهم فى دار الكتب المصرية اذا كنت لا استطيع شراء الكتب . كان منهلهم عذبا موردا . ومع ذلك فقد كان الرافعى الاديب المفضل حتى ثار على "طه حسين" عندما نشر كتابه "فى الشعر الجاهلى" واتهمه بالالحاد فى كتابه "تحت راية القرآن" الذى أستعرته من أحد الزملاء ولم أكن قد أشتريته بعد . وإذ أقرأ هذا الكتاب وجدتنى عزوفا عن قراءة أى مقال أو أى كتاب للرافعى . ولكنى عندما نضبت وجدتنى لا انسى فضل هذا الرجل . أما "فكرى أباظة" فقد كان فضله أن شجعنى على مواصلة التعليم عندما كتبت اليه فى "مجلة المصور" وكان رده بلسما حفزنى لكى أكمل المسيرة اقصد مسيرتى للتعلم ، ولم يبخل على غفر الله له أن سجل رده على صفحات هذه المجلة لكى أقرؤه ويقرؤه الأخرون معى .

ويلاحظ القارىء الكريم أن الكتاب يضم علميا لبندر اسوان . وكان لهذا البحث قصة حرصت على ذكرها . فقد كان موضوع البحث من اختيارى وكنت أود أن اتعاون مع زملائى من الاعضاء العلميين بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية لكى نرصد "ظاهرة التغير الاجتماعى" فى بندر أسوان ، وكنت طموحا للدرجة التى خيل لى أن اكرر هذا البحث مرات ومرات كل عشر سنوات . حتى يصل اخوانى وأنا معهم ومن يأتى بعدنا الى السمات التى تتميز بها هذه الظاهرة فى مجتمع كمجتمعنا . لقد فعل العلماء الاجانب ذلك فى اوروبا وفى الولايات المتحدة فلماذا لانفعل نحن ايضا . أننا لو كنا فعلنا ذلك لاسهمنا اسهاما رائعا فى التراث العلمى الاجتماعى الانسانى . لكننا لم نفعل لاسباب خارجة عن ارادتنا وقد ذكرتها فى متن الكتاب الحالى عندما تحدثت عن هذا الموضوع .

ومثل البحث العلمى لبندر اسوان كان البحث العلمى السياسى عن الروح المعنوية لاعضاء القوات المسلحة كان بحثا رائدا تعاون المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية مع "قسم البحوث المعنوية" المختص بالتوجيه المعنوى للقوات المسلحة . وقد تم هذا البحث الرائد الهام ولكن لم يجر بحث آخر مثله . ولما كنت حريصا على أن يعمل العاملون العلميون بالمركز المشار اليه فى هيئات البحوث التى ينتدبون للعمل فيها . على سيادة "روح الفريق" وكنت أقوم بما وسعنى جهدى لتحقيق ذلك بدون جدوى ، وجدت اننى فى هذا البحث أحقق ذلك . ويبدو أن سر ذلك يرجع الى أن أعضاء هيئة هذا البحث كانوا يعملون متعاونين وفى صمت وفى سرية وفى استقلال . أى أن تعاون أعضاء البحوث وعملهم فى صمت وفى سرية ثم وهذا عنصر هام أقصد فى استقلال ، كل هذه الأمور اذا ما نفذت تحقق العمل كفريق فى هيئات البحوث العلمية التى تشكل خصيصا لاجراء بحثا علميا أو دراسة علمية .

وقد تضمنت موضوعات الكتاب موضوع "الغيرة المهنية" . واعترف بأن هذا الموضوع يوجد فى كل الهيئات العاملة فى المجتمع أى مجتمع . وقد تكون هذه الغيرة المهنية بلسما اذا ما خلت من الحقد بنوعيه أى الحقد الأسود أو الحقد غير الأسود على السواء . انها بلسم اذا كان الهدف منها تنافسا وليس صراعا . فالتنافس من أجل المصلحة العامة مطلوب مافى ذلك من شك . أما الصراع الذى يتمخض عادة عن "التعصب" وليس "الولاء" فهو منبوذ . منبوذ .. وقد عالجت هذا الموضوع فى حدود ، أى أننى لم أذكر الوان الغيرة المهنية كلها . واذ اذكر هذا الموضوع فقد كان الهدف التنبيه اليه ولفت النظر نحوه حتى يكون المسئولون الاداريون على بينة من أمرهم . ويبدو اذ أذكر ذلك اننى واهم أو أحاول أن أحقق هدفا مثاليا . ولكن مهما كان الأمر فالموضوع يمت بسلوك البشر ويتعلق بهذا السلوك . وفى ضوء تخصصى فاننى أحاول ما أستطعت أن أتعرف على هذا السلوك وأن أبرزه للقارىء الكريم كواجب يتحتم على أن أؤديه .

وخاتمة موضوعات الكتاب موضوع تكوين المواطن الصالح . لقد جعلته مسك الختام ، لأننا أقصد أعضاء المجتمع المصرى المعاصر فى مسيس الحاجة الى وجود المواطنين الصالحين الذين لاهم لهم إلا أن يعرفوا حقوقهم وإلا أن يؤدوا واجباتهم كما يتطلب منهم هذا المجتمع فى ضوء ظروفه الراهنة ، وهى ظروف جعلته فى مفترق الطرق .

وأرجو أن يسمح لى قارىء كتاب "من وحى المجتمع المصرى المعاصر" أن أحفزه لقراءته . فاننى أعتقد أن واجبى ككاتب أن أكتب لكى يقرأ ما أكتبه الآخرون . وما كتبته كما يرى القارىء وأراه أيضا ، كما ذكرت من قبل ، محدود . لان ذلك ليس كل ما يوحى إلىّ به المجتمع المصرى المعاصر . وأكرر واقول "المجتمع المصرى المعاصر" ، وذلك لاننى عاصرت ، ومازلت اعاصر ، الموضوعات التى يضمها الكتاب الحالى .

وأؤكد للقارىء الكريم مرة أخرى ، فقد أكدت ذلك فى المقدمة ، اننى لا أغازل أو أتردد الى المجتمع الذى ربانى وعلمنى متفاخرا أو متعاليا . وذلك لان حقائق مراحل التاريخ التى مر بها تؤكد ذلك .

فهـــرس

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية اثنا عشر جنيها ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان ثلاثة عشر دولارا أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ، وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

● وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

الكويت السيد عبدالعال بسيونى زغلول . الصفاة ـ ص ب رقم ٢١١٣٣
للحصول على نسخ من كتاب الهلال اتصل بالتلكس : Hilal.V.N 92703

رقم الايداع : ٤٩٨٠ / ٨٩
الترقيم الدولى : ٦ - ٤٣٢ - ١١٨ - ٩٧٧ ISBN

هذا الكتاب

هذا الكتاب يتضمن الكلمات الأخيرة للمفكر الاجتماعى الراحل الدكتور سيد عويس ، وهو آخر دراساته العامة حول المجتمع المصرى .

ويتضمن هذا الكتاب بحوثا من خلال تجارب حية ، تعكس بعض سمات المجتمع المصرى المعاصر ، ومثل كل اعمال الراحل الكبير ، يجمع فى كتابه بين الدراسات الميدانية وبين الدراسات الاكاديمية ويجمع ايضا بين دراسة عميقة للتراث المصرى واستيعابه لتطور العلوم الاجتماعية فى العالم .

ويضم هذا الكتاب عدة محاور هى :

- نظرية المصالح فى المجتمع المصرى .
- البيئة المصرية من منظور القيم الانسانية .
- الاساطير والخرافة فى التراث والعلم العصرى .
- التربية من المنظور الاسلامى .
- كيف نقضى على الأمية .
- طه حسين والثورة العقلية .

وغيرها من الموضوعات التى لايستغنى عنها كل من يريد معرفة المزيد عن مجتمعه .